

مَوْسُوَعَةُ شِمَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الجزء السادس

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سابقاً

الإصدار مائة وأربعة وتسعون

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م



مُوسَىٰ وَهَارُونَ ابْنَيْ الْمِصْرَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ

عَلَمُهُ وَحِكْمَتُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ

(٦)



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الأوقاف والعلاقات الخارجية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-Islami

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

مَجْلَدُ الْوَعْيِ الْإِسْلَامِيِّ
الْإِصْدَارُ مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ

الإصدار مائة وأربعة وتسعون

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م

ISBN:978-99966-69-33-6

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٣٤٣٩٩٩ - داخلي: ٤٥٩٧

فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣

البريد الإلكتروني

alwaeiq8@gmail.com

الموقع الإلكتروني

www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام

رئيس التحرير

فهد محمد الخزري

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei Al-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

موسوعة شَمَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَلَمُهُ وَحِكْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الجزء السادس

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سابقاً

الإصدار مائة وأربعة وتسعون

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

لكل من التمس النور من السراج المنير.

قال - تعالى :- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا
﴿٤٦﴾ [الأحزاب].

مقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨) [الفتح] (١) والقائل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتُّ إِذْ نَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩) [الزمر] والقائل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) [المجادلة].

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، الذي أمرنا بالتأسي به. قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣١) [الأحزاب] وبعد؛ فإن العلم والحكمة قرينان في الغالب، فلا حكمة بلا علم، ولا فائدة من العلم بلا حكمة.

وقد توقفت كثيراً عند جمع هذه الموضوعات وما يرتبط به في هذا القسم وتسميته، إلا أنى وجدت العلماء السابقين جمعوا بينهما في مؤلفات متعددة، فتشجعت على ذلك، ولعل من أبرزهم ابن رجب الحنبلي (ت، ٧٩٥هـ) في كتابه المشهور: "جامع العلوم والحكم" (٢).

فاخترت لهذا القسم السادس من موسوعة الشمائيل المعنونة ب: عنوان (علمه وحكمته ﷺ)، حيث تشمل الحكمة لغته ﷺ وهي أهم أوعية الحكمة، حسب اجتهادي بما فيها من بلاغة وفصاحة ومعان راقية حكيمة. لا نجدها عند غيره ﷺ. والأمثلة من سنته وسيرته في هذا الجانب

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٣٨.

(٢) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، الذي اتخذ عنواناً جامعاً بين العلم والحكمة.

متعددة، واجتهدت في اختيار أمثلة من مواقف في حياته ﷺ، كما اجتهدت في الحديث عن علمه وتعليمه للناس ﷺ، وكذلك الحال اجتهدت في الحديث عن لغته ومنطقه، وما تميز به ﷺ في هذا الجانب، وما يرتبط بذلك من تعريفات مختلفة عسى الله أن ينفع بها، ويزيدنا علماً وحكمة نستقيها من سنته ﷺ. حشرنا الله في زمرة وأوردنا حوضه وحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

* * * * *

تعريف العلم:

العِلْمُ: اسم وجمعه: عُلُوم، والعِلْمُ: إدراك الشيء بحقيقته الصحيحة.
كما أن العِلْمُ هو المعرفة والاطلاع، وإدراك الشيء بحقيقته. ويأتي الجهل عكس العلم.^(١)

وعِلِمَ: (فعل) وعرف . عَلَّمَ على من يَعْلَمُ، تعليمًا، وهو مُعَلِّمٌ ، والمفعول مُعَلَّمٌ.

ويقولون أَكْبَّ عَلَى الْعِلْمِ وَالِدْرَاسَةِ: اِنصَرَفَ مُسْتَعْرِقًا فِيهِ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ. فهو يُكَبُّ عَلَى الْعِلْمِ صَبَاحَ مَسَاءً، وَحَمَلَ الْعِلْمَ نَقْلَتَهُ، وَمَنْ يُعْهَدُ إِلَيْهِ حَمْلُ الْعِلْمِ.

رَسَخَ الْعِلْمُ فِي قَلْبِهِ: تَمَكَّنَ فِيهِ. رَسَخَ فِي الْعِلْمِ. غزير العلم: وافر العلم واسع الاطلاع.

والعلوم الحقيقية: هي العلوم الثابتة لدى الجميع التي لا تتغير بتغير المثل والأديان والأهواء.^(٢)

والعلوم والعِلْمُ أنواع عِلْمِ الْكَلَامِ، وَعِلْمِ النَّحْوِ، وَعِلْمِ الْأَرْضِ، وَعِلْمِ الْكَوْنِيَّاتِ، وَعِلْمِ الْأَثَارِ. والجمع: عُلُوم. ومنها عُلُومُ الْعَرَبِيَّةِ: المتعلقة باللغة العربية: كالنَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْعُرُوضِ... وعلوم الطب وعلوم الأرض وعلوم

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/٤١٧؛

والزبيدي، تاج العروس، ج ٨/٤٠٥؛

والمعجم الوسيط، ص ٦٢٤؛

وانظر: محمد بن صالح بن عثيمين، كتاب العلم، إعداد فهد بن صالح السليمان، ط١-

الرياض: دار الثريا للنشر ١٤٢٠هـ.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٧/٢٩١٢.

البلدان، وعلوم الفضاء وعلوم الزراعة.....الخ.

عَلِمَهُ، عَلِمًا: عَرَفَهُ، وَعَلِمَ هُوَ فِي نَفْسِهِ، وَرَجُلٌ عَالِمٌ وَعَلِيمٌ، ج: عَلَمَاءُ وَعُلَمَاءٌ، وَعَلِمَهُ الْعِلْمَ تَعْلِيمًا وَعِلْمًا، وَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَتَعَلَّمَهُ.^(١)

وللعالم مجالسه والتردد إلى مجالس العلم يكون للتعلم وتضلع في العلم أو تضلع من العلم.

تمكّن وترسّخ فيه، نال حظًا وافراً منه، تضلع في علم كذا: استبحر الشّخص في العلم وغيره توسّع وتعمّق فيه وحصله.

ويأتي على رأس العلوم عند المسلم العلوم الشرعية أو العلوم الدينية كالفقه بما فيها المعاملات، التي تعد تشريعات وقوانين تنظيمية، والعلم بأحكام العبادات بمصطلحاتها الفقهية الشرعية ما يتعلق به وعلم الحديث والسنة، والتي تعتمد على الوحي ومصادر التشريع، والعلوم الطبيعية، والاجتماعية، وغيرها مما يخدم الإنسان.^(٢)

وقد وردت لفظة علم وتعليم ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من (٥٠٠) مرة.^(٣)

وللعلم أهميته في حياة الرسول ﷺ. وتعددت الآيات القرآنية المذكرة بالعلم وأثره في الكون وحياة الإنسان. ومن يتابع كتب السنة يجد وكتباً وأبواباً متعددة داخل مصادر السنة النبوية، ذات روايات متعددة حول العلم، وحثه ﷺ عليه.

(١) ابن منظور لسان العرب، ج ١٢/٤١٨.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، ص ٦٢٤.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٧/٢٩١٢؛

وانظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٧/٢٩٥٧.

كما ذكر القرآن أن العلم مما حملة آدم ﷺ من السماء، حيث علمه الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَيَحْنُ نُسِیحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰٓدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِیْمُ الْحَكِیْمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنثٰٓثَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غِیْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة].^(١)

والعلم في حياة الإنسان جزء من تكوينه. قال - تعالى - : ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق].^(٢)

والقلم أداة العلم الأولى بين البشر وما يزال كذلك. قال - تعالى - : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق].^(٣)

والعلم فيه يقيني، وفيه ظني. قال - تعالى - : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر].^(٤)

وقد علم الله الأنبياء من فضله وعلمه وشرعه قبل نبينا محمد ﷺ، قال - تعالى - : ﴿وَكَذٰلِكَ يُجَنِّبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْاَحَادِيثِ وَيَسْتَرْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٠٩ - ١١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٠١٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٠١٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٠٢٦.

وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾
[يوسف].^(١)

والمتابع لعلم النبي ﷺ يدرك أن علمه من ربه ﷻ، سواء منه ما يرتبط بالوحي والشريعة، أم ما يرتبط بالدنيا وتجاربها، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾
[النساء].^(٢)

علمه - سبحانه - القرآن. قال - تعالى -: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾
[الرحمن].^(٣)

وهو علم وهدى. قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف].^(٤)

وقد علمه الله ﷻ كما علم الرسل ﷺ؛ ليعلم الناس من بعده ومن فضل الله الذي علمه، قال - تعالى -: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة].^(٥)

وقبل الهجرة وحينما هاجر ﷺ إلى المدينة، كان يبحث على العلم

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٧٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٣١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٩٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٦١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢١.

والتعليم،^(١) ويرفع من مكانته في نفوس المسلمين. ولا شك إن لذلك الأمر تأثيره على مجتمع المدينة المسلم في تميته من الناحية العلمية، فكانت مجالسه ﷺ مجالس علم. كان الصحابة يقرؤون قوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].^(٢)

وقد وضع البخاري في صحيحه كتاباً سماه (كتاب العلم)،^(٣) أورد فيه ثلاثة وخمسين باباً، في أحاديث عديدة وشرح آيات مختلفة مثل قوله - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].^(٦)

باب قول الله - تعالى -: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء].^(٧)

(١) لمزيد من التوسع راجع كتاب: الوكيل: محمد السيد، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه الراشدين، ط١- جدة: دار المجتمع ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٨٤٠/٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٢١، ٤٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٦١٦/٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٠٢١/١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١١٣٥/٢.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١١٣٥/٢.

وفيه عن عبد الله قال: ((بيننا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه، فقامت فلما انجلى عنه ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء...]) الحديث.^(١)

وقد قال الرسول ﷺ: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَاسْلُطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)).^(٢)

وكان الرسول ﷺ يأمر المتعلم بتعليم الآخرين، فقد حث النبي ﷺ وفد عبد القيس على تعليم قومهم، فقال لهم: ((ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ)).^(٣)

وتعلّم العلم لله خشية، وطلبه عبادة، ومُدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبدّله لأهله قرابة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة. وقد ورد ((أوحى الله إلى موسى ﷺ أن تعلّم يا موسى الخير وعلمه للناس، فإني مُنَوَّرٌ لِمُعَلِّمِ الْخَيْرِ وَمُعَلِّمِهِ قُبُورَهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَوْحِشُوا بِمَكَانِهِمْ)).^(٤)

وأجمع الناس على أن العلم نُورٌ: كما عرفوا أن العلم في الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول الله - تعالى -: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]، ج ١/٤٠.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ج ١/٢٦.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم، ج ١/٣٠.

(٤) مختصر منهاج القاصدين، ص ٧.

فِي الْحَجَرِ (١)

وأشار الله لمكانة العلماء. كما قال - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ ﴾ [فاطر]. (٢)

* * * * *

(١) انظر: المدخل إلى السنن الكبرى رقم: ٦٤٠، وقال المحقق: رواه ابن عبد البر في بيان العلم ج ١/٨٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٥٤.

العلم في القرآن الكريم:

آيات العلم في كتاب الله أكثر من أن تحصى، وقد أشرنا لبعضها في الشواهد.

والله ﷻ العليم الخبير، الذي يعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء.

فمن صفات الله ﷻ العلم فهو العليم والعالم والعلام؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [٨٦] ﴿[الحجر].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٣٠] ﴿[الشعراء].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٢] ﴿[البقرة].^(٣)

وقد كان الأنبياء يدعونه ﷻ بتلك الصفة، وقال - تعالى -: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١٣٧] ﴿[البقرة].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٣٥] ﴿[آل عمران].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ لَوْلَا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١٣٧] ﴿[البقرة].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٥١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٨٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١١٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٠٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٦٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢١٤.

وقال - تعالى - : ﴿ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَاللَّهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ أَوْ يَرْوِجُهُمُ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الدخان].^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿ وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام].^(٧)

وقال - تعالى - : ﴿ وَيَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور].^(٨)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٣٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٧٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٢٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٨٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٥.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٨٨.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧١٤.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٢١.

وقال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ [النساء].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِحْلَافَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا أُسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ [النساء].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ [النساء].^(٤)

والله ﷻ خالق كل شيء وهو الأعلَم بما في الكون قدر بعلمه وقدرته - سبحانه - وخلق فأحسن، أكدت العديد من الآيات على ذلك، قال - تعالى - :

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٨٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٥٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٥٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥١٤.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۗ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) [يس].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٩٦) [الأنعام].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٣) [افصلت].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۗ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) [يس].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) [يس].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١) [النور].^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذْنَ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٧٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٠٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٧٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٦٩.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٢١.

صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ [النور].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ [النور].^(٢)

وقد أقر المشركون بعلمه وقدرته على الخلق، قال - تعالى - : ﴿ وَلِيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ [الزخرف].^(٣)

وعن علم الله ﷻ بالإنسان. قال - تعالى - : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ [الروم].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ [النمل].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ [الأنبياء].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٤٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٣٤٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٥٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٠٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٣٢.

وقال - تعالى -: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾
[العنكبوت].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَكَيْفَ يَكُونُ مِنَ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾﴾ [سبأ].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغَابِغَةَ حَرَامًا ۖ فَكَيْفَ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ۗ وَالْهُدَىٰ ۗ وَالْقَلْبَ الَّذِي يَتْلُوهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشُرَ الْجِنِّ ۖ قَدْ أَسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنسِ ۗ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٢٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٤١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٤٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٠٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٥٧.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٢٢.

وقال - تعالى -: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ [الأنعام].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِن كَبَّخِرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٤٧﴾ [البقرة].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ [البقرة].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿ قُلْ إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [آل عمران].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ [البقرة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ [إبراهيم].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٢٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٥٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٣٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٦١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٨١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٣٨.

وأكد الله علمه بعمل عباده. قال - تعالى - ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل].^(١)

العلم يذهب من الإنسان، بعد تقدُّم عمره. قال - تعالى - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدِّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل].^(٢)

وقال - تعالى - ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون].^(٣)

وقال - تعالى - ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور].^(٤)

وقال - تعالى - ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِءِ كَمَشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور].^(٥)

وقال - تعالى - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَنَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٦٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٦٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٩٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٣١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٣٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٤٠.

وقال - تعالى - : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النور]. (١)

وقال - تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت]. (٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القمان]. (٣)

وقال - تعالى - : ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر]. (٤)

وقال - تعالى - : ﴿ إِنَّكَ إِلَهٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر]. (٥)

وقال - تعالى - : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس]. (٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٤٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٦٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٥٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٦٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٧٧.

وقال - تعالى -: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: (١)].

وقال - تعالى -: ﴿هَتَانِمْ هَتَوْلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: (٢)].

وقال - تعالى -: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ حَلِيمٌ ﴿٣٣٥﴾﴾ [البقرة: (٣)].

وقال - تعالى -: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٤﴾﴾ [الشورى: (٥)].

وقال - تعالى -: ﴿أَوْ يَرُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: (٦)].

وقال - تعالى -: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: (٧)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦١٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٣٠٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٦٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٦٧.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٥.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٤٢.

وقال - تعالى -: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٨﴾ [الحجرات].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ [الحجرات].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ [الحديد].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٦﴾ [الحديد].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ [المجادلة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٤﴾ [التغابن].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [التغابن].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٤٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٥٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٢٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٢٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٣٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٨٠.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٨١.

وقال - تعالى - ﴿وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) [المملك].^(١)

وقال - تعالى - ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ ۗ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣٢) [النساء].^(٢)

وقال - تعالى - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ۖ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٥) [النساء].^(٣)

وقال - تعالى - ﴿وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (٣٩) [النساء].^(٤)

وقال - تعالى - ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (٧٠) [النساء].^(٥)

وقال - تعالى - ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَٰمَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧) [النساء].^(٦)

وقال - تعالى - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ ۖ إِلَّا مَن ظَلَمَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) [النساء].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٩٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٧٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٧٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٨٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٠٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٤٦.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٤٦.

وقال - تعالى - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر].^(١)

وقال - تعالى - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَنْ يُوْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران].^(٢)

وقال - تعالى - ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران].^(٣)

وقال - تعالى - ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران].^(٤)

وقال - تعالى - ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفتح].^(٥)

وقال - تعالى - ﴿هَتَأْتُمْ أَوْلاَءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٦١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٨٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٩٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٣٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٩٤.

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [القمان].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ].^(٥)

وحكم الله دائماً هو الحق يحكم بعلمه وحكمته وقدرته. قال - تعالى -:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجَّرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ جُلٌ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يُحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَانُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٩٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٩١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٦٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٥٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٤٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٦١.

والله عليم بالظالمين. قال - تعالى - ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٧) [الجمعة].^(١)

وعن سعة علمه ﷺ قال - تعالى - ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) [القمان].^(٢)

فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه ﷺ بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقتها وجليلها على أتم الإمكان.^(٣)

قال - تعالى - ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) [التغابن].^(٤)

وقال - تعالى - ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) [الجن].^(٥)

وقال - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٨) [فاطر].^(٦)

وقال - تعالى - ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) [الزمر].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٧٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٦٨.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٧/٢٩١٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٨٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٢٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٦٠.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٢٣.

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ أَلْمَوْتَ أَلَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِ قَالُوا ءَاذَنْكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [افصلت].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٧٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٣٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٦١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٨٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٠٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٦١.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٢٨.

وقال - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءً مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: (١)].

وقال - تعالى -: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: (٢)].

وقال - تعالى -: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: (٣)].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِيَّاكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: (٥)].

وقال - تعالى -: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ [البقرة: (٦)].

وقال - تعالى -: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: (٧)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٣١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٦١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٦٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٦١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٨ - ١٨٩.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٣٤.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٢٩.

وقال - تعالى -: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾ [المائدة: (١)].

وقال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٣﴾ [الأنفال: (٢)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ [التوبة: (٣)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [يونس: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٥﴾ [هود: (٥)].

والعلم له أهله وسماهم الله ﷻ بالعلماء، والعلماء هم حملة العلم بمختلف أنواعه ولهم أهميتهم قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: (٦)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٤٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩١٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٣٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٤٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٥٤.

والعلماء عرفوا في الأمم السابقة. قال - تعالى - ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُونَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء].^(١)

وأشار - سبحانه - إلى أن بعض العلوم قد تكون ضارة لأهلها وللناس، وقال - تعالى -: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا فَخْرُ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].^(٢)

وفي هذه الأمة. أهل العلم يرفعهم الله. ومجالسه ﷺ مجالس علم. قال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ائْتُوا فَانشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة].^(٣)

وقال الحسن البصري رحمه الله: (لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم).^(٤)

وقد أشار الله لرفعة مكانة العلماء وذكر يوسف مقروناً بالعلم في مواضع متعددة من سورة يوسف. مع الإشارة لعلم نبي الله يوسف ﷺ. قال - تعالى -: ﴿فَدَأَىٰ بَأْوَعِيَثِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢ / ١٣٨٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١ / ١٦٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢ / ١٨٤٠.

(٤) انظر: <https://www.alukah.net> بتاريخ: ١٠/١/١٤٤٢هـ؛

نقلًا عن مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي.

كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ [يوسف].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَّهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ [يوسف].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ [يوسف].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ [يوسف].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رِيكُ فَسْئَلُهُ مَا بِآلِ الْيَسُوعَ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ [يوسف].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ [يوسف].^(٦)

وقرن علم الله ﷻ بحكمته، قال - تعالى - : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [يوسف].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٨٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٨٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٨٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٧٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٨٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٨٢.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٩١.

وقال - تعالى - : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رَأْيِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف]. (١)

وكان بعض عباد الله في خدمة نبيه سليمان ﷺ يتميز عن غيره في العلم. قال - تعالى - : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل]. (٢)

وقد خص الله بعض الناس بالعلم، قال - تعالى - : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة]. (٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام]. (٤)

وقد بشر نبي الله إبراهيم بسلام من صفاته أنه عليم، قال - تعالى - : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الذاريات]. (٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٩٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٩٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣١٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٠١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٦٦.

وقال - تعالى - ﴿ قَالُوا لَا نُؤَجِّلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعُلْمِ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر].^(١)

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٤٩.

علم الرسول ﷺ:

وسعة علم الرسول ﷺ من شمائله وصفاته الخاصة، فهو ﷺ أتقى الناس وأعلمهم بالله، كما قال ﷺ: ((أنا أتقاكم وأعلمكم بالله)).^(١)

وبالتالي ما نزل من صفات الله ومنها العلم وعلمها ﷺ، وعلمها للأمة والناس، ومن صفاته ﷺ فهمه لما علمه الله ﷺ وتعليمه للناس قال - تعالى -: ﴿... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وتعليم رسول الله ﷺ من ربه قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].^(٢)

وهو ﷺ يُعلم الأمة مما علمه الله. فهو عالم متعلم ومعلم ﷺ. كما قال - تعالى -: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].^(٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: أنا أعلمكم بالله وأن المعرفة فعل القلب، ج ١/١٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢١١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢١.

والله ﷻ علم نبيه، وطلب منه أن يدعو في زيادة العلم، كما قال - تعالى -
 ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ
 رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤) [طه].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١١) [الطلاق].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (٢) [البينة].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا
 عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
 ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١٦٤) [آل عمران].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) [الجمعة].^(٥)

وكان ﷻ يعلم أصحابه فضل القرآن، وما خصت به بعض السور والآيات
 القرآنية من فضائل، والمطلع على كتب التفسير يجد تفصيلات دقيقة على
 سبيل المثال في فضل الفاتحة، وفي فضل البقرة، وفضل بعض آياتها، مثل آية
 الكرسي، وآخر آيتين من البقرة، وكذلك فضل سورة الإخلاص،
 والمعوذتين، وغير ذلك مما يصعب حصره.

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٨٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ٢٠١٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤١٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٧١.

واستجابة لأمر الله في قوله - تعالى - ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤) [طه].^(١)

كان ﷺ يكثر من دعاء الله بزيادته في العلم، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ اسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِعْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)).^(٢)

وكان ﷺ يدعو فيقول: ((اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ)).^(٣)

واستجاب الله لنبيه ﷺ قال - تعالى - ﴿ سُنِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿ [الأعلى].^(٤)

وقال - تعالى - ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ وَقُرْآنَهُ ﴿ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿ [القيامة].^(٥)

وعند البخاري في صحيحه (باب ما جاء في العلم وقوله - تعالى - ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤) [طه].^(٦)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ج ٢٢/١.

(٢) انظر: أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، ج ٤/٣١٦، ح برقم: ٥٠٦١.

(٣) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، ج ٥/٥٧٨، ح برقم: ٣٥٩٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٨٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٤٢.

(٦) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ج ٢٢/١.

والقرآن علم أنزله الله على عباده، آيات تتلى إلى يوم القيامة، وله أهميته الأولى في حياة العباد، وبه يتعلمون ويعملون،^(١) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من أراد علم الأولين والآخرين فليتلو القرآن، وكان رضي الله عنه من أعلم الناس بالقرآن).^(٢)

وعند القرطبي، باب ذكر جمل من فضل القرآن وقارئه ومستمعه والعامل به.^(٣) والعلم يرتبط بالإنسان منذ وجوده. وقد صور القرآن الكريم، نشأة الخلق، ومسيره، ثم مصيره وفصل ما في الدنيا، وما في الآخرة.^(٤)

والنبي لا ينسى ما نزل إليه من ربه، إلا أن يشاء الله له أن ينسى، وإذا نسي النبي فالحكمة يعلمها الله. قال - تعالى -: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة].^(٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ بِنَا رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانٌ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى وَخَرَجَتْ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا قَصُرَتْ الصَّلَاةُ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُنْسِيَتْ أَمْ قَصُرَتْ الصَّلَاةُ؟ قَالَ لَمْ أُنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ فَقَالَ أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالُوا: نَعَمْ فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ ثُمَّ

(١) انظر: الطبري، تفسيره، ج ٢٨/١؛

وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٧١/١.

(٢) وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٧١/١.

(٣) القرطبي، تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٩/١.

(٤) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٤١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٨١/١.

سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ثُمَّ كَبَّرَ
وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ثُمَّ سَلَّمَ)).^(١)

والعلم الرباني نقله ﷺ عن ربه، فابن عباس وغيره من الصحابة ﷺ،
ينقلون عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه، وقال أنس عن النبي ﷺ يرويه عن
ربه ﷺ وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربكم ﷺ.^(٢)

وقد ذكر رسول الله ﷺ بعلم الله ﷺ في مواضع متعددة منها قوله -
تعالى -: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)
[افصلت].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَحِ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤)
[الأنفال].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾^(٥) [يونس].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٦)
[التحريم].^(٦)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره،
ج ١/٢٣، ١٢٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في
الصلاة والسجود له، ج ٢/٨٧، ٨٨.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا...،
ج ١/٢١، ٢٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٥١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٣٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٩٠.

وقال - تعالى - : ﴿ وَيَذْهَبَ غِيْظَ قُلُوْبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِنَّمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوِّ وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنَّ لِقَاضِيَ اللَّهِ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَقُضِلْتُمْ وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الأنفال].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴾ [التحریم].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٦٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨١١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٤٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٤٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٧٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٩٠.

وقال - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠ ﴾ [الأحزاب].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ إِن تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤ ﴾ [الأحزاب].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥ ﴾ [الأنفال].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَابَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٤٧ ﴾ [التوبة].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٩٨ ﴾ [التوبة].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣ ﴾ [التوبة].^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧ ﴾ [المائدة].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٠٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥١٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٥٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٨٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٠٣.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٠٥.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٥٩٤.

وقال - تعالى -: ﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٠) [الذاريات].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣٦) [النساء].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) [الأنفال].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٧) [التوبة].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿ وَعَاخِرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٦) [التوبة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿ لَا يَزَالُ بُيِّنْتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١١٠) [التوبة].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٥) [الحجر].^(٧)

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٢) [الحج].^(٨)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٦٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٦٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٥٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٠٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٠٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩١٠.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٤٤.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٨٢.

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١٠٤﴾

[النساء].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١١١﴾

[النساء].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَسَتَفْتُنَاكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿١٢٧﴾

[النساء].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١٧٠﴾

[النساء].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١﴾

[الأحزاب].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٢٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٣١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٣٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٦٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٠.

ءَأَيَّتِهِنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾
[الأحزاب].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ
إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾
[الإنسان].^(٣)

وعند نزول القرآن كانت أول آياته نزولاً على الرسول ﷺ تُذَكِّرُ بِالْعِلْمِ
وَالْقَلَمِ. قال - تعالى -: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق].^(٤) في وقت كان العرب
يسودهم الجهل والامية والخرافات والأساطير، مع وجود نزر بسيط من العلم
والتعليم في المراكز الحضرية.

وقد أنزل الله على نبيه العلم والحكمة وأشار لذلك في آية واحدة، قال -
تعالى -: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۗ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۗ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾
[النساء].^(٥)

وكان الرسول ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة وبعدها، يحث على العلم

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥١١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٢٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٤٨.

(٤) لمزيد من التوسع راجع كتاب: الحربي، محمد بن أحمد، إقراء باسم ربك، ط ١ - نادي
جازان الأدبي ١٤٢٢هـ.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٣١.

والتعليم،^(١) ويرفع من مكانته في نفوس المسلمين. ولا شك إن لذلك الأمر تأثيره على المسلمين في حب العلم والحرص عليه، بكافة أنواعه - كما مر سابقاً - واهتم أصحاب السنن بذلك، فوضع البخاري في صحيحه كتاباً سماه (كتاب العلم)،^(٢) أورد فيه ثلاثة وخمسين باباً، في أحاديث عديدة وشرح آيات مختلفة مثل قوله - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٩]. وقوله - تعالى -: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقد قال الرسول ﷺ: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَاسْلُطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)).^(٣)

وكان الرسول ﷺ يأمر المتعلم بتعليم الآخرين، فقد حث النبي ﷺ وفد عبد القيس على تعليم قومهم، فقال لهم: ((ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ)).^(٤)

(١) لمزيد من التوسع راجع كتاب: الوكيل: محمد السيد، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه الراشدين، ط ١ - جدة: دار المجتمع ١٤٠٦ هـ.

(٢) انظر: صحيح البخاري، الكتاب الثالث، كتاب العلم، وفيه (٥٢) باباً من الح برقم: ٥٩ إلى الح برقم: ١٣٤.

(٣) صحيح البخاري ح برقم: ٧٣، وسيأتي تفصيل أكثر عن الحكمة في هذا المجلد.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، ح برقم: ٨٧.

القراءة والكتابة في حياته ﷺ:

تأتي الكتابة عند الحديث عن العلم، فهي قيد العلم، ومجال حفظه وتناقله عبر الأماكن والبلدان والأزمان، ولا بد من التأكيد على حال النبي ﷺ وأن أميته معجزة له، قال - تعالى -: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطُلِينَ ﴾ [العنكبوت: (١)].

ولا بد هنا من التذكير بأنه منذ نزول القرآن وأول آياته على الرسول ﷺ الأمي، وهو يُذكر بالعلم والقلم، قال - تعالى -: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق: (٢)].

وجاءت تسمية سورة من سور القرآن الكريم بالقلم وفيها قوله - تعالى -: ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: (٣)].

ومع القلم تذكير بالعلم، وأنه من الله وبأهم أدواته وهو القلم، الذي يكتب به العلم، في وقت كان العرب يسودهم الجهل والامية والخرافات والأساطير، مع وجود نزر بسيط من التعليم في المراكز الحضرية. وخصوصاً عن أهل الكتاب في بلاد العرب.

روى عبادة بن الصامت قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدْرُ قَالَ: فَكَتَبَ مَا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٠١٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٠٢.

يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)).^(١)

ولعل من الصعب متابعة انتشار الكتابة بين المسلمين قبل الهجرة وتمييزهم عن غيرهم.

وفي مكة كان همُّ الرسول ﷺ حماية المسلمين وتبليغ الدعوة، ومع ذلك وجد بين الصحابة من يعرف القراءة والكتابة، حيث عرف المسلمون قيمة الكتابة من أول البعثة، فنحن نجد أن فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد في مكة كانا يقرآن سورة طه من صحيفة بين أيديهم مع خباب بن الأرت، وذلك حين دخل عليهم عمر بن الخطاب واكتشف إسلامهم.^(٢)

وحين صعب عليه ﷺ إقامة مجتمع مسلم في مكة، سعى ﷺ لمعاهدة الأنصار في العقبة للهجرة إليهم وبناء مجتمع مسلم، يكون فيه للعلم والمعرفة مكانة خاصة، ولا شك أن الكتابة أهم ما يرتبط بالعلم من أدواته وحفظه، وحين هاجر ﷺ كانت الكتابة في المدينة تتركز بالدرجة الأولى لدى اليهود، الذين كانوا يعرفون الكتابة والقراءة ويعلمونها أبناءهم فيما يعرف بالمدارس،^(٣) وكان تركيزهم في وقتها على الحروف العبرية، يكتبون بها اللغة العربية، يشاركونهم في ذلك الأوس والخزرج. وقد تعلم على يهود بعض من الأوس والخزرج، منهم بعض كتاب النبي ﷺ من الأنصار.^(٤)

(١) أحمد في المسند، حديثُ عبادة بن الصَّامت، ح برقم: ٢٢١٨٥؛ ورواه الترمذي في سننه، ح برقم: ٢١٧٥؛

أبو داود في سننه، باب في القَدَر، ح برقم: ٤١٤١؛

ابن أبي شيبة في مصنفه، باب أوَّل ما فُعِلَ وَمَنْ فَعَلَهُ، ح برقم: ٣٥٢٧١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٣٤٥؛ وانظر: عبد العزيز العُمري، رسول الله وخاتم النبيين - دين ودولة - (إسلام عمر بن الخطاب ﷺ).

(٣) راجع: محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي، ص ٩٩.

(٤) انظر: مصطفى الأعظمي كتاب النبي ﷺ، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ.

ومع أن المسلمين يقدرّون قيمة الكتابة منذ نزول آيات سورة القلم، وقد حث ﷺ على انتشار الكتابة والقراءة، فكان تعلمُ القراءة والكتابة من أهداف كثير من الصحابة ﷺ في المدينة بعد الهجرة. وكان عبادة بن الصامت ﷺ يُعلم أصحاب الصُفّة القراءة والكتابة.^(١)

وبعد نهاية غزوة بدر كان هناك مجموعة من الأسرى من مشركي قريش ممن يحسنون الكتابة والقراءة، لا مال لديهم لفساء أنفسهم من الأسر، فقبل الرسول ﷺ أن يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان المدينة الكتابة والقراءة، مقابل أن يطلق سراحه.^(٢) فتعلم يومئذ الكتابة والقراءة جماعة من غلمان الأنصار. وكان هذا الأمر سبباً في كثرة القراءة والكتابة في مجتمع المدينة. ولا شك أن هؤلاء المتعلمين ساهموا بعد ذلك في تعليم غيرهم. القراءة والكتابة، وتدوين العلم، وعلى رأسه كتابة القرآن والسنة التي بدأت في أيام الرسول ﷺ وتُعد من أهم أسباب انتشار الكتابة. وكذلك الحال في كُتّاب النبي ﷺ، الذين ساهموا في كتابة رسائله إلى أمرائه وإلى ملوك العالم الذين وصل عددهم بعد ذلك إلى قرابة ستين كاتباً.^(٣)

ولعل أهمية حقوق الآخرين وضرورة توثيقها تعد دافعاً رئيسياً للكتابة. وهذا ما أشارت إليه أطول آية في القرآن الكريم التي عرفت بآية الدين في

(١) د. أكرم العُمري المجتمع المدني في عهد النبوة القسم الأول ص ٩٦.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦١؛ انظر: عبد العزيز العُمري، رسول الله وخاتم النبيين - دين ودولة -، (غزوة بدر)، القسم الثالث، ص ٦٠٧.

(٣) انظر: مصطفى الأعظمي، كُتّاب النبي ﷺ، ص ١٧٩؛ وانظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة؛ وأحمد عبد الرحمن عيسى، كتاب الوحي، ط ١ - الرياض: دار اللواء ١٤٠٠هـ؛ وجمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي حديدة، المصباح المضيء في كتاب النبي ﷺ.

قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُوبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَؤُا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨٢﴾

[البقرة].^(١)

وعُرف أن بعض النساء كنَّ يُجِدْنَ الكتابة ويعلمنَّها بعض النساء في عصر الرسول ﷺ. ولعل ذلك كان بتشجيع من النبي ﷺ ولا شك أنه بإقرار منه، فقد ورد أن الرسول ﷺ قال للشفاء بنت عبد الله - وهى من بنى عدي ابن كعب من قريش - أسلمت وهاجرت إلى المدينة ((أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقِيَّةَ النَّمْلَةَ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ)).^(٢)

وإذا كانت الشفاء قد علَّمت أم المؤمنين حفصة الكتابة فإنه لا يستبعد أنها علَّمت غيرها من النساء. كما أنه وجد غيرها من معلمات النساء القراءة والكتابة في المدينة في العصر النبوي.^(٣) ونحن نعلم أن الحث على العلم

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٤٠ - ٣٤٢.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/١٨٤.

(٣) انظر: عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، (القراءة والكتابة)، ص ٣٥.

والتعلم الوارد في السنة النبوية وقبله في القرآن الكريم ليس خاصاً بالرجال دون النساء، بل عاماً للأمة بكافة أجناسها وأعمارها وفئاتها. وقد أكد ابن القيم جَوَازُ تَعْلِيمِ النِّسَاءِ الكِتَابَةَ^(١) ولا شك أنه استقاه من أدلة متعددة خدمت الموضوع.

وكان ﷺ يوجه تعليمه للنساء، وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت)).^(٢)

ولعل تصوّر عدد الكُتَابِ في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ وارتفاع عددهم بعد الهجرة بحوالي أربع سنوات. يعطينا انطباعاً عن مدى انتشار الكتابة في المدينة، وبتأثير مباشر من الرسول ﷺ وأحكام الشريعة وتطبيقها، حيث من المتوقع أن العدد تضاعف ثلاث أو أربع مرات. باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان وقال أنس نسخ عثمان المصاحف فبعث بها إلى الآفاق.^(٣) عن ابن عباس رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلاً، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين)).^(٤)

(١) انظر: ابن القيم زاد المعاد، ج ٤/١٨٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢/٣٠٧ ح برقم: ١٦٦١ (طبعة أحمد شاكر)؛

ورواه ابن حبان في صحيحه، ج ٩/٤٧١، ح برقم: ٤١٦٣؛

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، ج ٨/٣٣٩؛

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٤/٣٠٦، ح برقم: ٨٨٠٥ (مع اختلاف في الألفاظ).

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم

بالعلم وقال أنس نسخ عثمان المصاحف فبعث بها إلى الآفاق، ج ١/٢٣.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم

بالعلم ... إلخ، ج ١/٢٣، ٢٤.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كتب النبي ﷺ كتاباً أو أراد أن يكتب فقبل له: إنهم لا يقرءون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة نقشه "محمد رسول الله"، كآني أنظر إلى بياضه في يده)).^(١)

* * * * *

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم ... إلخ، ج ١/٢٣، ٢٤.

علمه ﷺ بالأديان والمذاهب:

قابل ﷺ كفار قريش ودينهم باطل ولا حجة لهم، ومناقشة القرآن الكريم لعقائدهم فيها وضوح وجلاء، مع أنهم دخلوا في حوار مع النبي ﷺ، لكنهم بلا علم يذكر.

ولعل كثرة الحديث في القرآن الكريم عن بني إسرائيل وعن أنبيائهم، وعن قصصهم تبين مدى علم رسول الله ﷺ بدينهم، وهو ﷺ أعلم الناس بالقرآن وبتأويله، وقد قابل ﷺ عدداً من يهود قبل الهجرة. وقد جرى بين رسول الله ﷺ ويهود وخصوصاً في المدينة بعد هجرته ﷺ لقاءات عديدة، ومناقشات لما هم عليه، بعضها في مدارس يهود وبين علمائهم، كان يحدثهم ﷺ بما في توراتهم، بما يظهر أنه أعلم منهم بدينهم وكتابهم.^(١)

ويؤكد معرفتهم برسول الله ﷺ قال - تعالى - : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة).^(٢)

روي عن الفلّتان بن عاصم، وذكر أن خاله قال: (كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ شَخَّصَ بصرُهُ إلى رجل؛ فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان، قال: فجعل النبي يكلمه، وهو يقول: يا رسول الله؛ فقال رسول الله: "أشهد أني رسول الله؟" قال: لا. قال رسول الله: "أتقرأ التوراة؟" قال: نعم. قال: "أتقرأ الإنجيل؟" قال: نعم. قال: "القرآن؟" قال: لا، ولو تشاء قرأته. فقال النبي: "فيمَ تقرأ التوراة والإنجيل أتجدني نبياً؟" قال: إنا نجد نعتك ومخرجك؛ فلما خرجت رجونا أن تكون فينا، فلما رأيناك عرفنا أنك لست به. قال رسول الله: "ولمَ يا يهودي؟" قال: إنا نجده مكتوباً يدخل من أمته

(١) انظر: محسن بن محمد بن عبد الناصر، حوار الرسول ﷺ مع اليهود، الكويت: دار الدعوة للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٢٢٠.

سبعون ألفاً بغير حساب، ولا نرى معك إلا نضراً يسيراً. فقال رسول الله: "إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً".^(١)

والنبي ﷺ كان يُلْزِمُ أهل الكتاب بما في كتبهم من العلم، وينعى عليهم مخالفتهم لما جاءت به رسلهم، وكانوا؛ لعلمهم بالكتاب يوجهون أسئلة تشتمل على شيء من الدقة والمعرفة، وإن كانوا ضالين على علم.^(٢)

قال - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجناتية].

وفي قصة رجم الزاني اليهودي واليهودية ما يدل على معرفته ما في توراة يهود، فقد روى عن البراء بن عازب قال: ((مَرُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَهُودِيٍّ قَدْ حُمِّمَ وَجْهُهُ، وَهُوَ يُطَافُ بِهِ، فَنَاشَدَهُمْ: مَا حَدُّ الزَّانِي فِي كِتَابِهِمْ؟ قَالَ: فَأَحَالُوهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَنَشَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا حَدُّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ فَقَالَ: الرَّجْمُ، وَلَكِنْ ظَهَرَ الزَّنَا فِي أَشْرَافِنَا، فَكَرِهْنَا أَنْ يُتْرَكَ الشَّرِيفُ وَيُقَامَ عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَوَضَعْنَا هَذَا عَنَّا، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجِمَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا مَا أَمَاتُوا مِنْ كِتَابِكَ)).^(٣)

وقد قابل ﷺ عدداً من زعماء النصرانية وعلمائها، فكان يناقشهم في

(١) انظر: محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السنة النبوية، ص ٨١.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ١٠/٤٠٧؛

ابن كثير في صحيح السيرة النبوية، ص ٧٤؛

انظر: محمد إبراهيم آل حمد، الحوار في السنة النبوية، ص ٨١.

(٣) ابن أبي شيبة في مصنفه، مسألة رَجْمِ الْيَهُودِيِّ وَالْيَهُودِيَّةِ، ح برقم: ٣٥٣٩٧؛

وروا مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رَجْمِ الْيَهُودِ أَهْلِ الدِّمَّةِ فِي الزَّنَى، ج ٥/١٢٢،

١٢٣؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب رَجْمِ الْيَهُودِيِّ وَالْيَهُودِ، ج ٢/٨٥٥؛

رواه الترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب في رَجْمِ أَهْلِ الْكِتَابِ، ج ٤/٤٣، ٤٤، ح

برقم: ١٤٣٦، ١٤٣٧؛

ورواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رَجْمِ الْيَهُودِيِّينَ، ص ٧٩٨.

وقد قابل ﷺ عدداً من زعماء النصرانية وعلماؤها، فكان يناقشهم في دينهم، بالتي هي أحسن، فيتضح لهم أنه أعلم بدينهم منهم، وقوله الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: (١)].

وقوله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: (٢)].

وفي قصة إسلام عبد الله بن سلام ما يدل على مناقشته ﷺ لعبد الله بن سلام قبيل إسلامه، وليهود قبل علمهم بإسلامه، وعلمه ﷺ بما هم عليه، وعلمهم بصدقه. (٣)

وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: (٤)] وكان ﷺ يتمثل ما في الآيات في حوارهِ مع أهل الكتاب عموماً، وهو أعلم بدينهم منهم، وقد صرح ﷺ بذلك في لقائه بعدي بن حاتم ﷺ قبل إسلامه حال كونه قسيساً.

وقصته مع عدي بن حاتم الطائي، القس حين كانت النصرانية تنتشر في عدد من الحواضر والقبائل في بلاد العرب. وكان أهلها أهل كتاب ذوي علم. وقد وصلتهم دعوة النبي ﷺ، فكان لبعضهم وفود وأفراد قابلوا الرسول ﷺ وآمنوا به. (٥) وكانت صلات رسول الله ﷺ تحقيقاً لعالمية رسالته ورحمته الشاملة لكل أهل الأرض. كما أن علمهم بالأنبياء السابقين،

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٤٣٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٨١.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٢/٢٣٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٨٦ - ٥٩٣.

(٥) انظر: الفصل الخاص بالوفود عند فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٩٣.

وانتظارهم لآخر الأنبياء وخاتمهم كان مما يميزهم عن غيرهم ومن وفودهم. وقد توجه عدي بن حاتم بعد ذلك من الشام إلى المدينة المنورة لمقابلة رسول ﷺ، وذلك في أواسط السنة التاسعة من الهجرة.^(١)

(و حين وصل المدينة استشرفه الناس. ويظهر أنه وصل بشكل ملفت للنظر سواء في لباسه أم في موكبه، وربما من يرافقه، بحيث لفت أنظار أهل المدينة إليه، ثم دخل المسجد على رسول الله ﷺ فسلم عليه فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً، فقذفها إليّ فقال: اجلس على هذه قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً؟^(٢) قال قلت: بلى. قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قال قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل، ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على

(١) من رواية بن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢.

(٢) الركوسية: من مذاهب النصرانية المعروفة في زمن النبي ﷺ (انظر: المعجم الوسيط،

بعيـرها (حتى) تزور هذا البيت لا تخاف. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، قال: فأسلمت.

وكان عدي يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وإيم الله لتكونن الثالثة ليفيـضن المال حتى لا يوجد من يأخذه.^(١)

وقد انتهت مقابلة عدي بإسلامه على يد رسول الله ﷺ عن اقناع تام اتضحت من خلال حديثه عن لقائه مع رسول الله ﷺ، ومن خلال ما رأى من تواضعه ﷺ وكرمه وحسن خلقه ومعرفته بالنصرانية وأصلها وما أصابها من انحراف. وما كان يقوم به عدي من أخذ المرباع من النصارى وهو محرم عليه. ولعله حاور الرسول ﷺ في أكثر من موقف وأكثر من يوم أثناء وجوده في المدينة. ومن ذلك أنه (دخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة فقراً رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحَدًّا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة]، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى. إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم، وقال رسول الله ﷺ: يا عدي، ما تقول؟ أيفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يفرك؟ أيفرك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله غير الله؟ ثم دعاه

(١) الطبري، تاريخه، ج ٣/١٥٠؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه؛ وانظر: ابن أبي شيبة،

الغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨١.

للإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق).^(١)

وتتضح معرفته بجلاء بالنصرانية مع وفد نصارى نجران:^(٢)

وهي منطقة واسعة في جنوب الجزيرة العربية،^(٣) تقطنها قبائل متعددة وبها حواضر مختلفة، وقد انتشرت فيها النصرانية وقويت قبل الإسلام.

كانت ترتبط بعلاقات قوية مع نصارى العرب في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وكذلك الحبشة.^(٤) ويقع بينهم تبادل ثقافي ديني، حيث ينتقل علماء النصرانية العرب، منها وإليها. ولذلك عُدت معقلاً قوياً للنصارى في عهد النبي ﷺ.^(٥) وقد عرفوا دعوة الرسول ﷺ قبل هجرته من مكة،^(٦) كما ثبت بطرق مختلفة سماع الرسول ﷺ لقس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران في زمانه وهو يخطب في سوق عكاظ.^(٧)

وقد كتب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران كتاباً. فلما أتى أسقفها الكتاب فقرأه، وذعر ذعرا شديداً، وبعث إلى رجل من علماء النصرانية في نجران، فتبادلوا الرأي، ثم أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورُفعت النيران والمسوح في الصوامع. وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع. فاجتمعوا

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٨٧٤.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج ٥/١٢٠.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٥/٢٦٦.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٤.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٦.

(٦) انظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوية والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام، ص ١٩.

(٧) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٦.

حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله - وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل - فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا وفدًا منهم للرسول ﷺ^(١).

ونتيجة تباحث علمائهم وتبادل الرأي قدم منهم ستون راكبًا: منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم (العاقب) أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرن إلا عن رأيه وأمره، واسمه عبد المسيح، و(السيد) ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل (أسقفهم) وحرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم. وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه، من علمه واجتهاده في دينهم.

وصل الوفد المدينة ووضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حلالاً لهم يجرونها من الحبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران فيشتري لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار والمهاجرين في مجلس فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٧٠، ٣٧١.

كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما أنعود؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن ما أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك فوضعوا حللهم وخواتيمهم ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فرد سلامهم^(١).

وقال رسول الله ﷺ لأسقف نجران: ((يا أبا الحارث أسلم، فقال: إني مسلم، قال: يا أبا الحارث أسلم، قال: قد أسلمت قبلك، قال نبي الله: كذبت، منعك من الإسلام ثلاثة: دعاؤك لله ولداً، وأكلك لحم الخنزير، وشربك الخمر)).^(٢)

وقد دارت بينهم وبين رسول الله ﷺ مناقشات طويلة، حيث قال رئيسهم لرسول الله ﷺ تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، ثم قال أحدهم من أبو عيسى؟ من أبو عيسى؟ فسكت النبي وكان لا يعجل حتى يكون ربه هو يأمره، فأنزل الله - تعالى - عليه قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران].^(٣)

وحيثما نزلت آيات الملاعنة على رسول الله ﷺ دعاهم إلى الملاعنة،

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦٢٩ - ٦٣٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩؛ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/٢٥٩؛ وعمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٥٨٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٦٩.

وواعدهم من الغد. فتشاوروا فيما بينهم وكانوا من علماء النصارى، فقال بعضهم فوالله إن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا،^(١) وقال: (... لا يبقى على وجه الأرض منّا شعر ولا ظفر إلا هلك).^(٢)

ثم إن بعضهم عندما رأوا إنصاف رسول الله ﷺ وحسن حديثه وصدقه أجمعوا على أن ينزلوا تحت حكمه وبما يأمر. ولا يلاعنوه، حيث قال زعيمهم شرحبيل: (إني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً).^(٣)

فلما أقبل رسول الله ﷺ من الغد كان معه فاطمة والحسن والحسين وعلي ﷺ، فدعاهم ﷺ فخافوا ولجأ بعضهم في نواحي المسجد لما يعلمون من إجابة دعوته، خوفاً أن يدعو عليهم. ثم أقبل زعيمهم شرحبيل على رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت خيراً من ملاعنتك، قال ﷺ: وما هو؟ فقال: حكمك إلى الليل وليلتك إلى الصباح مهما حكمت فينا فهو جائز، فقال ﷺ: لعل وراءك أحد يثرب عليك، فقال: سل صاحبي، فسأله ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل، فرجع ﷺ ولم يلاعنهم، فأتوه في الغد وصالحهم وكتب لهم كتاباً.^(٤)

وفي هذه الحادثة نزلت آيات الملاعنة من سورة آل عمران ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَىٰ

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٥٨٤.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٧١.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦٤٣.

(٤) انظر نص الكتاب عند: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٥٨٤ - ٥٨٦؛ وانظر: أبو يوسف،

كتاب الخراج، ص ٧٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج ١/٣٥٨.

الْكَذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴿آل عمران﴾. (١) وفي أول الآيات وآخرها مناقشة علمية عقلية عامة النصرى في كل زمان ومكان: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿آل عمران﴾. (٢)

وحين اتفق الرسول ﷺ مع نصرى نجران طلبوا منه: (أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا؟ فقال ﷺ: "لأبعثن معكم رجلاً حق أمين"، حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: "قم يا أبا عبيدة بن الجراح"، فأرسله معهم). (٣)

وحينما عاد الوفد إلى نجران دافعوا عن أنفسهم أمام قومهم، وأنهم كتبوا العهد ودفعوا الجزية خشية دعائه عليهم، وأظهروا معرفتهم بنبوته. ومع ذلك لم يسلموا، فبادر اثنان منهم إلى اللحاق فوراً برسول الله ﷺ في المدينة، وقد أسلم أحدهما ويسمى بشر، ولحق برسول الله ﷺ حتى استشهد بعد ذلك. (٣)

وقد بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة إلى نجران، فكان قدوة حسنة داعية مباركاً، وعاملاً إدارياً مالياً قام بمهمته خير قيام. (٤) وقد كانت تجري بينه وبين علماء النصرى في نجران مناقشات علمية حول ما نزل في القرآن، وكذلك بينهم وبين بقية الصحابة الآخرين الذين كان يبعثهم رسول الله ﷺ إلى نجران. ومن ذلك ما رواه المغيرة بن شعبه ﷺ قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا لي: إنكم تقرؤون. ﴿يَتَأَخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٦٩.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٨؛ وانظر: صحيح البخاري، باب قصة أهل نجران، ج ١٢١/٥.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥/٥٥.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩.

كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مريم] ^(١) وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين فلم أدر ما أجيبهم به ، حتى رجعت إلى النبي ﷺ فسألته فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين من قبلهم)). ^(٢) وهذا جواب من رسول الله ﷺ يدل على معرفته التامة بالنصرانية وأهلها.

والمتابعة لمناقشات ﷺ لوفود نصارى العرب عليه ﷺ من تغلب وطي وجذام وغسان والداريين ، تكشف عن معرفته ﷺ للنصرانية ، ومدى إقناعه لأهلها ببطلانه. ^(٣)

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٨٥.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩؛ والحديث أخرجه مسلم من طريق ابن أبي شيبة؛ وانظر:

ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٨٥.

(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين) القسم الرابع، وفود نصارى العرب.

علمه ﷺ بالأماكن والشعوب والقبائل:

كان ﷺ من المترددين على أسواق العرب التي كثيراً منها ما يكون موسمياً، حيث يقدم العرب إلى سوق عكاظ قرب الطائف،^(١) ثم ينصرفون منه للحج لقرب زمنه، ثم تتصل الأسواق إلى مجنة وذو المجاز.^(٢) كما سافر في تجارة خديجة لأماكن متعددة، مما أكسبه قبل البعثة وقبل نزول الوحي، معرفة بالعالم المحيط به، وبأحواله وتجارته وقبائله وطرق التجارة، وغير ذلك من معلومات جغرافية أصبحت عوناً له ﷺ في مستقبل حياته وسيرته ﷺ.^(٣)

فقد ذكر عنه ﷺ ما يدل على شهوده الأسواق وسماعه من خطبائها وشعرائها، فقد سمع قس بن ساعدة الإيادي وهو ينشد في سوق عكاظ.^(٤) وعند بعثته ﷺ وظهر دعوته حاربه قومه منذ البداية، مع أن دعوته ﷺ عالمية ليست محصورة بمكة وأهلها، فهي للخلق من أنفسهم وفيهم.

وتتنزل عليه من الآيات من أول البعثة تؤكد عالمية رسالته وإنها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء].^(٥)

(١) انظر: ناصر الرشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام. تاريخه ونشأته وموقعه، ط١- القاهرة: دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

(٢) راجع: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٤هـ.

(٣) انظر: السهيلي، الروض الأنف، ج١/٢٨٦: الحلبي، السيرة الحلبية، ج١/٢٣٨.

(٤) انظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٩٥:

وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الأول، ص ٢٣٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٥٧.

وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الفاحة].^(١)

وقد تعلم ﷻ من ربه سعة علم الله، وعظم الخلق وقدرته، وكثرة الشعوب والقبائل كما في قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٣﴾ [الحجرات].^(٢)

فما كان ﷻ ليحصر نفسه في مكة، ومنذ البداية كان يدعو في الأسواق المجاورة لمكة، وبين القادمين لمكة من خارجها.

كان القرآن يتوالى نزولاً على رسول الله ﷻ بقصص الأمم السابقة ومواطنهم وما فيها، وأن الله ﷻ سينشر هذا الدين في كل مكان، ويسمي لهم بعض البلدان ومستقبل الإسلام فيها، في وقت يتعرضون فيه للأذى والاضطهاد، كان هدفهم في المرحلة الأولى من الدعوة وحين اشتد عليهم الأذى حفظ أنفسهم مع الثبات على الدين وتقديمه على كل شيء، لو أدى الأمر لتترك موطنهم مكة (فراراً بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان).^(٣)

وكان الرسول ﷻ على معرفة بالممالك المجاورة لبلاد العرب، وبأوضاعها الدينية والسياسية ومدى العدل بين ملوكهم وأنظمتها واحترامها للإنسان وحقوقه، ولذلك فكر الرسول ﷻ في ملجأ يحتمي به المسلمون، ودار هجرة تحميه سواء دار هجرة مؤقتة أم الدائمة بصحبة الرسول ﷻ، وقد كانت الآيات القرآنية تنزل على الرسول ﷻ تشير إلى سعة أرض الله، وإلى الصبر، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا انْفَعُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٦٦/١، ٦٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٧٥١/٢.

(٣) انظر: البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب هجرة الحبشة، ج ٤/٢٤٤.

الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر]، (١)
 وفي قوله - تعالى - : ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [العنكبوت]. (٢)

كما كان ﷺ من المترددين على أسواق العرب التي كثيراً منها ما يكون موسمياً حيث يقدم العرب إلى سوق عكاظ قرب الطائف، (٣) ثم ينصرفون منه للحج لقرب زمنه ثم تتصل الأسواق إلى مجنة وذى المجاز. (٤)

كما أشارت الآيات إلى الهجرة في بلاد الله الواسعة كما في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ [النساء]. (٥)

وكان ﷺ يغشى تجمعات القبائل في موسم الحج. وكان يقول: ((يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثي به)). وكان أبو لهب يصد الناس عنه ويحصبه ويقول لهم إنه مجنون، فكان بعضهم يرد عليه رداً قبيحاً،

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٤١.

(٣) انظر: ناصر الرشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام .. تاريخه ونشأته وموقعه، ط ١ - القاهرة: دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

(٤) راجع: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٣ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٤هـ.

(٥) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٢٢.

ويقول للرسول ﷺ قومك أعلم بك ويردون عليه رداً قبيحاً.^(١)

ومناداته للقبائل بأسمائها تتم عن معرفته وعلمه بتلك القبائل ومواطنها، وشيء من أحوالها.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصحب النبي ﷺ حينما كان يطوف على القبائل، وخصوصاً في موسم الحج. وهذا يزيد علمه بالقبائل بمصدر بشري موثوق وخبير، ولا شك أنه كان يحدث النبي ﷺ عنهم فيضيف خبرة أخرى لمعرفته بالقبائل ومواطنها وعددها وقوتها. وكان أبو بكر يسأل أحياناً ((كيف العدد فيكم؟ وكيف المنعة؟)).^(٢) والرسول ﷺ يسمع لإجابتهم.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ في السنة العاشرة من البعثة والسنة التي تلتها أكثر من عرض نفسه على القبائل وخصوصاً بعد عودته من رحلته إلى الطائف.^(٣) وقد نقلت المصادر بعض التفاصيل عن تلك اللقاءات.

وممن عرض الرسول ﷺ نفسه عليهم من القبائل في موسم الحج بنو عامر ابن صعصعة، فقال أحد أشرفهم وهو بحيرة بن فراس: واللّه لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم سأل النبي ﷺ: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر لله يضعه حيث يشاء، فقال: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإن أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك.^(٤)

فكان ردهم عليه: إن أحببت أن نؤويك وننصررك مما يلي مياه العرب

(١) انظر: ابن كثير، السيرة، ج ٢/١٨٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٤٢٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج ٣/٤٩٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٢/١٦٦.

(٣) انظر إلى أسماء هذه القبائل وقصة عرض الرسول ﷺ نفسه عليهما عند ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١/٤٢٤؛ وراجع السمعاني في كتابه الأنساب.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٤٢٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٢/١٧١.

فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: ((ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله ﷻ لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله - تعالى - أرضهم وديارهم ويعرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان: اللهم فلك ذلك يا أبا قريش فتلا عليهم رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ثم نهض ﷺ)).^(١)

وقد جاء وفد الأنصار في رجب قبل بيعة العقبة الأولى بأشهر وقابل الرسول ﷺ وعرفهم وعرفوه.^(٢)

ولا شك أن نقاشه معهم يدل على معرفته بالبلدان ونفوذ القبائل والشعوب فيها.

وقد أشار الرسول ﷺ إلى ملجأ ومخرج لأصحابه بما يعلمه من أحوال الأمم، فقال ﷺ لأصحابه: ((لو خرجتم لأرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه)).^(٣) فما هو يظهر معرفته بالحبشة، وبملكها وأخلاقه وعدله.

ولعل في رحلته إلى الطائف ولقائه بعداس ما أدهش عداساً وقد جاء غلام نصراني يعمل لابني شيبه في المزرعة - ويسمى (عداساً) - جاء بقطيف من عنب إلى الرسول ﷺ فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ: ((بسم الله الرحمن الرحيم)) ثم أكل، فأندهش عداس ونظر إلى النبي ﷺ

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/١٦٧، ١٦٨؛ والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج٢/٥٩٦ - ٥٩٨؛ والصلابي، السيرة، ج١/٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٢٥؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٤؛ وانظر: بيعة العقبة الثانية من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٠.

وقال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ((ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟)) قال عداس نصراني من أهل نينوى، فقال ﷺ: ((من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟)) فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال ﷺ: ((ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي))، فأكبَّ عداس يقبل رأس رسول الله ﷺ.

كان ابنا ربيعة يراقبان الموقف فقال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالوا له: يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال عداس: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي، فقالوا له: ويحك يا عداس! لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.^(١)

ولعل لقاءاته ﷺ بالوفود المختلفة تكشف عن معرفته بتلك القبائل، سواء منها من لقيه قبل هجرته ﷺ أم بعدها.

ومن الأمثلة على ذلك أن الدارين وهم من العرب في فلسطين، من النصارى العرب الذين وصلتهم دعوة الإسلام، ومناقشته ﷺ لوفدهم تدل على معرفته بهم وببلدهم، حيث قدم عشرة منهم إلى النبي ﷺ في المدينة بعد عودته من غزوة تبوك، وكانوا نصارى فأسلموا وقدموا للقاء النبي ﷺ فيهم تميم الداري وأخوه نعيم، وقد أقطع الرسول ﷺ تميماً أرضاً بالشام، وهي لم تفتح بعد. مما يدل على معرفته بها، وكان ﷺ على يقين بفتحها في القريب، وكان تميماً مصداقاً بذلك مؤمناً به ولذلك استقطع النبي ﷺ أرضاً، فلما فتحت الشام في زمن أبي بكر الصديق ﷺ أعطاه تلك الأرض

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٤٢٠؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١/٢١٢.

التي وهبها له النبي ﷺ.^(١)

ولعل هذا الإقطاع وإقطاعات أخرى كثيرة من رسول الله ﷺ لأفراد وقبائل في مختلف البلدان في بلاد العرب، أو البلدان التي ستفتح يدل على سعة معرفته بالأراضي الزراعية، وبالمناجم، والممالح والمراعي وغيرها، مما يحتاجه الناس من الأراضي وما فيها.^(٢)

ولعل مما يستشهد به على سعة علم رسول الله ﷺ بالقبائل والبلدان قصة وفد الأشعريين، الذين ينتسبون إلى أشعر بن زيد بن كهلان بن سبأ وموطنهم باليمن.^(٣)

فحين أقبل وفدهم وفيهم أبو موسى الأشعري ﷺ قال ﷺ: ((جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً والإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية)).^(٤)

وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: ((أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب، هم خيار من في الأرض)).^(٥) وقصة وفد طي على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة،^(٦) تدل على معرفته ﷺ بالقبيلة وبيعض زعمائها، وكان فيه سيدهم زيد الخيل.^(٧) وكان زيد شاعراً مشهوراً من فرسان الجاهلية، ذاع

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٤٤٢.

(٢) انظر: الآغا، مسعود يحيى، الإقطاع الإسلامي في العصر النبوي، ط ٢ - الرياض: الجمعية التاريخية ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

(٤) رواه مسلم، انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧؛ ورواه البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج ٥/١٢٢.

(٥) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ج ١/٥٧٢.

(٧) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٤.

صيته بين العرب واشتهر بالكرم، وقد أسلم ومن معه بعد لقائهم رسول الله ﷺ وحُسن إسلامهم. وأورد ابن هشام أن رسول الله ﷺ قال عنه: ((ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيتُه دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير وأقطع له فيداً^(١) وأرضين معه وكتب له بذلك))،^(٢) ولعل هذا الإقطاع وغيره من الإقطاعات النبوية، من أكبر الأدلة على معرفته ﷺ بالبلدان.

كما أن حديثه ﷺ عن الرجل يدل على مصادر تلقيه البشرية ﷺ عن الرجال والقبائل.

وقد أتى رسول الله ﷺ على عبد القيس وهي قبيلة من ربيعة بن نزار،^(٣) مواطنهم في نواحي البحرين منهم حاضرة وبادية، قدم وفد منهم قبل السنة الخامسة من الهجرة، وفيهم الأشج بن عبد القيس أحد حكمائهم، وأتى الرسول ﷺ عليه بقوله: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة)).^(٤)

والمطلع على ما في كتب الحديث عن فضائل الصحابة أو فضائل البلدان أو فضائل القبائل يدل على مدى علمه ﷺ بتلك القبائل والبلدان والأفراد.^(٥)

(١) مكان معروف شرقي حائل حالياً.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٧؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/ ٣٢١.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/ ٢٠٧؛ ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٥.

(٤) هو: عبد الله بن عوف، وقيل المنذر بن عوف؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٣٥٦؛

انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع

الدين والدعاء له، ج١/ ٣٦ - ٣٧؛ وكتاب المغازي باب وفد عبد القيس، ج٥/ ١١٦.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الفضائل، بأبوابه المتعددة، ج٤/ ١٨٨ - ٢٢١؛ وكتاب

المناقب، ج٤/ ٢٢١ - ٢٧٠؛

وانظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، ج٧/ ١٠٨ - ١٩٢.

علمه ﷺ بالكون والطبيعة:

لا شك أن ما نزل على رسول الله ﷺ من آيات عن خلق السموات والأرض وعن الكواكب وحركتها ومسيراتها هو علم من الخالق ﷻ نزله على رسوله ﷺ ليعلمه ويعلمه الناس، كما وردت أحاديث كثيرة عنه ﷺ مما علمه الله - سبحانه - في هذا المجال، وقد أقسم الله - سبحانه - بعدد من الكواكب وبالشمس والقمر في مواضع عدة من كتاب الله تعالى، ولا شك أنه ﷺ أعلم الخلق بما في كتاب الله وما تعنيه تلك الآيات وما فيها من قسم.

والمتابع للبخاري وغيره من كتب السنة وصحاحها يدرك كثرة ما ورد عن الكون في حديث رسول الله ﷺ. (١)

وقد أمر الله نبيه والأمة بالتفكير في الكون وفي خلق السموات والأرض ولا شك أن ذلك يزيد الإيمان ويرسخه، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤)

[البقرة]. (٢)

وكان ﷺ يفعل ذلك قبل النبوة وبعدها، ففي غار حراء حين كان يتحنث، كان يتفكر في الخلق، ويوحد الخالق. (٣)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، وما فيه من أبواب، ج ٤/٧٣ - ١٠١؛

وانظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، ج ٧/١٠٨ - ١٩٢.

(٢) انظر: ابن كثير، في تفسير، ج ١/٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الأول، نزول الوحي.

وكان أكثر عمل أبي الدرداء رضي الله عنه التفكير وذلك مما تعلمه من رسول الله ﷺ كما روي عن زوجته رضي الله عنها.^(١)

ولقد وردت مادة فَكَّرَ في القرآن الكريم بصيغ «فَكَرَّ» و«يَتَفَكَّرُونَ» و«تَتَفَكَّرُونَ» و«أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا» و«ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا» والتفكير معناه التدبير، والتأمل والنظر والاستدلال والتبصُّر، وكلها تعني إعمال الفكر وتفعيله وتنشيط العقل واستخدامه. ويأتي على رأس ذلك التفكير في الكون وعظيم خلق الله.^(٢)

والتفكير في الإسلام عبادة من العبادات عالية القدر، مارسها الأنبياء، والمرسلين ﷺ، والعلماء، والصالحين، ثوابها عظيم، وقد أثنى الله ﷻ على الذين يستعملون عقولهم الاستعمال الحسن، في التعرف على الكون ويوظفونها في تعظيم الخالق، ومعرفة السنن، وكذلك النظر في آيات الله وما نزل من عنده والتفكير فيها يعد من العبادة التي تقرب إليه. يقول - تعالى -

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].^(٣)

ويقول الله - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [٢٧] وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].^(٤)

(١) انظر: أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ١/٢٠٨.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، الآية

١٩١ من سورة آل عمران، ج ١/٤٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٦٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٥٤.

وقال - تعالى -: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس].^(٢)

ويقول - تعالى -: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل].^(٣)

ويقول - تعالى -: ﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجاثية].^(٤)

ويقول - تعالى -: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم].^(٥)

ومجالات التفكير المشروعة كثيرة لا يحصيها إلا من أوجدها، وهو الله تعالى؛ فالسماوات بما تحتويه من نجوم وشمس وقمر وكواكب مختلفة، ورد ذكر الكثير منها وعنهما في القرآن الكريم، يتعلم منها الخلق قدرة الخالق وعظمته، ومحدودية البشر أمام هذا الكون العظيم وما فيه من

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٦٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٦٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٥٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٩٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٥٠.

مخلوقات، منها ما يبصره ومنها ما لا يبصره، قال - تعالى - ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ [الحاقة]. (١)

وقد وصف الله المتفكرين في الكون بأولي الألباب، يقول الله - تعالى - : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١١١) [آل عمران]. (٢)

ويقول الله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِآ أَنهآ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٤) [يونس]. (٣)

ويقول الله - تعالى - : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦) [ق]. (٤)

ويقول الله - تعالى - : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٢٠) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ (٢٣) ﴿فِعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (٢٤) [الغاشية]. (٥)

كما أن هناك ظواهر كونية عاشها ﷺ كالرياح والأمطار والرعد والبرق، وتعاقب الليل والنهار، وتتابع الأيام والشهور والفصول والأعوام.

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٢٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٢٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٥٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٨٩، ١٩٩٠.

وتحدث عنها في مناسبات يصعب حصرها، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفِيْمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: (٣٦)].^(١)

وهي ميدان واسع للتفكير. بل ربما سمي باسمها بعض سور القرآن الكريم، مثل سورة الرعد، والقمر، والنجم، والفجر، والعصر، والضحى، والليل والشمس، والبروج، والطارق، وفي كل من هذه السور وفي غيرها ورد الحديث عن الكون والزمن والظواهر الطبيعية والوقت، وغيرها مما يرتبط بعلم الكون والتفكير فيه، مما يصعب إيرادها. ولا شك أنه ﷺ كان يتأمل ويتفكر، متعلماً مما علمه الله ﷻ، ومتفكراً بنفسه في هذه الظواهر، وربطاً إياها بعظمة الله وقدرته، وحده لا شريك له.

مع علمه ﷻ وتعليمه للناس أن كل ذرة من ذرات الكون إنما هي تسبح بحمد الله - تعالى - يقول الله - سبحانه -: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: (٢)].^(٢)

وقد وضع الله ﷻ في الكون قوانين ثابتة، وسنناً مطردة، إن أعمل الإنسان فيها فكره. برز فيها بعض العلماء.

والكون كله مسخر للإنسان. قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ حُرْمٌ مِمَّا حُرِّمَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الحج: (٦٥)].^(٣)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٧٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١١١٩، ١١٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٨٥.

وقال - تعالى -: ﴿الْمُتَرَوِّا أَنَّهُ لَئِن سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجناتية].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل].^(٤)

وكان ﷺ يصحح المفاهيم المغلوطة لدى الناس، ومنها عدم تأثر الكون بموت أحد أو حياة أحد من الخلق، يقول ﷺ حين مات ابنه إبراهيم وكسفت الشمس فقال الناس: انكسفت موت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ مَوْتَ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ، فَادْعُوا اللَّهَ، وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ)).^(٥)

كما يؤكد كتاب الله أن هذه الكواكب جزء من خلق لا تعبد من دون الله، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [٧٧] فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٦٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٩٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٣٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٥٨.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب لا تتكشف الشمس لموت أحد ولا لحياته، ج ٢/٢٩؛

وكذلك مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل باب، ح برقم: ٩١٥.

هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي
فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنعام].^(١)

كما يُعَلِّمُ ﷺ الناس حين تغير بعض الظواهر الكونية، كالخسوف أو الكسوف، أن ينفروا إلى الله الخالق للناس وللكون وما فيه، ويصلوا، ويمارس ذلك ويعلمه الناس، وقد وضع البخاري في صحيحه (كتاب الكسوف)، (باب الصلاة في كسوف الشمس)، أورد فيه عدداً من الأبواب وجملة من الأحاديث، ووضع مسلم في صحيحه، (كتاب الصلاة)، (باب صلاة الكسوف).^(٢)

كما كان ﷺ يُعَلِّمُ ما أودعه الله من حركة في الكون عن أبي بكره ﷺ قال خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر فقال: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحْرَمُ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلَدُ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ

(١) انظر: ابن كثير، في تفسير، ج ١/٦٩٩، ٧٠٠.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس،

رَبِّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ))، ثم قال: ((أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟)) قلنا: نعم. قال: ((اللهم اشهد))... الخ (الخطبة)).^(١)

((الشَّهْرُ هَكَذَا الشَّهْرُ هَكَذَا)) يُثَبِّتُ الثَّلَاثَةَ الْأَوَّلَ بِكُلِّ أَصَابِعِ يَدَيْهِ وَالثَّلَاثَ الْأَوَّخَرَ بِكُلِّ أَصَابِعِ يَدَيْهِ إِلَّا الْآخِرَ.^(٢)

((إِنَّا أُمَّةٌ أَمِيَّةٌ لَا نَكْتُبُ، وَلَا نَحْسِبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا))^(٣) يعني مرَّةً تسعةً وعشرين.

* * * * *

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٥؛ وانظر: أجزاء منها عند البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب إن عدة الشهور...، ج٥/٢٠٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٤٢؛

ورواه مسم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين، باب تحريم الدماء والأعراض والأموال، ج٥/١٠٧، ١٠٨.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، ج٨/٢٣٦، ح برقم: ٣٤٥٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: إذا رأيتم الهلا فصوموا...، ج٢/٢٢٩؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب الشهر يكون تسعاً وعشرين، ج٣/١٢٥.

علمه ﷺ بالزراعة والنبات:

من مظاهر الحياة الطبيعية على الأرض، التي لا غنى للإنسان عنها، فمنها الطعام والمرعى والوقود والزيوت والاعطور والدواء. وقد ورد الحديث عن الشجر مع آدم ﷺ كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٥)

[البقرة].^(١)

وقد علم ﷺ بما علمه الله بعض شؤونها، يقول الله - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّرَاةِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ أُثْمِينَ يُعْشَى الْأَيْلَ النَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) ﴿ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) [الرعد].^(٢)

وعن بركة النبات قال - تعالى - : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٦) [البقرة].^(٣)

وقوله - تعالى - : ﴿ أَمْنَ خَلَقَ السَّمْنَوتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَادِقَاتٍ بِهَجَاتٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (٦٠) [النمل].^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١١٧، ١١٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠٠٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٢٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٠٠، ١٤٠١.

وقوله - تعالى - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) [يس].^(١)

وقوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٦٦) [البقرة].^(٢)

وقوله - تعالى - : ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَهَا وَالْقِيَامَا فِيهَا رَوَّسَىٰ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنِ﴾ (٢٠) [الحجر].^(٣)

وقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآتَىٰ تَوْفُوكُونَ﴾ (٩٥) [الأنعام].^(٤)

كما اكتسب ﷺ شيئاً من علمها بطبيعته البشرية واختلاطه بالناس من الرعاة في شبابه ﷺ^(٥) ومن الأنصار في المدينة.

ويقول - تعالى - : ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١) [النحل].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٦٨، ١٥٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٣٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٠٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٠٦.

(٥) انظر رعيه ﷺ للغنم من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين) القسم الأول.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٥٧.

وقد وردت عدة آيات قرآنية جاء فيها ذكر للزراعة والنباتات والثمار، ومنها قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: (١٤)].^(١)

والقرآن يذكر الناس بمحدودية معرفتهم بالنباتات، وقدرة الله على التحكم فيه. يقول الله - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [٦٣] ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [٦٤] ﴿لَوْ دَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [٦٥] [الواقعة: (٢)].

وقد وردت أخبار مبكرة عن علاقة رسول الله ﷺ بالأشجار،^(٣) حيث كان في مكة بواد غير ذي زرع، لكنه عمل في رعي الغنم، في نواحي مكة. ومن المؤكد أنه كان يتتبع المناسب لما معه من أغنام، من نباتات تصلح للرعي.^(٤) ولعل مما ذكر منها شجر الأراك وهي شجرة طبيعية دائمة الخضرة، تزرع في مناطق الحجاز وخصوصاً المناطق الرملية من الأودية وقرب السواحل، كما تكثر في جيزان بالمملكة العربية السعودية، وهي في شكلها العام تشبه إلى حد كبير شجرة الرمان، أطرافها مغزلية، وأوراقها ذات أسطح ناعمة. تزهر ربيعياً، وتكون زهورها صفراء اللون، بها اخضرار بسيط. ومنها تخرج ثمار صغيرة، بحجم حبات الحمص، ذات طعم جيد، تسمى الكبات، ورد أنه ﷺ، كان يتتبعها ويأكل من ثمره. وإنَّ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢٦، ٧٢٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨١٧.

(٣) انظر: <http://iswy.co> (نقلًا عن صلاح الدين المنجد، أخبار الأشجار في القرآن الكريم والسنة النبوية) بتاريخ: ١٠/٢/١٤٤٢هـ.

(٤) انظر: رواية البخاري في صحيحه عن رعيه ﷺ للغنم، ج ٣/٤٨؛ وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، رعيه ﷺ للغنم، ج ١/٢٢.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ)) قَالُوا: أَكُنْتُ تَرَعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: ((وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا)).^(١) والسواك يؤخذ عادة من جذور الأراك.

كما ورد الحديث عن الطرفاء وقد صنَّع للنبي ﷺ منها منبره في المدينة المنورة.

وقد ذكر القرآن الكريم شجرة محددة، ارتبطت ببيعة الحديبية من الصحابة ﷺ، لرسول الله ﷺ في وقوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].^(٢)

ولعلها من أشجار السَّمَر، حيث تنتشر في المنطقة، بدليل نداء الرسول ﷺ للصحابة يوم حنين يا أصحاب السمرة.^(٣)

وقد كانت أشجار السدر تنتشر بكثرة في الطائف وما حولها، وقد دهش المسلمون حين رأوها، وسألوا الرسول ﷺ هل في الجنة سدر مثل سدر وج،^(٤) فأنزل الله - تعالى -: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [٢٧] فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ [الواقعة]^(٥) الآيات ويسمى السدر (النبق).^(٦) ووردت عنه أحاديث مختلفة منها ما يرتبط باستخدام أوراقه في النظافة.

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يعكفون على أصنام لهم، ج ٤/١٣٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٣٠.

(٣) انظر أحداث غزوة حنين: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٤٤٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٢٦، ٧٢٧.

(٥) انظر: ابن القيم: زاد المعاد ج ٣/١٥٦؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨١٠.

(٦) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/١٩٤.

كما جاء الحديث عن أشجار الجنة في مواضع كثيرة، منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكْبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا وَاقْرَأُوا إِنَّ شَيْئَكُمْ وَظِلُّ مَمْدُودٍ)).^(١)

كما أن للمطر دوراً رئيسياً في توفير المراعي وجودتها وفي سقيا المزارع، وفي الحياة النباتية والحيوانية على الأرض، والماء قوام حياة النبات وكل شيء، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَقَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف].^(٣)

ويقول - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر].^(٤)

وإذا هطلت الأمطار انحدرت فتسيل إلى الأراضي ترويتها بالماء، قال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة...، ج ٤/ ٨٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٣٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٦٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٦٢.

الْأَرْضِ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: ١].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة: ٢٧].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْثْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غَلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].^(٥)

ولعل صلاة الاستسقاء التي شرعه وطبقها ﷺ ، كانت للدعاء بأن يرزقهم الله بالمطر النافع.^(٦)

وكان أصحاب الرسول ﷺ يعملون بالزراعة في المدينة، وهم في المدينة من الأوس والخزرج أو من أحلافهما، ويمتلكون عددًا كبيرًا من البساتين والمزارع قرب المدينة، ويعملون في الزراعة بأنفسهم وبالاستعانة بغيرهم،

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٧٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٩، ١٦٦٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨١٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٦٠ - ١٩٦٢.

(٦) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب صلاة الاستسقاء، ج ٢/٢٠.

ولديهم خبرة وعرفة بالنبات والزراعة، وكان ﷺ يجلس إليهم ويسمع منهم، يعلمهم ويتعلم منهم ما يرتبط بتجاربتهم في هذا المجال. وحينما قدم المهاجرون إلى المدينة قالت الأنصار للنبي ﷺ: (اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا فقالوا: تكفونا في المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا) (١) ومن الأنصار من تصدق ببستانه كأبي طلحة الأنصاري، تصدق ببئر، حاء فدعا له ﷺ وأثنى عليه. (٢)

ومن أكثر الأنصار زراعة وأموراً سعد بن عبادة ﷺ، حيث قال للرسول ﷺ يوم الهجرة: (ليس من قومي أكثر عذقاً ولا فم بئر مني مع الثروة والجلد والعدد فهلمّ إلينا يا رسول الله). (٣)

وقد حرص المهاجرون في المدينة على العمل في الزراعة جنباً إلى جنب مع إخوانهم الأنصار، حتى أن بعض المهاجرين طلب من الرسول ﷺ أن يقطعه أرضاً، ليقوم بزراعتها، وكان الرسول ﷺ يمنح إقطاعات لبعض الصحابة وغيرهم، كي يستغلوها في الزراعة. فقد أقطع الزبير بن العوام (٤) أرضاً بالمدينة استثمارها في الزراعة في حياة الرسول ﷺ. (٥) كما أقطع علي بن أبي طالب وغيرهما من الصحابة.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، ج ٦٧/٣.

(٢) أبي عبيد القاسم بن سلام، الأموال، ص ٦٧١؛ صحيح البخاري، ج ٦٥/٣، ٦٦.

(٣) الصالحي السامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣٨٨/٣.

(٤) انظر نص الإقطاع (محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة،

ص ٣١٩، ط ٤- بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٥) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي، ص ٣١٩.

كما أقطع على بن أبي طالب ﷺ عيوناً بينبع اشتهرت فيما بعد بكثرة إنتاجها وعمل فيها عليٌّ ﷺ بنفسه.^(١)

كذلك فإن الرسول ﷺ أمر الصحابة باستغلال الأراضي الزراعية وشجّع على ذلك، فقال ﷺ: ((من أحيا أرضاً ميتةً فله فيها أجر وما أكلت العانية منها فله منها صدقة)).^(٢)

وقد وضع البخاري في صحيحه كتاب المزارعة، وحضّ الرسول ﷺ ملائكة الأراضي على استغلالها أو دفعها إلى من يستغلها، فقال ﷺ: ((من كانت له أرض فليحرثها، فإن كره أن يحرثها فليمنحها أخاه، فإن كره أن يمنحها أخاه فليدعها)).^(٣) وقد شجّع ﷺ على استغلال الأراضي ووضع قاعدة شرعية سارت عليها الأمة من بعده في تملك الأراضي حيث قال ﷺ: ((من أحيا أرضاً مواتاً فهي له))،^(٤) كما ورد في حديث آخر عن أم المؤمنين عائشة ﷺ. قالت: قال رسول ﷺ: ((من أعمار أرضاً ليست لأحد فهو أحق)).^(٥)

وقد ورد الكثير من الأحاديث رغب فيها ﷺ المسلمين في الزراعة، حتى أن البخاري ﷺ جعل باباً في كتاب المزارعة سمّاه (باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه)، وقد ورد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول ﷺ: ((ما من

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٢٢٢.

(٢) سنن الدارمي، ج ٢/٢٧٠.

(٣) البخاري، الصحيح (فتح الباري)، ج ١٠/٨٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، ج ٣/٧٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، ج ٣/٧٠.

مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)).^(١) كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لو قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرس)).^(٢)

وقد اشتهرت في المدينة من الأودية التي انتشرت الزراعة بها في عصر الرسول ﷺ. وكان يزورها بنفسه ﷺ منها وادي العقيق الذي هو أهم أودية المدينة وفيه أموال أهل المدينة ومزارعهم.^(٣) كذلك من الأودية المهمة التي استخدمت للزراعة في المدينة وادي (بَطْحَانَ) ووادي (مَهْرُوز) كانت به مزارع،^(٤) ووادي (قَنَاة) وهو ثالث أودية المدينة ووادي (رَأُونَا).^(٥)

والمدينة المنورة، حيث عاش ﷺ بعد الهجرة. كانت من كبرى المواقع في زراعة النخيل بالدرجة،^(٦) وشرع ﷺ فيها وفي ثمارها أحكاماً متعددة. كما تعامل ﷺ مع مزارع خيبر ووادي القرى وفدك، وغيرها مما فتح في زمنه ﷺ بما يضمن استمرار إنتاجها.^(٧)

(١) سنن الدارمي، ج ١٠/٦٧.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٣/١٩١، بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٨هـ.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/١٣٨.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ١/٤٤٦.

(٥) عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، ص ١٦٨؛ وعبد السلام حافظ، المدينة المنورة في التاريخ، ص ٣٨، ط ٢- النادي الأدبي بالمدينة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٦) عبد الله عبد العزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٢٠٦، الطبعة الأولى - جامعة الملك سعود ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣٥٣؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢؛ والمارودي، الأحكام السلطانية، ص ١٧٠؛ وأبي يعلى، الأحكام السلطانية، ص ٢٠١؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٤١٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢/٢٢١.

حيث اتفق معهم الرسول ﷺ على النصف مما تخرج الأرض. وكانت فذك خالصة للرسول، لأنها لم يجلب عليها بخيل ولا ركاب.^(١)

وقد كان هناك نوع آخر من الكراء عند أهل المدينة، وذلك أنهم كانوا يكرون الأرض ويكون إنتاج رقعة معينة منها لصاحب الأرض الأصلي. وقد نهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك،^(٢) لأن الزراعة تتعرض للإصابة. روي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: (كنا نكري الأرض على عهد رسول الله ﷺ بما على السواقي من الزرع وبما سعد من الماء منها، فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، ورخص لنا في أن نكريها بالذهب والورق).^(٣)

وقد وجه الرسول ﷺ أمراً للمزارعين بعدم بيع الثمار قبل بدو صلاحها، وذلك منعاً للتخاصم الذي يقع نتيجة بيع الثمار قبل صلاحها، ثم تعرضها لإحدى الآفات الزراعية، وتلفها قبل أن يستفيد منها المشتري، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله ﷺ: ((من ابتاع ثمرة فأصابته جائحة فلا يأخذن منه شيئاً. بم تأخذ مال أخيك بغير حق)).^(٤)

وقد تحبس الأمطار بالشرج فتكون أحواضاً يستفاد منها في السقي للزرع والنخل، وقد خوصم فيها الزبير بن العوام ﷺ عند الرسول ﷺ لحبسه الماء فقال له الرسول ﷺ: ((اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك)).^(٥)

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣٥٣؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢؛ والمارودي، الأحكام السلطانية، ص ١٧٠؛ وأبي يعلى، الأحكام السلطانية، ص ٢٠١؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٤١٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢/٢٢١.

(٢) انظر: صحيح البخاري، ج ٣/٦٨.

(٣) سنن الدارمي، ج ٢/٢٧١ (سعد من الماء أي تسرب ونضح قريب من السواقي).

(٤) سنن الدارمي، ج ٢/٢٥١، ٢٥٢.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣/٣٣٠.

وقد كانت المزارع بما فيها من ضلال وبساتين إضافة إلى قيامها بسد الحاجات الغذائية عبارة عن منتجعات، يقصدها أصحابها إذا كانوا من الأغنياء للترويح.

وكان في حوائط المدينة ما يعرف بالعريش (وهو المكان المحاط بجريد النخل المسقوف بجريد النخل)، بحيث يتميز بوجود الظل إضافة إلى تخلل الهواء له بشدة مما يجعله أبرد مكان في الحائط، خصوصاً إذا أحاط به الماء أو رشّ بالماء فيكون مكاناً لطيفاً للجلوس وقضاء الوقت.

وقد عرفت بعض الآفات الزراعية التي كانت تتلف الثمار أو جزءاً منها، فقد عرف الجراد،^(١) وكان يلحق أضراراً كثيرة بالمزارعين كما عرفت أنواعاً أخرى من الأمراض التي كانت تصيب الزروع.

وعن الثمار. يقول - تعالى -: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل].^(٢)

وقد ذُكر عدد من الثمار في القرآن الكريم في آية واحدة، قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجَدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة].^(٣)

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/١٨٨؛ د. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، ص ٦٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٦٦، ١٠٦٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٣٩.

ومن الفواكه المعروفة التين، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مع غيره من الثمار، وسميت باسمه سورة من سوره، وقال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١] (١).

وهناك بعض أنواع التين البري المعروف بالحماط، يوجد في أودية الطائف ويجلبه الناس إلى الأسواق. والحماط يشبه التين، إلا أن ثمره أصغر من التين وأشد حمرة، ومنابته في الأودية وأجواف الجبال وهو شديد الحلاوة، ويدخر كما يدخر التمر. (٢)

كما جاء الحديث في القرآن عن الشجرة المباركة (الزيتونة) كما في قوله - تعالى - : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥] (٣) وفي قوله - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] (٤).

قال - تعالى - : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَالِكِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] (٥).

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢٦.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٧/٧٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٣٤، ١٣٣٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٢٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٩٤.

وقوله - تعالى -: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٠] [القصص].^(١)

وفي قوله - تعالى -: ﴿ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ [١٦٦] [الصافات].^(٢)

في قوله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مِثْلَهَا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [١١] [الأنعام].^(٣)

وقوله - تعالى -: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١١] [النحل].^(٤)

وقوله - تعالى -: ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ [٢٩] [عبس].^(٥)

وقوله - تعالى -: ﴿ وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴾ [١] [التين].^(٦)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِئْبَرًا، قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ. فَجَعَلُوا لَهُ مِئْبَرًا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِئْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَبْنُ أَنْبِئِ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكِّنُ قَالَ: كَأَنْتَ تَبْكِي عَلَيَّ مَا كَأَنْتَ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤١٥، ١٤١٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٩٥، ١٥٩٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٠٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٥٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٦٠، ١٩٦١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٠٠٩.

عِنْدَهَا)).^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ الْأَرْزِ لَا تَهْتَرُ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ)).^(٢)

وقد جاء خبر ذلك في قصة صحيحة، لما رواه الإمام مسلم ﷺ في صحيحه عن جابر ﷺ قال: ((.. نَزَلْنَا وَادِيًّا أَفِيحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَآخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ لِي» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَحْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدُهُ حَتَّى آتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَآخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ لِي» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لَمْ يَبْيُنْهُمَا لَأَمْ بَيْنَهُمَا يَعْنِي جَمَعَهُمَا فَقَالَ: «الْتِمَا عَلَيَّ يَا ذَنْ لِي» فَالْتَمَتَا. قَالَ جَابِرٌ فَخَرَجْتُ أَحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحْسِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدُ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ فَيَتَّبَعِدُ. فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَحَانتُ مِنِّي لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَيَّ سَاقٍ...)).^(٣)

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى والطب، باب ما جاء في كفارة المرضى ج/٢/٧،

٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع، ومثل الكافر كشجرة الأرز، ج/٨/١٣٦، ١٣٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ج/٨/٢٣٤.

الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِيَّ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ أَوْ الشَّجَرَةِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغُرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)).^(١)

وجاء في الحديث الصحيح أن سلمان الفارسي ﷺ أسلم وهو رقيق، فشارط سيده على أن يغرس له خمس مائة نخلة، فإذا عاشت فهو حر، فلما استشار النبي ﷺ وافقه على ذلك، وأمره أن يهبيئ الغراس، ويحضر لها الحفر اللازمة، فإذا تم ذلك أخبر النبي ﷺ ليغرسها بيده، وهكذا كان، وعاشت النخلات، وعتق سلمان ﷺ، وانضم إلى الصحابة الكرام في نشر الإسلام وخدمة المسلمين، وكانت البداية غرس تلك النخلات.^(٢)

وفي الحديث أنه ﷺ كان يوصي أمراء جيوشه فيقول: ((اغزوا بسم الله في سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا.. ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرةً ولا تهدموا بناء)). وكذلك فعل من بعده، أبو بكر وبقية الراشدين ﷺ.^(٣)

وقد حرم الإسلام قطع الأشجار في الحرب، ولذلك فالاهتمام بها ورعايتها في الأوقات العادية واجب على كل مسلم ومسلمة.

حثَّ النبي ﷺ على الزرع والغرس، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، ج ١٨٨/٨؛

ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٤١٧/٢.

(٢) انظر: قصة إسلام سلمان ﷺ مختصرة عند ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٢٩، وقد وضع البخاري في صحيحه (باب إسلام سلمان الفارسي) وشرحها ابن حجر وفصل فيها في فتح الباري، ج ١١٥/١٣٨.

(٣) انظر: الأزدي، فتوح الشام، ص ٣٢ - ٥٠؛ والطبري، تاريخه، ج ٣١/٣؛ وانظر كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، ط ٤، ص ١٠٩.

إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)).^(١)

كما روي عن جابر بن عبد الله ﷺ ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مَيْمُونَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمْسَلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟ فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ. فَقَالَ: لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ)).^(٢)

فما دام الزرع قائماً فإن زارعه يحصد أجراً عن كل من انتفع به، بل حتى عمّن أنقص منه وسرق؛ بنص الحديث، وفي الحديث أن القائم على الزرع ولو لم يملكه هو المقصود بالأجر، قال ابن حجر: (وظاهر الحديث أن الأجر يحصل لمتعاطي الزرع أو الغرس، ولو كان ملكه لغيره؛ لأنه أضافه إلى أم مبشر ثم سألها عمّن غرسه).^(٣)

لقد حرص الرسول ﷺ على جعل حرمة للمدينة، وحدد لها حدوداً ودعا لها ﷺ، كما ورد عند البخاري في صحيحه أنه ﷺ قال: ((إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها)).^(٤) كما دعا ﷺ: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ)).^(٥) ولا شك أن محبة المكان داع للحفاظ عليه ورعايته ودوام الإقامة فيه.

كما كان من التشريعات التي أصدرها النبي ﷺ لحفظ البيئته والحياة

(١) البخاري: كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه؛ ج ٦٦/٣؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ج ٢٧/٥، ٢٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع ج ٢٧/٥، ٢٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ج ٦٦/٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، ج ٤٠/٤.

(٥) من حديث رواه البخاري في صحيحه، ح برقم: ٣٩٢٦؛ ومسلم في صحيحه، ح برقم:

١٣٧٦؛ وانظر: تخريجه عند الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص ١٧٦.

الطبيعية النباتية في المدينة قوله ﷺ: ((إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم المدينة حرام ما بين حرَّتَيْها وحماها كله لا يختل خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها، ولا تقطع منها شجرة إلا أن يُعلف رجل بغيره ولا يحمل فيها السلاح لقتال)).^(١)

كما ورد عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((المدينة حرم من كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)).^(٢)

كما قال ﷺ: ((حُرِّمَ ما بين لابَتَيْ المدينة على لساني))، قال: وأتى النبي ﷺ بني حارثة فقال: ((أراكم يا بني حارثة قد خرجتم من الحرم ثم التفت فقال بل أنتم فيه)).^(٣)

لقد جعلت هذه الأوامر النبوية المدينة المنورة ذات حماية خاصة ما يتعلق بالبيئة والحمى وقطع الأشجار والصيد. وقد ساهمت تلك التشريعات والأوامر النبوية على حماية البيئة الطبيعية للمدينة، في ضوء الزيادة السكانية للمدينة المنورة نتيجة الهجرة المتزايدة إليها، وخصوصاً في السنتين الأوليين من الهجرة النبوية.

والحديث عن الثمار التي تناولها ﷺ في مأكله سيأتي التفصيل فيه بإذن الله في الحديث عن مأكله ﷺ.

وكان ﷺ يمتحن الصحابة أحياناً بسؤالهم عن الأشجار، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: ((إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم

(١) من رواية الإمام أحمد في مسنده، ج ١١٩/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، ج ٢٢٠/٢.

(٣) رواه البخاري، باب حرم المدينة، ج ٢٢١/٢.

حدثوني ما هي قال فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال: هي^(١).

والنظر في عجيب خلق الله ودقائقه يعد عبادة تعين على الإيمان. يقول - تعالى -: ﴿ تَمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْأَلِي رَبِّي ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩]^(٢).

وتأتي أحكام الزرع والمساقاة لتكشف تشريعاً دقيقاً في هذا الباب، كان ﷺ على علم به، ومصدره بوحى وعلم من الله ﷻ^(٣).

ولعل تشريع الزكاة على الزروع والمحاصيل ينم عن معرفة منه ﷺ بتلك المنتجات الزراعية، تلقاه بوحى من ربه، وما فيها من تفصيلات وممارسة المسلمين للزكاة في العصر النبوي تفيد بمعلومات عن هذا الجانب، كما أنه ﷺ مارس بنفسه خرص التمور في بعض المزارع لأجل الزكاة وأصاب ﷻ في ذلك الخرص، وهذا يدل على علم وخبرة في هذا الجانب منه ﷻ^(٤).

* * * * *

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ج ٢٢/١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٠٦٧/٢، ١٠٦٨.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الشرب والمساقاة، ج ٧٣/٣،

ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما فيه العشر أو نصف العشر، ج ١٧٨/٣.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب خرص التمر، وما تلاه من أبواب، ج ١٣٢/٢ - ١٣٤.

علمه ﴿﴾ بالأبدان وطبها:

التفكر في النفس وفي خلقها يرتبط بعلم الأبدان وصحة الإنسان، وقد أمر الله - تعالى - به، وجاءت الآيات القرآنية لتجعل الإنسان يتفكر في نفسه وخلقها ونظام حياته التي أوجدها الله له وما يناسب بدنه وروحه، ولا شك أنه ﴿﴾ يطبق ما أمر به ﴿﴾ يقول - تعالى -: ﴿﴾ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾** [الذاريات].^(١)

ويقول - تعالى -: ﴿﴾ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾** [الروم].^(٢)

وجاءت الآيات لتذكره بنظام حياته من زواج وسكينة وما هياه الله له في ذلك. يقول - تعالى -: ﴿﴾ **وَمَنْ أَيْتَبَهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾** [الروم].^(٣)

وذكره الله بما هيا له من نوم وما يعتريه من وفاة وبقدرته - تعالى - عليه ودعاه ﴿﴾ إلى التفكر فيه. يقول - تعالى -: ﴿﴾ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾** [الزمر].^(٤)

ويقول - تعالى -: ﴿﴾ **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾** [الأعراف].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٦٤، ١٧٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٤٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٤٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٢٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٠٤ - ٨٠٦.

ويقول - تعالى - : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٨)

[يس].^(١)

حين الحديث عن هذا الموضوع يتبادر إلى الذهن الكثير من الكتب التي ألفت عن الطب النبوي.^(٢) والأبواب المتعددة في كتب السنة وما فيها من روايات تتعلق بصحة الإنسان،^(٣) وكذلك ممارساته ﷺ في هذا الجانب، في كل ما يرتبط بالصحة وعلومها.

وحديثه ﷺ : ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهي القلب)).^(٤)

وإن كان الكثيرين يوجهونه على صلاحية القلب في التقوى وما في معناها، إلا أنها حقيقة علمية في مجال الصحة البدنية.

وحين آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، زار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٧٤ - ١٥٧٦.

(٢) انظر: د. محمد علي البار، موسوعة الطب النبوي، وزارة الصحة، الرياض: المركز الوطني للطب البديل ١٤٣٧هـ. (ويحتوي الجزء الأول على الكتب التراثية في الطب النبوي)؛ ابن القيم، الطب النبوي، تعليق وتخريج: د. عادل الأزهرى، ومحمد الفرج العقدة، مكتبة الرياض الحديثة (د.ت).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، ج١١/٧، المرضي، ج٢/٧؛

وصحيح مسلم، كتاب الطب، وفيه أبواب متفرقة، ج٣٧/٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج١٩/١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج٥٠/٥، ٥١.

الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعاً فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: ((صدق سلمان)).^(١)

وإشارته ﷺ للنفس هنا تعني حاجة البدن للراحة وغيرها.

وكان يحرص ﷺ على تجديد نشاطه ومن ذلك القيلولة وهي نومة قصيرة في وسط النهار، ربّما كانت قبل صلاة الظهر، وربّما كانت بعد الصلاة.^(٢)

وكان ينام القيلولة، ولعل ذلك يفهم مع قوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ عَائِنَهُ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم].^(٣)

وقد أخرج البخاري رحمه الله عن أم حرام بنت ملحان ((أن رسول الله ﷺ قال عندهم، فاستيقظ وهو يضحك...)) الحديث.^(٤)

وعن سهل بن سعد، قال: قال ﷺ: ((ما كنا نقيّل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة)).^(٥) وعن أنس بن مالك قال: ((كنا نبكر بالجمعة، ونقيّل بعد

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ج ٢/٢٤٣.

(٢) انظر: موقع الشيخ عبد الرحمن البراك، <https://sh-albarrak.com/article> بتاريخ: ١٤٤٢/٢/٢٩هـ.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٤٥٠.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ركوب البحر، ج ٣/٢٢٥.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب صلاة الجمعة حين نزول الشمس، ج ٤/٩.

الجمعة)).^(١) وقال النبي ﷺ: ((قيلوا فإن الشياطين لا تقيل)).^(٢)

وقد قال ﷺ: ((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابنِ آدمَ لقيمات يُقِمَنَ صلبه، فإن كان لا محالة فثُلثُ لُطعامه وثُلثُ لشرايه وثُلثُ لنفسه)).^(٣)

ولا شك أنه ﷺ يدرك ما ورد في القرآن الكريم عن الغذاء من النباتات وغيرها.^(٤) ويتعلم ويُعلم قوله - تعالى -: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّرَتْ وَجَعَتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد].

والحديث عن ما يرتبط بالغذاء النباتي وأنواعه سيأتي بإذن الله في القسم الخاص عن مأكله وطعامه ﷺ.

ومن المعروف أن المدينة المنورة كانت قبل وصول الرسول ﷺ تعاني عدداً من المشاكل الصحية لدى السكان، منها ما يرتبط بالبيئة، وخصوصاً الحمى المنتشرة بين أهلها؛ بسبب المزارع وما يرتبط بها من مستنقعات، فدعا لها رسول الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللَّهُمَّ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب وقت الجمعة إذا زالت الشمس، ج ١/٢١٧.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، حسنه الالباني (صحيح الجامع الصغير، ٤٤٣١).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ص ٥٩٠، ح برقم: ٢٣٨٠؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، ج ٢/١١١١، ح برقم: ٣٣٤٩. نقلاً من كتاب: (من البيان النبوي الشريف .. تأملات بلاغية في الهدى النبوي)، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص ٤٠٢.

(٤) انظر: د. معز الإسلام عزت فارس، الغذاء في القرآن الكريم من منظور علم التغذية الحديث، جامعة حائل ١٤٣٦هـ.

بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدْنَا وَصَحْحَهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ)).^(١)
ومن الواضح من الدعاء اهتمام الرسول ﷺ بصحة المدينة وأهلها، وتصحيح بيئتها لتصبح بيئة صحية.

والرسول ﷺ مرض كغيره من البشر،^(٢) وشجع الناس على التداوي.^(٣)
والبحث عن العلاج في قوله: ((مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً)).^(٤)
وداوم على التطبُّب. وكان يؤكد على العلاج الطبيعي الصحيح كالعسل وغيره، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: ((الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ: شَرِبَةَ عَسَلٍ، وَشَرَطَةَ مِحْجَمٍ، وَكَيْيَةَ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيْ)).^(٥)

وكان يأمر باستخدام الماء لتبريد الحمى. فيقول ﷺ: ((الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ)).^(٦)

وفي استخدام النباتات في العلاج ورد عن أبي هريرة ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إِنْ فِي الْحَبَةِ السُّودَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ)).^(٧)

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، ج ٢/٢٢٥.

(٢) انظر: مؤنس، حسين، التاريخ الصحي للرسول ﷺ، سلسلة اقرأ، القاهرة: دار المعارف ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وعمر حمزة، من هدي النبي المسمى "سفر السعادة"، مركز الكتاب، ط ١- ١٤١٧هـ، ص ٢٢٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، فتح الباري، ج ٢١/٢٥٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ج ٧/٢٠؛ وانظر شرحه عند ابن حجر، فتح الباري، ج ٢١/٣٤٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ج ٤/٨٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الطب، باب لكل داء دواء، ج ٧/٢٣.

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ج ٧/١٣، ١٤. والسام: الموت.

كما وقف ﷺ موقفاً حازماً من الخرافات التي تسبب الأمراض النفسية والجسدية من الطيرة والتشاؤم. وأثبت للناس الفأل الحسن. وكان يأمر باستعمال بعض النباتات كالحبة السوداء وغيرها.^(١)

وكان ﷺ يُقرُّ دعوة الأطباء للمرضى وهم أهل العلم والاختصاص في هذا المجال، كما حصل لسعد بن أبي وقاصٍ ﷺ حين مرض في حجة الوداع.^(٢)

كما كان يتعلم من الأطباء المعاصرين له، ففي حديث عائشة ﷺ سألتها عروة بن الزبير، يقول لها متعجباً: (يا أمتاه لا أعجب من فهمك، أقول زوجة رسول الله ﷺ و بنت أبي بكر ﷺ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو؟ قال: فضربت على منكبه وقالت: أي عُرِيَّة: إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتتعت له الأنعات وكنت أعالجها له فمن ثم).^(٣)

أما في مجال حماية الأبدان فقد شرع ﷺ النظافة وحث عليها وطبقها، فكانت عنايته ﷺ بالنظافة، حيث كان ﷺ في نفسه نظيفاً،^(٤) ويحث

(١) انظر: ابن القيم، الطب النبوي، ص ٢٢٩.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٤٧/٣: والبخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ١٢٧/٥، ١٢٨.

(٣) انظر: ابن القيم، الطب النبوي، ص ٢٢٩.

(٤) انظر: الجزء الأول من هذه الموسوعة حيث توسعت في هذا الموضوع عند الحديث عن بدنه ﷺ.

الآخرين على النظافة والريح والطيبة والطهارة في كل الأوقات، ويتأكد ذلك في الصلاة، فقال ﷺ: ((إِنَّمَا أُمِرْتُ بِالْوُضُوءِ إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ)).^(١) واعتنى ﷺ بأجزاء معينة من الجسد أكثر من غيرها في التنظيف والتطهير؛ لشدة حاجتها كالسيلين ومناطق العرق وغيرها.

وبالتالي مارس ﷺ وعلم نظافة الجسم من القاذورات وما يخرج منه، فعلمنا الاستنجاء بغسل مكان البول والغائط.

كما مارس وحث على نظافة الفم والأسنان بالمضمضة والسواك؛ لما لذلك من تأثير على الجسم والنفس، وكل هذا يدخل في مجال الوقاية، وسوف ترد تفصيلات لذلك.

وقد جاءت أحكام الوضوء مفصلة؛ لتطهير أجزاء من الجسد، منها: الوجه واليدين والرأس والقدمان.

ويسبق الوضوء كل فريضة وسنة من الصلوات، ويستحب تجديده حتى مع بقاء الطهارة في الإنسان وعدم إحداثه ما ينقضها، ولا شك أن الرسول ﷺ يستشعر ذلك، ويطبقه على نفسه.

وجاءت تفاصيل الوضوء في آية بكتاب الله تحدثت عن عدد من أجزاء الجسد التي تدخل في الوضوء في قوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ

(١) الترمذي، سننه، كتاب الأطعمة، باب في ترك الوضوء قبل الطعام، ج٤/٢٨٢، ح برقم:

وَلَكِنْ يُرِيدُ لِطَهْرِكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
 [المائدة]. وفي هذه الآية ذكر للوجه واليدين والمرافق والرأس والرجلين،
 وكلها ظاهرة من الجسم، يصلها الوضوء بمائه لتطهيرها وصحتها.
 كما جاءت الأحاديث التفصيلية والتطبيقات النبوية لتؤكد على
 الاستنشاق والمضمضة والمبالغة في ذلك،^(١) وكل هذا مما يساهم في نظافتها
 وخلوها من الجراثيم المضرة.

والغسل لكامل الجسد من أهم أسباب صحة البدن وشعوره بالنشاط
 والسعادة والانطلاق، والاهتمام بالغسل جاء واجباً شرعياً في عدد من
 المواضع،^(٢) من ذلك: بعد الحيض والنفاس والجنابة والاحتلام والاستحاضة.

كما جاء الحث على غسل الجمعة وغسل العيدين، ووضع حداً أدنى
 للغسل بقوله ﷺ: ((حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً
 يغسل فيه رأسه وجسده)).^(٣)

كما ذكرت الروايات: ((كان رسول الله ﷺ يغتسل يوم الفطر ويوم
 الأضحى)).^(٤)

(١) انظر: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في
 الاستنشاق، ص ٢١، ح برقم: ٩٧؛ والترمذي في سننه، كتاب الطهارة عن رسول الله ﷺ،
 باب ما جاء في المضمضة والاستنشاق، ج ١/٤٠؛ وكتاب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما
 جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم، ج ٣/١٥٥؛ والنسائي في سننه، كتاب
 الطهارة، باب المبالغة في الاستنشاق؛ وابن ماجه، في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب
 المبالغة في الاستنشاق والاستنثار، ج ١/١٤٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الغسل، وفيه (٢٩) باباً، ج ١/٦٧؛
 وصحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأصت في الخطبة، ج ٣/٨.
 (٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، ج ٣/٤.
 (٤) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الاغتسال في العيدين.
 ج ١/٤١٧، ح برقم: ١٣١٦.

والغسل أقسام، فمنه واجب، ومنه سنة مؤكدة، وكل ذلك يزيد المسلم طهارة ونظافة وصحة تبعاً لذلك. وقد مارسها ﷺ جميعاً. وكان ﷺ حريصاً على السواك طوال حياته، يفعله ويأمر المسلمين به، عند كل وضوء وعند كل صلاة، يحث عليه، ويحمله معه في حله وترحاله.^(١)

قال ﷺ: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)).^(٢) وكان من آخر من دخل على رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ، حيث كان دخوله خاصاً بحكم أُخُوَّتِهِ لأم المؤمنين عائشة ﷺ، وكونه محرماً لها.

عن عائشة ﷺ قالت: ((دخل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ على النبي ﷺ وأنا مُسْنِدُهُ إلى صدري، ومع مع عبد الرحمن سواك رطب يستنُّ به فأبده^(٣) رسول الله ﷺ، بصره، فأخذت عائشة ﷺ السواك فقضمته، ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به... الحديث)).^(٤)

حرص ﷺ على نظافة الأيدي، وقد خصص ﷺ اليد اليسرى للاستتجاء، واليمنى للطعام والشراب والتناول والسلام.^(٥)

(١) انظر: روايات مسلم في صحيحه، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ السَّوَاكِ، ج ١/١٥١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، ج ١/٢١٤؛ ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ السَّوَاكِ، ج ١/١٥١.

(٣) (أَبَدَ) تَأْتِي بَعْدَ مَعَانٍ: وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ هُنَا إِطَالَتَهُ النَّظَرَ لِلْسَّوَاكِ (انظر: المعجم الوسيط، مادة أبد، ص ٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ السَّوَاكِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ج ١/٢١٤.

(٥) انظر: روايات مسلم في صحيحه، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الاسْتِجَاءِ بِالْيَمِينِ، ج ١/١٥٥.

وكان ﷺ حريصاً على نظافة اليدين قبل استعمالهما للطعام، قال النبي ﷺ: ((بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ، وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ)).^(١)

وكان ﷺ يأمر بالأكل باليد اليمنى ولا يأكل إلا بيمينه.^(٢)

وقد أمر الله ﷻ عباده بالابتعاد عن كل ما يسبب الأذى البدني للإنسان، ومن ذلك تجنب جماع المرأة الحائض، كما في قوله - تعالى - : ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة). ولا شك أن ذلك يساعد على سلامة الرجل والمرأة.

وقد وضع ﷺ أساس العزل الطبي للوقاية من العدوى في قوله: ((إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)).^(٣) كما أنه وضع قواعد مهمّة في الصحة والطب الوقائي والعلاجي، من خلال الحمية وعدم الإسراف في الأكل وصيام الفريضة والتطوع، ومن ذلك قوله: ((مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْتُ لِطَعَامِهِ وَتَلْتُ لِشَرَابِهِ وَتَلْتُ لِنَفْسِهِ)).^(٤)

وقد حارب ﷺ الشعوذة وإتيان الكهان للعلاج، وأقر الرقية الصحيحة من القرآن والدعاء ﷻ.

وفي أيامه ﷺ كان يدرك أهمية تخصيص مكان لتمريض المرضى فأقيم

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده، ج٤/٢٨١، ح برقم: ١٨٤٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامه، ج٦/١٠٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ج٧/٢٠، ٢١.

(٤) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٨.

أول مستشفى في الإسلام، أقامته رُفيدة الأُسلمية ﷺ أثناء غزوة الخندق خيمة في مسجد رسول الله ﷺ تداوي فيها الجرحى، ^(١) وقد وضع فيها رسول الله ﷺ سعد بن معاذ ﷺ بعد جرحه في غزوة الخندق. فقال: ((اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب)). ^(٢) وكان لوصاياه ﷺ في نظافة الأكل وطرق حفظه وتغطيته دور في المحافظة على الصحة العامة للإنسان. ولا شك أن ذلك ينم عن علوم صحية عالية أرتبط كثير منها بما علمه الله ﷻ لرسول ﷺ من وحي.

كما حث الرسول ﷺ على الختان وبعض الأعمال الجسدية التي تساهم في الحد من الأمراض والجراثيم وهي من سنن إبراهيم الخليل ﷺ كما في قوله: ((الْفِطْرَةُ حَمْسٌ أَوْ حَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ وَالْاسْتِحْدَادُ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَرِ وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَقَصُّ الشَّارِبِ)). ^(٣)

وقد أثرت تلك الأحكام في المسلمين، وتأثروا بها وطبقوها في حياتهم العامة والخاصة، وأحدثت فيهم نقلة وساهمت في تطويرهم صحياً، وما يزال أثره إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٣٨؛ وابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٣؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٦٧٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٣٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب قص الشارب، ج٧/٥٦؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ...، ج١/١٥٢، ١٥٣.

أساليبه ﷺ في التعليم:

بُعْثَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِشِيْرًا وَنَذِيْرًا وَمَعْلَمًا لِلنَّاسِ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ، قَالَ -
تَعَالَى -: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب].^(١)

كَانَ ﷺ عَالِمًا مَعْلَمًا، وَكَتَبَتِ الْآفُ الْأَبْحَاثُ عَنْ طَرَقِهِ ﷺ فِي تَعْلِيمِ
النَّاسِ.^(٢)

وَأَسَالِيْبِهِ فِي ذَلِكَ مَتَفَاوِتَةٌ حَسَبَ حَالِ الْمُتَلَقِّي فِي سُنِّهِ وَعَقْلِهِ، وَحَاجَتِهِ،
وَالْمَوْضُوعِ الَّذِي يَتَعَلَّمُهُ. وَظُرُوفِ التَّعْلِيمِ وَمُنَاسِبَتِهِ، وَقَدْ اسْتَقَى مِنْهُ ﷺ
الْعَامِلُونَ فِي تَرْبِيَةِ النَّاسِ وَتَعْلِيمِهِمْ. وَمِمَّا نَقَلَ عَنْهُ فِي سُنَّتِهِ ﷺ وَاقْتَدَى بِهِ
الْعُلَمَاءُ عِبْرَ الْعُصُورِ، وَبَنَوْا مَنَاجِيْهِمْ وَأَسَالِيْبِهِمْ عَلَى ذَلِكَ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ ﷺ
عَلِمَ النَّاسَ بِالْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ بِالدَّرَجَةِ الْأُولَى.^(٣) وَأَمَرَ اللهُ ﷺ بِعِبَادَتِهِ بِذَلِكَ، قَالَ
- تَعَالَى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].^(٤)

وَقَدْ أُوْرِدَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ الْعَدِيدِ مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي يَسْتَفَادُ مِنْهَا
فِي مَعْرِفَةِ أُسَالِيْبِهِ فِي التَّعْلِيمِ، حَيْثُ كَانَ ﷺ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ فِي مَسْجِدِهِ فِي
حَلْقَةٍ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ بِشَكْلِ مُسْتَمِرٍّ أَثْنَاءَ وُجُودِهِ ﷺ فِي الْمَدِيْنَةِ، كَمَا كَانَ
يُزُورُ مَجَالِسَ الْأَنْصَارِ وَبِيُوْتِهِمْ.

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٠٧.

(٢) انظر: عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ط ١- حلب: مكتبة
المطبوعات الإسلامية ١٤١٧هـ.

(٣) انظر: عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم، ص ٦٤ - ٧٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٧.

وكان الصحابة حريصون على أن لا يفوتهم شيء من علم النبي ﷺ ، وفي الوقت نفسه تشغل بعضهم ظروف الحياة ، مما يضطرهم للغياب عن مجلسه العلمي شبه اليومي مع الصحابة ، فكانوا يتناوبون حضور مجلسه ﷺ ويعلم بعضهم بعضاً بما تعلموه فيه ، وقد وضع البخاري في صحيحه باب التناوب في العلم.^(١)

أورد فيه عن عمر قال: (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك ...) الحديث.^(٢)

وقد روى عن أبي واقد الليثي (أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه".^(٣)

وكان ﷺ يحرص على أن يتعلم الناس العلم ويعوه قبل أن يعملوا به ، ويطلب منهم التعلم والنقل وأن بعض المنقول لهم يكون أوعى من بعضهم ،

(١) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب التناوب في العلم ، ج ٧ / ٣١ .

(٢) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب التناوب في العلم ، ج ٧ / ٣١ .

(٣) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى

فرجة في الحلقة فجلس ، ج ١ / ٢٤ .

وقد عنون البخاري في صحيحه باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع.^(١)

عن أبي بكرة رضي الله عنه ذكر: (أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه، قال: أي يوم هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: أليس يوم النحر قلنا بلى قال فأى شهر هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس بذي الحجة قلنا بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه).^(٢)

وعند البخاري في صحيحه باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر رضي الله عنه وقوله - تعالى - هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً.^(٣)

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب رحمة الناس بالبهائم قال لنا النبي ﷺ ارجعوا إلى أهليكم فاعلموهم.^(٤)

كما وضع البخاري في صحيحه باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا الله"^(٥) فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع، ج ٢٤/١، ٢٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع، ج ٢٤/١، ٢٥.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر، ج ٢٦/١؛ وفيه من الآية رقم ٦٦ من سورة الكهف.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج ٧٧/٧؛ وكتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، ج ١٣٢/٨، ١٣٣.

(٥) فيه من الآية رقم: ١٩ من سورة محمد؛ (انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١٧٢٠/٢).

وَرَثُوا الْعِلْمَ مِنْ أَخْذِهِ مِنْ أَخْذِ بَحْظٍ وَافِرٍ وَمِنْ سَلْكَ طَرِيقًا يُطَلَبُ بِهِ عِلْمًا سَهْلًا
اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَقَالَ - جَلْ ذَكَرَهُ - "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ"^(١) وَقَالَ: "وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ"^(٢) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا
كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.^{(٣) (٤)}

ورد عن النبي ﷺ ما يشير إلى أهمية العلم والتعليم، وأن هداية ﷺ
بالعلم، عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((مثل ما بعثني الله به من
الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء
فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع
الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي
قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما
بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله
الذي أرسلت به)).^(٥)

كان ﷺ يحدثهم عن المستقبل بما علمه الله ﷻ وهو القائل ﷺ : ((إلا
إني لا أعلم إلا ما علمني الله)) ورسول الله ﷺ قدوة الخلق، فهو لا يقول إلا
بعلم، ولذلك ورد في رواية:

حيث إنه ﷺ كان ببعض طريق تبوك، فضلّت ناقته فقال رجل منافق:
أليس يزعم محمد أنه نبي، ويخبركم خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟

(١) فيه من الآية رقم: ٢٨ من سورة فاطر؛ (انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٥٥٤).

(٢) فيه من الآية رقم ٤٣ من سورة العنكبوت.

(٣) من الآية رقم ١٠ من سورة الملك.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ...، ج ١/٢٥.

(٥) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى

والعلم، ج ٧/٦٣.

فقال رسول الله ﷺ: "إني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني عليها، وهي في الوادي، قد حبستها شجرة بزمامها".^(١)

وقد قال - تعالى -: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٣٧﴾ [الجن].^(٢)

وأحاديثه عن المستقبل وعلامات الساعة كثيرة، ولا شك أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى. ومما قال ﷺ: ((إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ قِيلَ وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ قَالَ زَهْرَةُ الدُّنْيَا فَقَالَ: لَهُ رَجُلٌ هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَي عَرَفْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ فَقَالَ أَيُّنَ السَّائِلُ قَالَ أَنَا، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَقَدْ حَمَدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ قَالَ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ إِنَّ هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلُوةٌ وَإِنَّ كُلَّ مَا أَتَتْ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يَلْمُ أَيَّ إِنْ الدَّابَّةُ إِذَا رَعَتْ كَثِيرًا فَمَلَأَتْ بَطْنَهَا رَبَّمَا تَمُوتُ مِنْ شِدَّةِ الْأَكْلِ، أَوْ تَمْرُضُ إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرَةَ، أَي إِذَا أَكَلَتْ أَكَلًا مَعْتَدَلًا وَحَشِيشًا يَانِعًا أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ فَاجْتَرَّتْ وَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ وَإِنَّ هَذَا الْمَالُ حُلُوةٌ مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعَمَ الْمَعُونَةُ هُوَ وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)).^(٣)

وعن أنس رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: ((إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا)).^(٤)

(١) انظر: ابن هشام، ج ٤/٥٢٣، (حوادث غزوة تبوك).

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٢٨.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يُحر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ج ٧/١٧٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، ج ٣/١٠٠ - ١٠٢.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ج ١/٢٨.

والإجابة على أسئلة المتعلمين من ﷺ أحد طرقه في التعليم، حيث كان الصحابة ﷺ يسألون النبي ﷺ، ليستزيدوا من علمه ﷺ. ورد عن أنس ﷺ: ((أنهم سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة، فغضب فصد المبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيئته لكم. فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي. ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن. وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوكُم وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٠١﴾ [المائدة: ١٠١]).^(١)

وكان الصحابة يسألونه وينتظرون من يسأله ﷺ، ليستفيدوا من جوابه وعلمه. عن يعلى بن أمية كان يقول: لبيتي أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه. قال: ((فبينما النبي ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمره في جبة بعدما تضمخ بالطيب؟ فأشار عمر إلى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال: أين الذي يسألني عن العمرة انفاً؟ فالتمس الرجل فأتي به فقال: أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك)).^(٢)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال ...، ج ٨/١٤٢؛

والآية رقم: ١٠١ من سورة المائدة، وانظر تفسيرها عند: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٦١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ج ٥/١٠٣.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وَسَدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)).^(١)

((عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ. فَأَخَذَ بِخَطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وَفَّقَ - أَوْ لَقَدْ هَدَى - قَالَ كَيْفَ قُلْتَ. قَالَ فَأَعَادَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ)).^(٢)

وعن زيد بن خالد الجهني أن النبي ﷺ سأله رجل عن اللقطة فقال: اعرف وكاءها أو قال وعاءها وعفاصها ثم عرفها سنة ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فأدها إليه. قال فضالة: الإبل فغضب حتى احمرت وجنتاه أو قال احمر وجهه فقال: وما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وترعى الشجر فذرهما حتى يلقاها ربها قال: فضالة الغنم؟ قال لك أو لأخيك أو للذئب.^(٣)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سئل علماً هو مشتغل في حديثه فآتم الحديث ثم أجاب السائل، ج ٢١/١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة، وأن من تمسك بما أمر الله به دخل الجنة، ج ٣٢/١، ٣٣.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم ...، ج ٣١/٧.

عن أبي موسى قال: سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب ثم قال للناس: سلوني عما شئتم قال رجل من أبي؟ قال أبوك حذافة فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال أبوك سالم مولى شيبية، فلما رأى عمر ما في وجهه قال: يا رسول الله: إنا نتوب إلى الله ﷻ.^(١)

وكما كان ﷺ يجيب على أسئلة الصحابة، فقد كان ﷺ يطرح عليهم الأسئلة من باب التعليم. وقد وضع البخاري في صحيحه باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.^(٢)

وحينما يسأل الصحابة فهو يريد أن يستخرج ما لديهم من العلم ويعلمهم بطريقة السؤال.

وقد وضع البخاري في صحيحه باب الفهم في العلم.^(٣) روى فيه عن ابن عمر ﷺ قال: ((كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال: إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم، فسكت قال النبي ﷺ: هي النخلة)).^(٤)

وكان يعلم الصحابة في حوار مساءلة، عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: ((مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث، ج ٣٢/٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ج ٢٢/١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفهم في العلم، ج ٢٦/١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفهم في العلم، ج ٢٦/١.

اللَّهُ ﷻ: ما رأيك في هذا؟ فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷻ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا)).^(١)

ووضع البخاري في صحيحه باب الاغتباط في العلم والحكمة. وقال عمر ﷻ تفقهوا قبل أن تسودوا.^(٢)

وقد استعمل ﷻ وسائل الإيضاح المتاحة في زمانه، بأشكالها المتعددة ومنها (الرسم على الأرض على التراب) قال جابر: ((كنا جلوساً عند النبي ﷻ، فخط بيده في الأرض خطأ هكذا أمامه، فقال: هذا سبيل الله ﷻ وخط خطين عن يمينه وخطين عن شماله، وقال: هذه سبيل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].^(٣)

وفيه عن عبد الله بن مسعود قال النبي ﷻ: ((لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)).^(٤)

وقال: ((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وقال النبي ﷻ: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)).^(٥)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، ج ٧/١٧٨.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة وقال عمر ﷻ تفقهوا قبل أن تسودوا، ج ١/٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٣٤.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة وقال عمر ﷻ تفقهوا قبل أن تسودوا، ج ١/٢٦.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج ١/٢٥.

كان ﷺ يحب العلم لأصحابه ويدعو لبعضهم بذلك ومن المشهور دعوته لابن عباس ؓ وقد وضع البخاري في صحيحه باب قول النبي ﷺ: اللهم علمه الكتاب. روى ابن عباس قال: ((ضمني رسول الله ﷺ وقال: اللهم علمه الكتاب)).^(١)

كما كان ﷺ يشير لمن عندهم علم وفضل منهم ففي باب فضل العلم، عن ابن عمر قال: ((سمعت رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم أتيت بقدر لبن فشربت حتى إنني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم)).^(٢) وفيه تزكية لعمر ؓ وبيان لفضله في العلم.

كما أشار ﷺ لبروز بعض الصحابة في سلوك وعلوم معينة، فقال ﷺ: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت. ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)).^(٣)

وتأكيد على أهمية التعليم ولو تطلب الرحلة والتعب وضع البخاري في صحيحه باب الخروج في طلب العلم ...^(٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ "اللهم علمه الكتاب" ج ٢٧/١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل العلم، ج ٢٨/١، ٢٩.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، ج ٥٦٤/٥، ٤٦٥، ح برقم: ٣٧٩٠؛ ورواه ابن ماجه في سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ج ٥٥/١، ح برقم: ١٥٤؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٢٨١/٣.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم، ج ٢٧/١.

وقام ﷺ بتوظيف المناسبات (انتهازه ﷺ المناسبات العارضة في التعليم)، فيربط بين المناسبة القائمة. والعلم الذي يريد بثه وإذاعته كما في قصة الجدي الميت،^(١) وتهوين أمر الدنيا في قوله ﷺ: ((فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)) وقد اعتبر رفع العلم فساد في الأرض. ووضع البخاري في صحيحه، باب رفع العلم وظهور الجهل...^(٢)

وَكَانَ يَخْطُبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا تَقْتَضِيهِ حَاجَةُ الْمُخَاطَبِينَ وَمَصْلَحَتُهُمْ
وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَيَتَشَهُدُ فِيهَا بِكَلِمَتِي
الشَّهَادَةِ وَيَذْكُرُ فِيهَا نَفْسَهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ.^(٣)

وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ ﷺ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ إِذَا حَضَرَ
فِعْلُهُ فَأَوْلَى الْأَوْقَاتِ بِهِ الْجُمُعَةُ الَّتِي يَلِيهَا خُرُوجُهُ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ
الْجُمُعَةَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بَعْضُ يَوْمٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ. وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْخَلْقُ وَهُوَ
أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى تَعْلِيمِهِمُ الدِّينَ. وَقَدْ حَضَرَ ذَلِكَ الْجَمْعَ الْعَظِيمُ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْحَجِّ مُمَكِّنٌ بِلَا تَقْوِيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^(٤)

وَكَانَ مَدَارُ خُطْبِهِ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ بِآلَائِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ
وَمَحَامِدِهِ وَتَعْلِيمِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمَعَادِ وَالْأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ
وَتَبْيِينِ مَوَارِدِ غَضَبِهِ وَمَوَاقِعِ رِضَاهُ فَعَلَى هَذَا كَانَ مَدَارَ خُطْبِهِ.^(٥)

(١) انظر: عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم، موضوع (انتهازه ﷺ المناسبات العارضة في التعليم).

(٢) انظر: كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ج ١/ ٢٨.

(٣) انظر: ابن القيم زاد المعاد، ج ٢/ ١٠٣.

(٤) انظر: ابن القيم زاد المعاد، ج ١/ ١٨٩.

(٥) انظر: ابن القيم زاد المعاد، ج ١/ ١٨٨.

وكان ﷺ يعلم أصحابه التسليم قبل الاستئذان، ((فقد استأذن عليه رجلٌ فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لرجل: أخرج إلى هذا، فعلمته الاستئذان. فقال له: قل السلام عليكم أَدْخُلُ؟ فسمعه الرجلُ فقال: السلام عليكم أَدْخُلُ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل ودخل عليه رجل ولم يسلم فقال له: ارجع فقل السلام عليكم أَدْخُلُ؟))^(١)

وفيه عن ابن عباس ﷺ قال: إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فقال من الوفد أو من القوم؟ قالوا ربيعة فقال: مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى قالوا إنا نأتيك من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله ﷻ وحده. قال: هل تدررون ما الإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطوا الخمس من المغنم." ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت قال شعبة: ربما قال النقيير وربما قال المقيير قال: احفظوه وأخبروه من وراءكم.^(٢)

كما كان ﷺ يضرب الأمثال لتعليم الصحابة، وتقريب الأمور لهم.^(٣)

وكان ﷺ يحث الصحابة على العلم، وعلى رأسه القرآن الكريم، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ

(١) انظر: ابن القيم زاد المعاد، ج ٢/٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا به من وراءهم، ج ٧/٣٠. (والدباء والحنتم أواني ينقع فيها الثمر من تمر وعنب وغيره ليختمر فيصبح مسكراً).

(٣) انظر: عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم، ص ١٠٩ - ١١٧.

مَثَلُ الْأُثْرَجَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ.^(١)

وعند البخاري في صحيحه باب حفظ العلم.^(٢) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ... الرَّحِيمِ﴾.^(٣)

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.^(٤)

عن أبي هريرة قال: ((قلت: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال: أبسط رداءك فبسطته، قال: فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضمته فما نسيت شيئاً بعده)).^(٥)

وكان ﷺ يخص بعض الصحابة بالعلم، لتمييزهم في الفهم والوعي والنقل. وقد وضع البخاري في صحيحه باب من خص بالعلم قوما دون قوم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، ج ٢٠٧/٦. نقلاً من كتاب: (من البيان النبوي الشريف .. تأملات بلاغية في الهدى النبوي)، بسيوني عبدالفتاح فيود، ص ٦٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج ٣٧/١.

(٣) من الآيتان ١٥٩، ١٦٠ من سورة البقرة؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢٤.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج ٣٧/١، ٣٨.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج ٣٨/١.

كراهية أن لا يفهموا. وفيه عن أنس بن مالك: ((أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ ابن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً. قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلموا. وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً)).^(١)

ولذلك اعتبر معاذ بن جبل ﷺ من علماء الصحابة الحاثين لهم على العلم، وقد قال ﷺ: (تعلّموا العلم... الحديث).^(٢)

وكان ﷺ حريصاً على سماع الناس ووعيتهم، وعند البخاري في صحيحه باب الإنصات للعلماء وفيه عن جرير ﷺ ((أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: استتصت الناس فقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).^(٣)

وكان من طريقتة ﷺ في تعليم الناس أن يكرر الحديث ثلاثاً. وقد وضع البخاري في صحيحه باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، فقال: ((ألا وقول الزور فما زال يكررها)). وقال ابن عمر قال النبي ﷺ: ((هل بلغت ثلاثاً)).^(٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ج ١/٤١.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٣/٤٢٦؛

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٤٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٨٢.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ج ١/٣٨.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث، ج ١/٣٢.

وفيه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً)).^(١)

وكان ﷺ يستغل الفرص لتعليم من حوله ﷺ، ففي باب السمر في العلم عند البخاري عن ابن عمر قال: ((صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته فلما قام فقال: أرايتكم ليلتكم هذه فإن رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد)).^(٢)

ومهما أوتي الإنسان من علم فهو قليل، وعلم الله واسع كما يعلمنا ﷺ، وعند البخاري في صحيحه، باب قول الله - تعالى - : ﴿... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.^(٣) وكان ﷺ يعلم أصحابه أن لا يتعدوا حدود علمهم، وأن يردوا العلم إلى الله ﷻ وقد وضع البخاري في صحيحه باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله.^(٤) روى فيه عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم)).^(٥)

كان ﷺ يمشي في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ...، ج ٣٢/١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب السمر في العلم، ج ٢٧/١.

(٣) من الآية: ٨٥ من سورة الاسراء؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١١٣٥/٢.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يُستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، ج ٣٨/١ - ٤٠.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يُستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، ج ٣٨/١ - ٤٠.

يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم: لسألناه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه فقمت فلما انجلى عنه قال: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

تعليمه ﷺ للنساء:

وللنساء نصيب من التعلم من رسول الله ﷺ وقد بوب البخاري باب عظة الإمام النساء وتعليمهن وفيه عن ابن عباس ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال، فظن أنه لم يسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه)).^(٢)

كما كان يخصص لهن وقتاً للتعليم ﷺ، فعند البخاري ﷺ باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم.^(٣) وفيه عن أبي سعيد الخدري قالت النساء للنبي ﷺ: ((غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واشتتين فقال واشتتين)).^(٤) وكانت أم المؤمنين عائشة ﷺ، أكثر النساء، وربما الرجال أخذاً للعلم من رسول الله ﷺ، ولذلك قال عنها الزهري ﷺ: (لو جُمع علم الناس

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول الله - تعالى - ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]، ج ٤٠/١؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١١٣٥/٢. (وقد سبق الاستشهاد بالحديث في موقع سابق).

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، ج ٣٢/١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ج ٣٣/١، ٣٤.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم، ج ٣٤/١.

كلهم، ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسع علماً منهم^(١). وكان مشيخة أصحاب النبي ﷺ يسألونها عن الفرائض^(٢).

وكانت تناقشه حول العلم، والروايات في ذلك كثيراً، حيث كانت حين تسمع شيئاً لا تعرفه تُراجع فيه النبي ﷺ حتى تعرفه. وفي رواية أن النبي ﷺ قال: ((من حوسب عذب))^(٣). قالت عائشة ﷺ: فقلت أوليس يقول الله - تعالى -: ﴿سَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سَيِّئًا﴾^(٤)، قالت. فقال ﷺ: ((إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك))^(٥). وقد وضع البخاري من هذا الحديث باب من سمع شيئاً فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه^(٦).

وكانت النساء يسألن رسول الله ﷺ في مواضيع حساسة، ويتعلمن منه مباشرة ﷺ، فعند البخاري في صحيحه باب الحياء في العلم ... وقالت عائشة ﷺ: (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)^(٧).

وعن أم سلمة ﷺ قالت: (جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج٨/٣٣٣، ح برقم: ٦٨٨٣.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج٨/٣٣٤، ح برقم: ٦٨٨٥؛

والطبرانی في المعجم الكبير، ج١٠/٦١.

(٣) رواه الترمذی في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة إذا السماء انشقت، ج٥/٤٣٥، ح برقم: ٢٣٣٨؛ انظر: البخاري، صحيحه، سورة إذا السماء انشقت، باب سوف

يحاسب حساباً سيئاً، ج٦/٨١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، ج١/٣٤.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه،

ج١/٣٤.

(٦) الآية ٨ من سورة الانشقاق؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٧٥.

(٧) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ج١/٤١.

قال النبي ﷺ: "إذا رأيت الماء". فغطت أم سلمة تعني وجهها وقالت: يا رسول الله وتحتم المرأة؟ قال: "نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها".^(١)

وعند البخاري في صحيحه باب كتابة العلم.^(٢) وفيه أنه ﷺ: (ركب راحلته، فخطب فقال: إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل، قال أبو عبد الله كذا قال أبو نعيم: واجعلوه على الشك الفيل أو القتل وغيره يقول: الفيل وسلط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنين. ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولم تحل لأحد بعدي. ألا وإنها حلت لي ساعة من نهار. ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكتها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد. فمن قتل فهو بخير النظرين إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتل. فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله فقال: اكتبوا لأبي فلان. فقال رجل من قريش: إلا الإذخر يا رسول الله فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال النبي ﷺ: "إلا الإذخر إلا الإذخر" قال أبو عبد الله يقال يقاد بالقاف فقيل لأبي عبد الله أي شيء كتب له؟ قال: كتب له هذه الخطبة).

عن أبي هريرة ﷺ يقول ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب. ولا أكتب تابعه معمر عن همام عن أبي هريرة.^(٣)

وفي الوقت نفسه كان يحث على تعلم القراءة والكتابة فكانت من أهداف كثير من الصحابة في المدينة بعد الهجرة. فكان عبادة بن الصامت ﷺ يُعلم أصحاب الصفة القراءة والكتابة.^(٤) وقد استخدمها بعضهم

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ج ١/٤١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج ١/٣٦.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج ١/٣٦.

(٤) د. أكرم العمري المجتمع المدني في عهد النبوة، القسم الأول، ص ٩٦.

في كتابة القرآن والسنة.^(١)

وهنا نذكر بحال النبي ﷺ حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب كما قال - تعالى -: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [٤٨] [العنكبوت]^(٢) وأميته ﷺ معجزة.

وبعد نهاية غزوة بدر في رمضان من السنة الثانية من الهجرة، كان هناك مجموعة من الأسرى من مشركي قريش ممن يحسنون الكتابة والقراءة، لا مال لديهم لفاء أنفسهم من الأسر، فقبل الرسول ﷺ أن يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان المدينة الكتابة والقراءة، مقابل أن يطلق سراحه^(٣) فتعلم يوماً الكتابة والقراءة جماعة من غلمان الأنصار. فكان هذا الأمر سبباً في كثرة القراءة والكتابة في مجتمع المدينة. ولا شك أن هؤلاء المتعلمين ساهموا بعد ذلك في تعليم غيرهم.

ولعل الحرص بعد ذلك على كتابة القرآن والسنة التي بدأت في أيام الرسول ﷺ تُعد من أهم أسباب انتشار الكتابة، وكذلك الحال في كُتُب النبي ﷺ، الذين ساهموا في كتابة رسائله إلى أمرائه وإلى ملوك العالم الذين وصل عددهم بعد ذلك إلى قرابة ستين كاتباً.^(٤)

وفي الوقت الذي حث القرآن والسنة على العلم الحقيقي وتعليمه فقد حذر ﷺ من القول بغير علم، قال - تعالى -: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَلُّوا يَقِيناً ﴾ [١٥٧] [النساء].^(٥)

(١) د. أكرم العمري المجتمع المدني في عهد النبوة، القسم الأول، ص ٩٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٩.

(٣) انظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٦٩؛

وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث إنا فتحنا لك، موضوع غزوة بدر. (٤) انظر: مصطفى الأعظمي، كُتُب النبي ﷺ، ص ١٧٩؛ وانظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة؛ وأحمد عبد الرحمن عيسى، كتاب الوحي، ط ١ - الرياض: دار اللواء ١٤٠٠هـ؛ وجمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي حديدة، المصباح المضيء في كتاب النبي ﷺ.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٤٩.

وقال - تعالى - : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل].^(٧)

وقال - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل].^(٨)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٦٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٢٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧١٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٥٧.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٥٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٥٩.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٦٨.

وقال - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمِنكُمْ مَّن يُنَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴾ [الحج].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكُمْ وَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ؕ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثُرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [التقصص].^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٦١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٦٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٦٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٨٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٢٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٢٥.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٢٩.

وقال - تعالى - : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٢٩) [الروم].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٦) [لقمان].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥) [لقمان].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٢٠) [لقمان].^(٤)

وقد عاب الله على من أدعى أن ما لديه من خير الله ونعمته، هو بعلمه فقال - تعالى - : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) [الزمر].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ (٤٢) [غافر].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٥١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٥٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٦٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٦٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٢٣.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٢.

والمتخصص بعيد عن العلم. قال - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [٢٠] ﴿ [الزخرف].^(١)

وقد يكون الإنسان عالماً لكنه ضال. قال - تعالى - : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢٣] ﴿ [الجاثية].^(٢)

ويفترض الجهال أهل الظنون حقائق فيضلوا قال - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [٢٤] ﴿ [الجاثية].^(٣)

ويأمر الله - سبحانه - خلقه بعلم يدافعون به. قال - تعالى - : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٤] ﴿ [الأحقاف].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [٢٨] ﴿ [النجم].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [١٠٣] ﴿ [النحل].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٩٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٩٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٠١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٨٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٦.

الحكمة في حياته ﷺ:

الحكمة من: حَكَم، من حُكِم، حَكَمَة.

يقال الحَكِيم: الذي يُحَكِمُ الأشياءَ ويتقنها، والحَكِيم: العالم وصاحب الحكمة.^(١)

والحكمة: هي أداء أفضل الأشياء من الأقوال والأعمال، وإتقانها بدقائقتها وأحسن طرقها. ويقال لمن يتقن ذلك حَكِيم. والحَكَمَة: تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل. وأَحْكَمَ الأمر: أي أُنقِنَه فاستَحْكَم، ومنعه عن الفساد، أو منعه من الخروج عمّا يريد.^(٢)

وقال ابن القيم: (الحَكَمَة: أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه).^(٣)

كما يرى (أنه لا حكمة لجاهل ولا طائش ولا عجول).^(٣)

والحكمة تعني: العدل. ورجل حَكِيم: عدل منصف. وأحکم الأمر: أنقنه وأحكّمه ويقال للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكّمته التجارب.

والحِكْم، جمع حكمة، وهو الكلام الموافق للحق، وصواب الأمر وسداده.^(٤) والحكمة: تعني التوفيق للحق وصواب الأمر وسداده، ووضع الشيء في موضعه، وما يمنع من الجهل والعلة.

(١) انظر: الفيروز آبادي، لسان العرب، ج ١٢/١٤١.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/٣٨٥؛ وانظر: تعريف آخر <https://maraje.com> بتاريخ: ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٣) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/٣٨٦.

(٤) انظر: الفيروز آبادي، لسان العرب، ج ١٢/١٤٣: الزبيدي، ج ٨/٢٥٣.

وتكون الحكمة. نتيجة التجربة والخبرة والعلم الصحيح، والمحكم هو الذي ينظر بين طرفين بالعدل وأحكم أصاب وأجاد.^(١)

وكان عمرو بن هشام يسمى أبا الحكم، فلما ظهر جهله وعناده للحق وكفره سماه ﷺ أبا جهل.^(٢)

ومما ورد عنه ﷺ في الحكمة ما روي عن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت النَّبِيَّ ﷺ يقول: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها)).^(٣) قال النووي: (ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها، معناه: يعمل بها ويعلمها احتساباً، والحكمة: كلُّ ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح).^(٤)

ودعا بها ﷺ لحبر الأمة ابن عباس ﷺ فقد قال: ((ضمَّني رسول الله ﷺ، وقال: اللهم علمه الحكمة)).^(٥)

قيل في معناها: علمه القرآن - كما مر ذكره - وفهمه والعمل به، وقيل: السُّنَّة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يُفَرِّقُ به بين الإلهام

(١) انظر: الفيروز آبادي، لسان العرب، ج ١٢/١٤٢: الزبيدي، تاج العروس، ج ٨/٢٥٣.

(٢) انظر: الفيروز آبادي، لسان العرب، ج ١٢/١٤٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل...، ج ٢/٢٠٩. وفي كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة وقال عمر ﷺ تفقهوا قبل أن تسودوا، ج ١/٢٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه...، ج ٢/٢٠١.

(٤) انظر: النووي شرح صحيح مسلم، ج ٦/٤٢١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب، ج ١/٢٧.

والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة. وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التفسير في تفسير قوله - تعالى -: وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ.^(١) وكتب سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى أبي الدرداء: (إنما العلم كالينابيع، فينفع به الله من شاء، ومثل حكمة لا يتكلم بها، كجسد لا روح له).^(٢) وقال ابن عباس رضي الله عنه: (كونوا ربانيين حكماء فقهاء).^(٣) وقال وهب بن منبه: (إن الحكمة تسكن القلب الواردع الساكن).^(٤) وعن ابن عيينة قال: (كان يقال: إن أفضل ما أُعطي العبد في الدنيا الحكمة، وفي الآخرة الرحمة).^(٥) وقال بعض العلماء: (ليس هدية أفضل من كلمة حكمة تهديها لأخيك).^(٦)

- (١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ولقد آتينا لقمان الحكمة، أن اشكر لله، ج٤/١٣٧؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٦٢؛ والطبري في تفسيره، ج١٠/٢٠٨.
- (٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، كلام سلمان رضي الله عنه، ج١٣/٣٣٤، ٣٣٥، ح برقم: ١٦٥١٥.
- (٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل العمل، ج١/٢٥.
- (٤) انظر: الدارمي، سننه، باب صيانة العلم، ج١/١٤٣؛ وانظر: <https://www.dorar.net/akhlaq> بتاريخ: ١٠/١٤٤٢هـ، بعنوان: (أقوال أهل العلم والسلف في الحكمة).
- (٥) انظر: المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري، ج٦/٣٠٤. نقلاً عن <https://www.dorar.net/akhlaq> بتاريخ: ١٠/١٤٤٢هـ، بعنوان: (أقوال أهل العلم والسلف في الحكمة).
- (٦) انظر: الدارمي في سننه، باب في فضل العلم والعالم، ج١/١٠٠.

الحكمة في القرآن الكريم:

من أسماء الله وصفاته الحكيم،^(١) فهو أحكم الحاكمين الحكيم العليم تكررت في عدد من الآيات قال ﷺ: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿فَضَلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿وَيَذْهَبْ غَيْظٌ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].^(٧)

(١) انظر: الفيروز آبادي، لسان العرب، ج ١٢/١٤٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٦٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٦٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٤٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٠١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٥٥.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٦٦.

وقال - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَخْرُوتَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿لَا يَزَالُ بُنِينَهِمْ الَّذِينَ بَنَوْا رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٧٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٨٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٠٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٠٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩١٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٤٤.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٨٢.

وقال - تعالى - ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [النور].^(١)

وحكم الله دائماً هو الحق يحكم بعلمه وحكمته وقدرته. وقال - تعالى - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجَرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكِمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة].^(٢)

وقال - تعالى - ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].^(٣)

وقال - تعالى - ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [النساء].^(٤)

وقال - تعالى - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٤٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٦١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٥٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٥٧.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ [النساء].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَتَى اللَّهِ وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ [الأحزاب].

وقال - تعالى - : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ [النساء].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ [النساء].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ [النساء].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَتَى اللَّهِ وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ [الأحزاب].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿... وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥١﴾ [الأحزاب].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥١٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٢٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٣١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٦٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥١١.

وقال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان].^(٢)

ومع الحكمة لله فله العزة سبحانه. وقال - تعالى -: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال].^(٣)

والله ﷻ يوتي الحكمة من يشاء كما قال - تعالى -: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦٩﴾﴾ [البقرة].

والحكمة نعمة من الله آتاها الأنبياء والصالحين قبل نبينا محمد ﷺ وبعده من الصالحين. كما أنعم الله على آخرين من عباده بالحكمة.

وقد أتى الله أنبياءه الحكمة مع ما أنزل عليهم من الكتب، قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ۗ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۗ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ۗ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٢٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٤٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٤٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٧٧.

قال - تعالى - عن ما أتى آل إبراهيم ﷺ من الحكمة: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء].^(١)

قال - تعالى - عن داود ﷺ: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة].^(٢) وقال - تعالى -: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص].^(٣)

قال - تعالى - عن تعليم الله الحكمة لعيسى ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾﴾ [الزخرف].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ولَدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤٩٧.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣١٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٦٠٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٦٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٦٨٣.

كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَمِرٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة].^(١)

وقد أشار ﷺ لنعمة الحكمة التي آتاها لقمان ﷺ قال - تعالى - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ [لقمان].^(٢)

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٦٨.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٤٦١.

حكمة النبي ﷺ في القرآن:

وردت لفظة الحكمة خاصة برسول الله ﷺ في كتاب الله ﷻ في عدد من الآيات القرآنية الكريمة، منها ما ورد في دعوة إبراهيم ﷺ لأمة محمد ﷺ، كما قال - تعالى -: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٣٩﴾

[البقرة].^(١) وفي هذا تأكيد على أن من مهامه ﷺ تعليم الأمة الحكمة.

ولا شك أن الله ﷻ أتى نبيه ﷺ الحكمة، وأختصه بها.

وكما قال - تعالى -: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء].^(٢)

ولا شك أن الحكمة النبوية التي تمثل في سنته ﷺ إنما هي جزء من الوحي والرسالة، كما قال - تعالى -: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ﴿٤﴾ [النجم].^(٣) وكما أنزل الله على رسوله ﷺ القرآن فقد أنزل عليه الحكمة، كما قال - تعالى -: ﴿ ... وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكَ بِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٣﴾ [البقرة].^(٤)

والله ﷻ علم نبيه ﷺ الحكمة قال - تعالى -: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٢١١.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٣١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٧٧٥.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٢٩٥.

يُضْرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ [النساء].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَنُلْقِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿...وَلَا تَنْخِذُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة].^(٣)

وقد أكد ﷺ على ما أتى نبيه ﷺ من الحكمة كما قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ۚ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].^(٤)

وكان ﷺ يمارس الحكمة في دعوته ﷺ للناس تنفيذاً لأمره ﷺ، قال - تعالى - : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ [النحل].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٩٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٨٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤١٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٨١.

كما كان ﷺ يعلم الحكمة للناس الحكمة كما أخبر ﷺ، قال - تعالى -: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١) ﴿ البقرة. (١) ﴾

وجزاء من رسالته ﷺ تعليم الناس الحكمة، كما يعلمهم كتاب الله ﷺ قال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) ﴿ الجمعة. (٢) ﴾

وقال - تعالى -: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٦٤) ﴿ آل عمران. (٣) ﴾

والحكمة التي نزلت على رسوله ﷺ ظهرت في سنته الفعلية والقولية، ووجهت أمهات المؤمنين وهن أقرب الناس لرسول الله ﷺ معاشرة له ﷺ بتذكرها مع كتاب الله، وبأن يذكرنها للناس كما قال - تعالى -: ﴿ وَأذْكُرْ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٣٤) ﴿ الأحزاب. (٤) ﴾

والفقه في العلم يعد حكمة، وقد جاءت الكثير من الآيات التي مرت بنا تقرن بين العلم والحكمة. وقرن الحكمة بالعلم حكمة بليغة، وهو ما أتى عليه رسول الله ﷺ، فعند البخاري في صحيحه باب الاغتباط في العلم والحكمة وقال عمر ﷺ: (تفقهوا قبل أن تسودوا). (٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢٢١/١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٨٧١/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٤١٣/١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١٤٩٥/٢.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة وقال

عمر ﷺ تفقهوا قبل أن تسودوا، ج ٢٦/١.

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد تم الإستشهاد به في مواضع مختلفة لكل شاهد مناسبتة، قال النبي ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها)).^(١)

وشواهد حكمته ﷺ أكثر من أن تحصى. ولعل من شواهد ذلك حكمته ﷺ حين شارك في بناء الكعبة، حيث تعرضت الكعبة قبل البعثة النبوية بقرابة خمس سنوات لحادثين أديا إلى تصدعها، حيث كانت قريش تغطي الكعبة بالجلود والصوف. وكان من عاداتهم في الجاهلية أن يجمروا الكعبة بشيء من البخور، فعلق بعض الجمر بأستارها فاحترقت وتصدعت، ثم تعرضت إلى سيل هدم جوانب منها، فقررت قريش إعادة بنائها من جديد.^(٢)

كان أسلوب البناء بالحجارة والطين وسقف من الخشب البسيط. واستدعت قريش نجارا قبطيا ليقوم بعمل سقف الكعبة، وهدمت قريش ما تبقى من الكعبة لتعيد بناءها.^(٣) حتى وصلوا إلى أسس معينة معروفة عندهم لا يتجاوزونها ولا يمسونها.^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ج٢٠٩/٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويُعلمه...، ج٢١/٢.

(٢) الأزرقى، أخبار مكة، ج١/١٦٠.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج١/١٥٧؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٢/٢٢٨.

(٤) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/١٤٥؛ السهيلي، الروض الأنف، ج١/١٢٤.

وتقاسمت بطون قريش أركان الكعبة وزواياها، حيث اختص كل قوم بجهة من البناء؛ لما يرون في ذلك من الشرف والفخر، وحتى لا تذهب بذلك قبيلة دون أخرى أو بطن من قريش دون آخر.^(١)

وحينما أتموا البناء اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه، فكل فريق من قريش يريد أن يذهب بفخر وضع الحجر الأسود في مكانه، حتى كادوا أن يقتتلوا.^(٢)

ثم اتفقوا أن يحكموا أول داخل للحرم، فكان أول داخل للحرم هو المصطفى ﷺ، فلما رأوه صاحوا جميعاً: "هذا الأمين هذا محمد رضينا بالأمين"، وهذه شهادة مباشرة من قومه له حتى من عاداه بعد ذلك.^(٣)

فما كان منه ﷺ إلا أن وضع رداءه، وحمل الحجر الأسود ووضع على الرداء، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف من أطرافه وحملوه، حتى إذا وازى موضعه في الكعبة وضعه الرسول ﷺ بيده الشريفة، فرضي القوم وطابت نفوسهم.^(٤)

وقد جزم أصحاب السير على أن سن الرسول ﷺ حين إعادة بناء الكعبة كان خمسة وثلاثين عاماً.^(٥)

ولعل مما أعطى الله نبيه من الحكمة قبل مبعثه ﷺ تأمله وتفكره العميق. فقد كان رسول الله ﷺ يخرج في شعاب مكة وأوديتها متفكراً في

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/١٩٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٧.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٧.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٧؛ مسند الإمام أحمد، ج٣/٤٢٥.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/٣٢٤؛ الذهبي، السيرة النبوية، ص ٧٧.

خلق الله يطوي البطون والأودية متأملاً متفكراً ذاكراً الله - تعالى - موحداً على ملة إبراهيم ﷺ. (١)

ومع ما مضى من عُمر الرسول ﷺ قبل الوحي فقد كان حكيماً ﷺ والوحي نعمة من الله عليه ﷺ ومنه الحكمة التي يفهم أنها سنته ﷺ ، لم تكن بمشيئته ، كما قال الله - تعالى - : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦) ﷺ .
ليونس]. (٢)

ومما هداه الله إليه من الحكمة المبكرة حُب الخلاء ﷺ ، حيث كان ﷺ موحداً على ملة إبراهيم ﷺ ، كارهاً لما عليه قريش، مؤمناً بالله وحده، متفكراً في ملكه، واختار ﷺ لخلوته غار حراء (٣) في جبل إلى الشرق من مكة، يعرف اليوم بجبل النور. فكان ﷺ يصوم ويخلو في الغار الأيام والليالي ذوات العدد تقريباً إلى الله - تعالى - حيث هدي إلى ذلك. ولم يأت به أمر، لكنه سلوك فطري حكيم يقرب إلى الله - تعالى - سلكه المصطفى ﷺ ، بتوفيق من الله ﷻ ، حتى قيل إنه يمكث شهراً من كل سنة. وقد حُب إليه ذلك كما ورد في حديث عائشة ﷺ قالت: (ثم حُب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث - يتعبد - فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء). (٤)

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٣٤.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٩٢٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٣٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ج ١/٢ - ٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، ج ١/١٣٩، ١٤٠.

وكان ﷺ في هذه المرحلة لم يبعث بعد كما قال - تعالى -: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى].^(١) وهذا من رحمة الله به ﷺ.

وكان شهر رمضان أحب الشهور إلى النبي ﷺ خلوة وصياماً قبل مبعثه، وكانت خديجة ﷺ تصبر على بعده، وتواسيه وتشجعه. وكان ﷺ إذا قضى خلوته ورجع إلى مكة بدأ بالحرم^(٢) وطاف حول الكعبة متجنباً الأصنام. كان الغار بوضعه الجغرافي يعطي فرصة قوية للاطلاع على الفضاء ورؤية الأرض من علو، ومعرفة عظيم خلق الله تعالى.^(٣)

وكان ﷺ منذ أن وعى حكيماً كريماً معطاءً، حتى صارت صفة من صفاته التي تميز بها ﷺ، وذكرته بها خديجة ﷺ عند نزول الوحي.^(٤) وبعد مبعثه ﷺ وجهه بالدعوة كانت قريش وكفارها يصبون شتى أنواع الأذى على رسول الله ﷺ، ويستهدفون نبيّه ومن معه عن الإسلام، كما كانوا يصدون الناس عن السماع لرسول الله ﷺ بعد أن انتشرت دعوته، ويعقدون الاجتماعات ويحيكون المؤامرات؛ لمنع الناس من السماع لهذا الدين. كما كانوا يوجهون أشد أنواع الأذى الجسدي والمعنوي لرسول الله ﷺ في محاولة منهم للصد عن سبيل الله.^(٥)

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٦٧٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٣٥.

(٣) محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ص ٢٥٦.

(٤) انظر: حديث البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي، ج ١/٤.

(٥) انظر: الفصل الخاص بموقف زعماء قريش من دعوة الرسول وأذاهم له وللمسلمين في كتاب محمد الشنقيطي: (السيرة النبوية لابن حجر في فتح الباري)، ج ١/٣٩٨.

كان ﷺ صابراً محتسباً حكيمًا. يتعامل مع كل موقف بما يناسبه. ومن ذلك الرد بقوة أحياناً، ليكون ردعاً للمعتدين، وكان التعزية والتشيت لأصحابه المعذبين الصابرين.

عن عمرو بن العاص ﷺ قال: (ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يوماً اتّمروا به، وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط، فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وكب لركبته ساقطاً، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ من ورائه، وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم انصرفوا عن النبي ﷺ فقام رسول الله ﷺ فصلى، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة، فقال: "يا معشر قريش! أما والذي نفس محمد بيده! ما أرسلت إليكم إلا بالذبح"، وأشار بيده إلى حلقه، قال: فقال له أبو جهل: يا محمد! ما كنت جهولاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: "أنت منهم").^(١)

ومن المواقف المشهودة له ﷺ بالحكمة أن عتبة بن ربيعة، وكان من سادات قريش، رأى النبي ﷺ جالساً في المسجد الحرام، فقال لسادة قريش: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا (يعني الرسول ﷺ) فأعرض أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عتاً؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فحدثه وقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت في العشيرة والمكان والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٠٩؛ والذهبي، السيرة النبوية، ص ١٦٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٩٠.

آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال ﷺ: "قُلْ يَا أبا الوليد أَسْمَعُ" قال: يا بن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً [عملاً من الجن] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب عليك التابع على الرجل حتى يداوى منه .. حتى إذا فرغ عتبة ابن ربيعة من حديثه والرسول ﷺ يسمع إليه بكل أدب ناداه بأحب الألقاب إليه قائلاً: "أَفَرَعْتَ يَا أبا الوليد؟" قال: نعم، قال: فاستمع مني قال: أفعُل، فقرأ عليه رسول الله من سورة فصلت ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ [فصلت] ومضى رسول الله ﷺ حتى وصل إلى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت] حتى إذا أتى الرسول ﷺ السجدة في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الَّتِي أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَصْبَحَ السَّجْدُ وَاللِّقْمَرُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت] وسجد رسول الله ﷺ فأندهش عتبة مما سمع من رسول الله ﷺ ومن سجوده. وقيل إنه لما وصل الرسول ﷺ لقوله - تعالى -: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت] أمسك عتبة بضم رسول الله ﷺ وأخذ يناشده ويصيح: أنشدك بالله والرحم، ثم استند إلى يديه وأخذ يغرق في التأمل والتفكير، ثم عاد إلى الملامن قريش. فلما رآه مقبلاً عليهم قال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فجلس إليهم مطرقاً، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: سمعت قولاً واللّٰه ما سمعت مثله قط، واللّٰه ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه! فاعتزلوه، فو اللّٰه ليكون لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تُصِبُّه العرب فقد كُفِيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلكه مُلككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانه! قال: رأيي فاصنعوا ما بدا لكم.^(١) وهذا الموقف يبيّن حكمته ﷺ وسماعه برويه وحسن إنصاته، وصدقه ﷺ في دعوته. والغريب أن عتبة بن ربيعة تيقن صدق رسول اللّٰه ﷺ، وعرف القرآن الذي جاء به وسمعه منه مباشرة، ومع ذلك قُتل معانداً مشركاً في صفوف قريش يوم بدر،^(٢) رغم تحذيره لقومه، وأن محمداً سينتصر على من عاداه.

لم يكتف المشركون بأذى الرسول ﷺ، بل صبوا جام غضبهم على أصحابه في محاولة منهم لإرجاعهم عن الإسلام وصدّهم عن دين اللّٰه. فكان ﷺ يمر بهم ويثبّتهم ويدعو لهم ويبشّرهم. ومنهم آل ياسر: سمية بنت خياط وزوجها ياسر وهم من عنس باليمن، كان حليفاً لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، فزوجه من جاريتها سمية، فولدت له عماراً، ثم أعتقها حذيفة ومات بعد ذلك. وكان ياسر وأخوه عبد اللّٰه وزوجته سمية وابنه عمار من أوائل الداخلين في الإسلام من المستضعفين.^(٣) وكان أبو جهل قد تسلط

(١) انظر القصة مع اختلاف في تفصيلاتها عند: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣/٥٣؛

وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٠٨؛ الذهبي، السيرة النبوية، ج ١/٢٩٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/٦٤٢.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٦١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١/٤٩٤.

على آل ياسر: ياسر وزوجه سمية وابنهما عمار، وكان يشتد عليهم بالعذاب ويُغرى بهم السفهاء والشبان، وحيث كان مواليهم من بني مخزوم قد غضبوا لإسلامهم فقد كانوا يشاركون في تعذيبهم، حيث يُخرجون في حر الظهيرة إلى بطحاء مكة فيعذبونهم في رمضائها، ويجلدونهم أمام الناس زيادة في النكال وتهديداً لبقية المسلمين، فكان رسول الله ﷺ يمر بهم وهم على تلك الحال فلا يستطيع خلاصهم، فيعزيهم بقوله ﷺ: ((صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)).^(١) وقد اشتد العذاب يوماً بآل ياسر جميعاً وحاول أبو جهل الكلام على النبي ﷺ فأغلظت سمية له القول، فأخذ الحربة وطعنها في موضع عفتها أمام زوجها وابنها فاستشهدت في سبيل الله. وكانت هذه المرأة أول كواكب شهداء أمة محمد ﷺ وسابقتهم ومقدمتهم.^(٢) وقد ورد في حديث لعثمان بن عفان ﷺ قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ أخذاً بيدي نتمشى بالبطحاء حتى أتى على آل عمار بن ياسر، فقال أبو عمار: يا رسول الله الدهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: ((اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت)).^(٣) ثم مات ياسر تحت التعذيب.

وبلال ﷺ أسلم مبكراً، وآمن برسول الله ﷺ، فلما علم أمية بن خلف بإسلامه آذاه أشد الأذى، وعذبه، وأذن لبقية مشركي مكة بتعذيبه. فكان أمية بن خلف يخرج بلالاً ﷺ إلى الشمس في بطحاء مكة ورمضائها وحرها الشديد، فيضع بلالاً مجرد الظهر والبطن على الحصباء، ثم يضع الحجارة الثقيلة على صدره، ويهدده بأنها لا تُزالُ عنه حتى يكفر بالله

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٣٢٠.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٩٤.

(٣) الصلابي، السيرة النبوية، ج ١/٣٠١.

وبمحمد ﷺ، ويعبد اللات والعزى، ولكن بلائاً أصر على التمسك بالدين، والصبر على الأذى، فيردد: أحد أحد! فيزيد غيظ القوم عليه ويتشددون بالعذاب، وكان يقول (لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم لقلتها)،^(١) كانوا يربطون حبلاً في عنقه ويدفعون به إلى الصبيان ليجروه على الشوك والحجارة في مكة، فلا يزداد إلا إيماناً وتمسكاً بدين الله. (مر به أبو بكر الصديق ﷺ)، وأمّية بن خلف يعذبه عذاباً شديداً فقال لأمّية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ فقال أمّية أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال الصديق ﷺ: أفعّل. فعوضه أبو بكر ﷺ - دفع له مالا ثمناً له - وكان عمر يقول: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا).^(٢) ولا شك أن رسول الله ﷺ كان مشجعاً لأبي بكر ﷺ على شراء بلال ﷺ وعتقه، وصار بلال ﷺ بعد عتقه من أكثر الناس التصاقاً برسول الله ﷺ. قبل الهجرة وبعدها، وقد قال ﷺ: ((لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد، وأُخِفْتُ في الله وما يخَافُ أحدٌ ولقد أتت عليّ ثلاثون من يوم وليلة وما لي وبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يواريه إبط بلال)).^(٣) وبعد الهجرة أصبح مؤذن رسول الله ﷺ واشتهر بهذا اللقب، وبشره الرسول ﷺ بالجنة، كما شارك في جيوش فتح الشام وأصبح من أمرائها في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.^(٤) وكان من صالحى المسلمين ومعلميهم رضي الله عنه وأرضاه.

وتصرف الرسول ﷺ بحكمة مع المنافقين الذين آذوه باستمرار فمن أبرز

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٣١٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق ﷺ، ج ٤/٢١٧.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج ٢/١٢٠.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٣/٨٢٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج ١/١٦٥.

أحداث غزوة بني المصطلق ما جرى من المنافقين خصوصاً عبد الله بن أبي ابن سلول، ومن على شاكلته. ولا شك أن لهم أتباعاً في كل زمان، ينطبق عليهم ما نزل من آيات قرآنية في أولئك المنافقين.

فقد أقتتل عند الماء رجلان، أحدهما من غفار أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والآخر حليف لأحد الأنصار، فصرخ أجير عمر يا معشر المهاجرين وصرخ حليف الأنصاري يا للأنصار، وكاد الشر أن يقع بين المسلمين. فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك قال: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة)).^(١)

وكان عبد الله بن أبي بين أناس من الأنصار ومعهم زيد بن أرقم رضي الله عنه صحابي صغير في السن، يستمع لما يجرى، فقال ابن أبي مستثيراً القوم: أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما عدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول (سمن كلبك يأكلك). أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل يلوم من حوله من الأنصار قائلاً: أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم.

ثم ذهب زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو غلام حدث، فأخبر رسول الله ﷺ بما قال عبد الله بن أبي وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضراً فقال: يا رسول الله ﷺ مُرِّبُهُ فَأَقْتَلَهُ، فقال ﷺ: ((فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟)).^(٢) إنها الحكمة النبوية.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَا...﴾، ج ٦٥/٦٦، ٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ ..، ج ٦٦/٦٦، ٦٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٢٩١.

وجاء عبد الله بن أبي يحلف أنه ما قال ذلك، وينفي ما نقله زيد بن أرقم، حتى شك بعض من لم يحضر أن عبد الله بن أبي صادق، ولاموا زيد بن أرقم وهو غلام حدث. وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل في ساعة ما كان يرحل فيها، مشغلاً الناس عن هذه الفتنة التي حاول إشعالها رأس المنافقين ومن معه، فجاء أسيد بن حُضير رضي الله عنه مستفسراً من رسول الله ﷺ عن سبب رحيله في هذه الساعة التي ما كان يرحل فيها، فقال رضي الله عنه: ((أو ما بلغك ما قال صاحبك؟ قال: وأي صاحب؟ قال عبد الله بن أبي؟ قال: وما قال؟ قال رضي الله عنه: زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل))، قال رضي الله عنه: فأنت والله العزيز وهو الذليل، لنخرجنه منها إن شئت، وسار رسول الله ﷺ يومه وواصل ليله وصدر اليوم التالي، حتى أرهق الناس. فلما وضعوا رحالهم ناموا من شدة التعب، ولم يكن هناك مجال للمناقشة والحديث حول ما دار إذ شغل الناس حتى تعبوا وأرهقوا.^(١)

وفي هذه الأثناء نزلت سورة المنافقين على رسول الله ﷺ، وكان فيها تصديق لما قاله زيد بن أرقم،^(٢) وهو غلام حدث فأخذ رسول الله ﷺ بإذنه مداعباً فقال: ((هذا الذي أوفى الله بأذنه))^(٣) وكان من الآيات التي تنزلت في عبد الله بن أبي وفي قوله والمنافقين معه قوله - تعالى -: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤) هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ [المنافقون].^(٥)

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦٩.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن، ج ٢/١٨٧٦.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٢٩٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج ١/٥٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/١٦٥.

(٤) ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٨٧٦، ١٨٧٨.

وكان لعبد الله بن أبي ولد صالح يسمى عبد الله، من أصحاب النبي ﷺ. فلما علم بما حدث من والده جاء إلى النبي ﷺ قائلاً: إنه بلغني أنك تريد قتل أبي، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها من رجل أبر بوالده مني، واني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال ﷺ: ((بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)).^(١)

لقد عانى الرسول ﷺ والمسلمون معه من المرجفين وأصحاب الأهواء والمصالح الضيقة في المدينة. وكانت حكمة الرسول ﷺ. حينما بلغه قول عبد الله بن أبي بن سلول في حق المسلمين: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأراد عمر بن الخطاب ﷺ أن يقتله، فقال له رسول الله: ((كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟)).^(٢)

فهنا ظهرت حكمته ﷺ في معالجة الفتنة وإخماد نيرانها، حيث وجههم إلى الرفق واللين، من أجل أن يخمد الشر قبل أن ينتشر كالنار في الهشيم، ثم أمر أصحابه بالرحيل في وقت ليس من عادته الرحيل فيه؛ ليشغلهم بالترحال عن حديث الفتنة فيئدها في مهدها.^(٣)

وكانت حادثة الإفك من أهم أحداث السيرة التي بينت حكمته ﷺ في التعامل مع مثيريه من المنافقين، ومع عائشة ﷺ ومع آل البيت وأصحابه

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٢٩٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾، ج ٦٦/٦٦، ٦٧؛ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت، ج ٦/١٣٨، ١٣٩.

(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث، غزوة بني المصطلق.

وبقية الصحابة رضي الله عنهم ومع الجو العام في المدينة.^(١) هذه الحادثة التي مست عرض رسول الله ﷺ أظهر عرض وأحب نسائه إليه وللأمة جمعاء. وقد تصرف ﷺ مع الحدث بحكمة وروية، رغم صعوبته، وعدم معرفته للحقيقة قبل نزول الوحي.

روى عروة بن الزبير قالت عائشة: ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقممت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستتكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه. وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيمنت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت، وكان صفوان ابن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي،

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ج ٥٥/٥؛ وانظر: تفصيل الروايات عند ابن كثير، في السيرة النبوية، ج ٣٠٤/٣.

فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رأني، وكان رأني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة، وهم نزول. قالت: فهلك في من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه. ... وإن كبر ذلك يقال عبد الله بن أبي بن سلول...

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يربيني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم" ثم ينصرف، فذلك يربيني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع،^(١) وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا. قالت وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي، حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها بئس ما قلت،

(١) المناصع: هي مواضع يُبرز إليها للبول والغائط، وعُرفت متبرزاً للنساء في المدينة. انظر:

أتسبين رجلاً شهد بدمراً فقالت: أي هنتاه ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال فأخبرتني بقول أهل الإفك - قالت - فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: "كيف تيكم". فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي، قالت: وأريد أن استيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا، قالت: فبكيت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا اكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يسألها ويستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: "أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك". قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي". قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرک، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حُضير - وهو ابن عم سعد - فقام لسعد بن عبادة فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فانك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: فبكيت يومي ذلك كله، لا يرقأ لي دمع، ولا اكتحل بنوم قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما أبواي جالسان عندي وأنا ابكي، فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا، فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: "أما بعد، يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسبيرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب الله عليه". قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي اجب رسول الله ﷺ عني فيما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبني رسول الله ﷺ فيما قال. قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت وأنا جاريه حديثه السن لا اقرأ من القرآن كثيراً: إني والله قد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في

أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أي منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون". ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أي حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي براءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى أنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: "يا عائشة أما الله فقد برأك". قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت والله لا أقوم إليه، فاني لا أحمد إلا الله ﷻ قالت: وأنزل الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ لسورة النور، من الآية: ١١]. العشر الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق: وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ لسورة النور، من الآية: ٢٢ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال أبو بكر الصديق ﷺ: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه.

وهذه الرواية من صاحبة الشأن ﷺ أبلغ ما يقال عن هذه الحادثة.

وقد نزلت في الحادثة آيات تتلى إلى يوم القيامة فيها دروس عظيمة للأمة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شراً لكم بل هو خير

لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾
 تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى
 جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَوَّلْتِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾
 وَتَوَلَّى فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
 ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسِّنْتِكُمْ وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ
 اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَتَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ
 الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفُحْشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَتَوَلَّى فَضَلَّ اللَّهُ
 عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
 الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفُحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَتَوَلَّى فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلُ
 أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَلِيَعْفُوا وَيُصَفِّحُوا أَلَّا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴿النور﴾^(١)

وإيراد هذه القصة بطولها، فيه كشف لحكمة رسول الله ﷺ في التعامل مع المنافقين وما قالوه، ومع عائشة رضي الله عنها، ومع تلك الإشاعة استهداف لبيت النبوة، وحكم هذه الحادثة أكثر من أن تحصى، وهي من الأمثلة الجامعة على هذه الحكمة.

وله ﷺ موقف مع المنافقين الذين حاولوا قتله في غزوة تبوك. ففي الطريق

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ٣/١٣٢٢، ١٣٢٣.

لقي الأذى ﷺ من بعض المنافقين، حيث حاولت مجموعة منهم قدرت بأربعة عشر رجلاً قتل رسول الله ﷺ، حينما كان ﷺ يسير في عقبه ليتجاوزها، وأمر من ينادي في الناس: إن رسول الله أخذ العقبة فلا يأخذها أحد - والعقبه طريق ضيق في الجبل لا يكاد يمر منه الراكب - وكان يقود بالرسول ﷺ حذيفة بن اليمان ويسوق به عمار بن ياسر ﷺ.

فأقبل مجموعة من الرجال ملثمين على رواحلهم حتى غشوا عماراً ﷺ وهو يضرب وجوه رواحلهم ليبعدهم عن رسول الله، فقال ﷺ لحذيفة: ((قَدْ قُدُّ، وحين هبط رسول الله ﷺ قال لعمار ﷺ: هل عرفت القوم؟ قال عمار: قد عرفت الرواحل والقوم ملثمون: قال له الرسول ﷺ: هل تدري ما أرادوا؟ قال عمار ﷺ: الله ورسوله أعلم، قال أرادوا أن يُنْفَرُوا برسول الله ﷺ فيطرحوه)).^(١)

ومع معرفة هؤلاء المجرمين القتل ﷺ فقد تجاوز عنهم ولم يعاقبهم وكان في ذلك حكمة من ﷺ في التعامل مع هؤلاء المجرمين.

ولعل حكمته ﷺ اتضحت في موقفه عند كتابة صلح الحديبية، فقد جاءه ﷺ مندوب قريش سهيل بن عمرو ومكرز فأعطاهما الذي سألا فقال: ((اكتبوا (بسم الله الرحمن الرحيم) قالوا: والله لا نكتب هذا أبداً، قال: فكيف؟ قالوا: نكتب (باسمك اللهم)، قال: هذه فاكتبوها فكتبوها، ثم قال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله له فقالوا: والله ما نختلف إلا في هذا، فقال: ما أكتب؟ فقالوا: انتسب، فاكتب محمد بن عبد الله

(١) انظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٣٩٠/٥، ٣٩١؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٦٦٩/٥؛

وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث، غزو تبوك.

قال ﷺ: وهذه حسنة اكتبوها، فكتبوها، وكان شرطهم أن بيننا العيبة المكفوفة، وأنه لا إغلال ولا أسلال، قال أبو أسامة الأغلال: الدروع، والإسلال السيوف، ويعني بالعبية المكفوفة أصحابه يكفهم عنهم، وأنه من أتاكم منا رددتموه علينا، ومن أتانا منكم لن نرده عليكم، فقال رسول الله ﷺ: ومن دخل معي فله مثل شرطي، فقالت قريش من دخل معنا فهو منا، له مثل شرطنا، فقالت بنو كعب: نحن معك يا رسول الله ﷺ وقالت بنو بكر: نحن مع قريش، فبينما هم في الكتاب إذ جاء أبو جندل^(١) ابن سهيل بن عمرو يرسف في القيود، فقال المسلمون: هذا أبو جندل، فقال رسول الله ﷺ: هو لي، وقال سهيل: هو لي، وقال سهيل: إقرأ الكتاب فإذا هو لسهيل فقال أبو جندل: يا رسول الله! يا معشر المسلمين! أُرِدْ إلى المشركين؟ فقال عمر: يا أبا جندل! هذا السيف وإنما هو رجل واحد فقال سهيل: اعنت علي يا عمر! فقال رسول الله ﷺ لسهيل: هبه لي، قال: لا. قال: فأجره لي: قال: لا، قال مكرز: قد أجرته لك يا محمد، فلم ينج.))^(٢)

إن وقائع صلح الحديبية مليئة بالأحداث العظيمة التي تبين حكمة رسول الله ﷺ وبعد نظره، ولا شك أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد أشير إلى بعض هذه الأحداث في القرآن الكريم، ومنها بيعة الرضوان التي تعد موقفاً حازماً وحكيمياً، ذلك أن الرسول ﷺ بعث عثمان بن عفان ﷺ إلى أهل مكة ليخبرهم أن رسول الله ﷺ جاء زائراً للبيت الحرام معظماً له ومعتماً ولم

(١) أبو جندل: هو ابن المفاوض القرشي، سهيل بن عمرو، أسلم في مكة، ومنعه أبوه من الهجرة وآذاه وعذبه حتى هاجر، استشهد في معركة اليمامة سنة ١١ هـ. ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣٤.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٧٠ - ٢٧٤؛ وانظر إلى أجزاء مختلفة من الرواية عند البخاري في صحيحه، ج ٥/٦٩.

يأت لقتال. فدخل عثمان مكة في جوار سعيد بن العاص، فبلغ زعماء قريش ما أمره به رسول الله ﷺ، وطلبوا منه أن يطوف بالبيت فرفض ﷺ إلا أن يؤذن لرسول الله ﷺ في ذلك، فحاولوا احتباس عثمان ﷺ عندهم.^(١) وبلغ الرسول ﷺ أن عثمان قد قتل من قبل قريش فجمع رسول الله ﷺ الناس تحت شجرة للبيعة.^(٢) وقد تنافس المسلمون في بيعة رسول الله ﷺ حتى أن سلمة بن الأكوع ﷺ بايع رسول الله ﷺ أكثر من مرة، طمعاً في تكرار أن تلامس يده يد رسول الله ﷺ، ولم يتخلف عن البيعة إلا أحد المنافقين وهو (الجد بن قيس)، وكان مختبئاً تحت ناقته. وقد أتى الله ﷺ على المؤمنين المبايعين لرسول الله ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].^(٣) وقد أتى الرسول على أهل بيعة الرضوان فقال: ((أنتم اليوم خير أهل الأرض)).^(٤) وكان رسول الله ﷺ بايع لعثمان ضرب إحدى يديه على الأخرى.^(٥) وهذه البيعة والحماية لعثمان حزم وحكمة منه ﷺ.

وقد كان رسول الله ﷺ مرناً حكيماً مع قريش في مفاوضاته وفي صلحه لدرجة أن عمر بن الخطاب ﷺ اغتم غمماً شديداً لهذا الأمر واستغرب، وقال: يا رسول الله ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قال ألسنا على الحق وهم على

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣١٥.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية و قول الله - تعالى -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، الآية ج ٥/٦١؛ ووضع ابن هشام في السيرة عنوان: (بيعة الرضوان)، ج ٣/٣١٦.

(٣) ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٧٣٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج ٥/٦٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٣.

(٥) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣١٦.

الباطل؟ قال: بلى، قال عمر: فلم تعطى الدنيا في ديننا؟ قال ﷺ: إني رسول الله ﷺ ولست أعصيه، قال عمر: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به، قال: بلى فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال ﷺ: فإنك آتية ومطوف به؟ ثم توجه عمر إلى أبي بكر الصديق ووجه له مثل الكلام الأول قائلاً: لم تعطى الدنيا في ديننا؟ فرد عليه أبو بكر رد الفقيه العالم العاقل: يا عمر إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق.^(١) لقد كانت حكمة بينة لرسول الله ﷺ ولأبي بكر الصديق ﷺ.

وحيثما انتهى الأمر بالاتفاق على أن لا يعتمر الرسول ﷺ في هذه الرحلة، وإنما يأتي من عام قابل قال ﷺ لأصحابه: ((قوموا فانحروا ثم أحلقوا))، وكررها على الصحابة، فلم يبادروا في ذلك، حيث كان بعضهم ما يزال يطمع في العمرة، فحز ذلك في نفس الرسول الله ﷺ، فذكره لأم سلمة، فقالت ﷺ: أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تتحرر بدنك وتحلق رأسك، ففعل ﷺ، فلما رأى الصحابة ذلك قاموا سراعاً، فنحروا هديهم وأسرعوا في الحلق.^(٢) وهذه الشورى لأم سلمة ﷺ، وما تبعها من تنفيذ حكمة وحزم من رسول الله ﷺ.

وتوجه الرسول ﷺ عائداً إلى المدينة المنورة. وفي الطريق نزلت عليه سورة الفتح، ففرح بها أيما فرح. روى البخاري في صحيحه عن زيد بن أسلم: ((أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣١٧؛ وانظر: صحيح البخاري، ج ٤/٦٩؛ وابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٧٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣١٩؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٩٠.

ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب ﷺ ثكلتك أمك يا عمر، نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي قال: فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن. وجاءت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: "لقد أنزلت على الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ [إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً]]."^(١)

وقد أكدت الآية والروايات للحديث أن صلح الحديبية فتح مبين، فتح الله به مجال الدعوة في كافة بلاد العرب وفي العالم، حيث أعقبه انضمام بعض القبائل في عقد الرسول ﷺ، كما أعقبه مباشرة كتابة الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض،^(٢) وبالتالي فهي كما سماها الله - تعالى - فتحاً مبيناً، فتح فيه رب العباد لعباده سماع دعوة الله. وقد ورد أن الصديق ﷺ قال: ((ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد)).^(٣) لقد كانت أرباح المسلمين ومكاسبهم من هذا الصلح أعظم من أن تحصى، فهي بينة لا تخفى علمها الله فسامها (فتحاً مبيناً)، كان الصلح اعترافاً بالمسلمين ودولتهم وقائدهم ﷺ، كما كانت هدنة أتاحت للمسلمين فرصة التفرغ للدعوة، والعودة في العام الثاني لأداء

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج٦٢/٥؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٧٨.

(٢) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، كتب الرسول ﷺ لملوك وزعماء العالم.

(٣) محمد أبو شهبة، ج٣٣٨/٢.

العمرة.

وأما ما جاء من شرط إعادة من أتى من قريش إلى المسلمين بدون إذن وليه فقد كان في الظاهر صعباً على المسلمين، أما في التطبيق فظهرت حكمة رسول الله ﷺ ذلك عند أول تطبيق له.

فقد جاءت مجموعة من المسلمين إلى المدينة من مكة دون إذن أهلهم وكان فيهم أبو بصير عروة بن أسد الثقفي ﷺ، فأرسلت قريش تطلبهم من الرسول ﷺ فسلمه النبي إلى رجلين من قريش. وكان ثابت الإيمان وقال له ﷺ: ((يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً، ولا يصح في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً)).^(١)

وفي فتح مكة أمر رسول الله ﷺ العباس ﷺ أن يذهب بأبي سفيان فيحبسه في طريق مرور الجيش الإسلامي لير بأم عينيه قوة الإسلام والمسلمين، فمرت عليه القبائل وهو يسأل: من هؤلاء؟ حتى مر رسول الله في كتيبة الخضراء مع المهاجرين والأنصار وقال: (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقلت: "ويحك إنها النبوة").^(٢)

وكان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على أن يكون دخوله إلى مكة سلمياً، وأن لا يراق دم، ولذا فعند دخوله مكة قسم جيشه إلى أربعة أقسام تدخل من جهات مكة الأربع، مظهرة قوتها، وكافة عن الناس، حتى يستسلم أهل مكة للأمر الواقع ويسلموا بسلام، وفي الوقت نفسه أعلن الرسول ﷺ: ((أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣٢٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٢٣٥.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٥٥٠.

آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن)).^(١) وبذلك أتاح كل فرص الأمان لمن رغب فيه.^(٢)

وكل ذلك حكمة منه ﷺ في حقن الدماء، وتيئيساً لأهل مكة حتى لا يحملوا السلاح فيقتلوا.^(٣)

ولعل من المواقف الحكيمة للنبي ﷺ صرفه أحد الشباب عن الفاحشة، فقد ورد في مسند الإمام أحمد ((عن أبي أمانة أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إئذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مه، مه، فقال ﷺ: أدنه، فدنا منه قريباً، فقال: أتحبه لأُمك، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأُمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أتحبه لعمّتك، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعمّاتهم، قال: أتحبه لخالتك، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)).^(٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

(١) البخاري، فتح الباري، ج١٦/١٢٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٠٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٥٤٩؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/٣٣٠؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٣٤٤.

(٢) البخاري، فتح الباري، ج٦/١١٨.

(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، ج٣/٨٠١.

(٤) انظر: رواه أحمد في مسنده، ج٥/٢٥٦.

ما ورد في صحيح مسلم ﷺ عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ، قال: (بيننا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واأكل أميَّاه، ما شأنكم تنظرون إليّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمّتونني، لكنني سكتُ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ".^(١))

ما ورد في صحيح مسلم عن أنس ﷺ: (أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: "ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي، فليس مني".^(٢))

عن أبي هريرة ﷺ قال: (كنت أدعو أُمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أُمي إلى الإسلام، فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أُمَّ أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم اهدِ أُمَّ أبي هريرة"، فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئتُ، فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مُجاف، فسمعت

(١) انظر: رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب تحريم الكلام في الصلاة ...، ج ٢/٧٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، ج ٤/١٢٩.

أُمِّي خَشَفَ قَدَمِي، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هَرِيرَةَ، وَسَمِعَتْ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَارْتَسَلْتُ وَلَبِستُ دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ: ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هَرِيرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَارْتَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبَشِّرْ، قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هَرِيرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثَى عَلَيْهِ، وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هَرِيرَةَ وَأُمَّه - إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يِرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي".^(١)

الشورى في حياته ﷺ:

من حكمته ﷺ وهو نبي، وقائد دولة، جمع الله له بين الدين والسياسة، كثرة مشاورته ﷺ لأصحابه، وشرع له ما يسير عليه، ومن ذلك الشورى وهي جزء من التشريع الإسلامي الذي فرضه الله - سبحانه - على الأمة وفيه خير كثير، والشورى تأتي على كافة المستويات السياسية والاجتماعية. طبقتها ﷺ بكل حكمة وروية وعناية.

وتأتي في شئون اجتماعية خاصة، كما قال - تعالى -: ﴿... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَشَاوِرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعُوهُمُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَانَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣].^(٢)

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر ﷺ، ج ١٦٥/٧، ١٦٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٢٩٧.

كما تأتي في تصرفاته العامة ﷺ قال - تعالى -: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].^(١)

والشورى مما أمر الله به نبيه ﷺ أمراً شرعياً واضحاً في كتاب الله ﷺ وسميت باسمه سورة الشورى، قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى].^(٢)

فاستعمل رسول الله ﷺ الشورى بحكمة، وطبقها في كل حياته ﷺ. والمتبع لسيرته ﷺ يجد أمثلة رائعة وحكيمة في تطبيقها.

ففي بيعة العقبة الثانية، علم الرسول ﷺ الأنصار الترتيب والنظام والمسؤولية والشورى في وقت واحد بأن طلب منهم أن يخرجوا لهم - بأنفسهم - اثني عشر نقيباً يكونون مسؤولين عن قومهم، فالمرحلة القادمة غير الماضية، والترتيب والتنظيم وتحديد المسؤوليات واستشارة الآخرين من سنته وحكمته ﷺ.^(٣)

وقبيل غزوة بدر علم ﷺ بتحرك قريش فجمع الصحابة يستشيرهم. وكان ﷺ وهو المعصوم المسدد يستشير أصحابه دائماً لأمر مهمة وحكمة، منها توحيد صفوف المسلمين وتطبيب خواطرهم، وهو أمر مهم جداً، خصوصاً مع الأنصار في هذه المرحلة، وهم أهل الدار، ومنها الوصول إلى القرار الأصوب والأحكم.

وحين طرح ﷺ الأمر على جموع صحابته المرافقين له قائلاً لهم: ((أشيروا

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٢.

(٣) انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ١٥٩.

عليّ أيها الناس))، تكلم جمع من المهاجرين، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان من المتكلمين المقداد بن عمرو رضي الله عنه الذي قال: (يا رسول الله والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ^(١) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه). ^(٢) فدعا له الرسول ثم قال مرة أخرى ((أشيروا عليّ أيها الناس))، وكان رضي الله عنه يريد رأي الأنصار فهم أهل الدار، وهم الأكثرية وهذا من حكمته رضي الله عنه يريد أن يكسب قلوبهم وأن لا يتصرف إلا بقناعة منهم تحافظ على الصف المسلم، وهذا أول لقاء بين الرسول ﷺ وجنده من المهاجرين والأنصار. وبين قريش ورؤوس الكفر فيها، يلوح فيها القتال والموت، فبادر زعيم الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه يقول: (لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فأجاب ﷺ: أجل، فرد سعد بالثناء على رسول الله ﷺ، وذكر لهم أنهم على عهده وقال: يا رسول الله امض لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً وإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسرّ على بركة الله). ^(٣)

فَسُرَّ رسول ﷺ بقول سعد ودعا له وللمهاجرين والأنصار، واطمأن إلى

(١) من الآية ٢٤ من سورة المائدة؛

انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٠١.

(٢) انظر: حول هذه المشاورة: ابن هشام السيرة النبوية، ج ٢/٢١٥، وقارن بحديث البخاري (فتح الباري)، ج ١٥/١٥١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية ج ٢/٦١٥؛ وابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٧٧؛ وانظر: تخريج هذه الحادثة بالتفصيل عند د. أكرم العُمري: السيرة الصحيحة ج ٢/٣٥٩؛ د. مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣٤١.

موقف جنده من اللقاء. وهذا من حكمته ﷺ.

وقبيل غزوة أحد جمع الرسول ﷺ المسلمين واستشارهم في الأمر كعادته، واختلفت آراؤهم، فمنهم من رأى الخروج للقاء الأعداء خارج المدينة وكانوا الأكثرية، ومنهم من رأى البقاء في المدينة، وقتال المشركين من داخلها إن هم قدموها. وكان ﷺ يميل إلى الرأي الثاني وهو البقاء داخل المدينة.^(١) وكان أصحاب الرأي القائل بالخروج للقاء القوم من شجعان المسلمين وأكثروا على الرسول ﷺ، فدخل داره ثم خرج إليهم وقد لبس درعه وسلاحه واستعد للقتال، فندم الذين أكثروا على الرسول ﷺ بالخروج، وقالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد. فقال ﷺ: ((ليس نبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل)).^(٢)

وهذا حزم منه ﷺ وحكمة يعلمها الله ﷻ.

قال - تعالى -: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر].^(٣)

دعوته ﷺ بالحكمة:

ومن الحكمة كذلك تنويع طرق الدعوة؛ فالسرية حين يغلب على الظن أن تتفع السرية والجهرية والليلية، حين تواتي الليلية والنهارية حين تواتي

(١) ابن إسحاق، السيرة، ص ٣٠٢؛ الواقدي، المغازي، ج ١/٢١٠؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/٢٧٥.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٣/٣٥١؛ وانظر: تخريج الحديث عند رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣٨١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٠.

النهارية، وفي ذلك كله يذكر الله - تبارك وتعالى - حكمة نوح ﷺ في دعوته إذ يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ مُدْبِرِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَمَّا خَسَفْنَا بِهَدْمِ إِسْرَارِهِمْ ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح].^(١) ولذلك فإن دعوة الرسول ﷺ في بدايتها كانت سرية، وبالْحِكْمَة، وكان الدعاة من أصحابه أمثال أبي بكر ﷺ يدعون من يثقون به للإسلام ويحضرونه عند اقتناعه لرسول الله ﷺ.

ومنها كيفية حل المشكلة التي حدثت بين رجل وصاحبه، وقد أتى إلى النبي ﷺ يشكو من جاره؛ فعن أبي هريرة قال: ((جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال: اذهب فاصبر. فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال: اذهب فاطرح متاعك في الطريق، فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعبونه: فعل الله به، وفعل، وفعل. فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه)).^(٢)

ومنها قصة الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ يطلب المال، فأراه النبي ﷺ بدلاً من السؤال الذي يحفظه من مذلة السؤال، حيث أمره أن يحتطب ويتكسب به، فعن أس بن مالك: ((أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى! جلس نلبس بفضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: اثبتني بهما. قال: فأتاه بهما.

(١) انظر: ابن كثير، في تفسيره، ج ١/١٩٢١، ١٩٢٢.

(٢) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حق الجوار، ص ٩٣١، ح برقم: ٥١٥٣.

فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَدَيْنِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمٍ. قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَى دَرَاهِمٍ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ. وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَاثْبُدْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَآتِي بِهِ، فَآتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُوْدًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلَا أَرَيْتَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثُوبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ ﷺ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْطَعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ)).^(١) إنها تشريع وحكمة في معالجة حال هذا الرجل المحتاج.

علم ﷺ أصحابه الحكمة في التعامل حينما بعث رسول الله ﷺ معاذًا ﷺ إلى اليمن وضح له طبيعة القوم وحكمة التعامل معهم. فقال ﷺ: ((إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما ندعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك في ذلك فأعلمهم إن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم)).^(٢)

عن جابر بن عبد الله ﷺ ((أن رسول الله ﷺ مر بالسوق فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يجب أن له بدرهم؟ فقالوا: ما

(١) انظر: سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، ص ٢٨٥، ح برقم:

١٦٤١؛ وسنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب بيع المزايدة، ص ٣١٥؛ ح برقم: ٢١٩٨.

(٢) متفق عليه رواه البخاري ﷺ في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ج ١٠٨/٢؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع

الدين، والدعاء له، ج ٣٧/١، ٣٨.

نحب أنه لنا بشيء، ماذا نصنع به ؟ فقال: فوالله لا الدنيا أهون على الله من هذا عليكم)).^(١)

ومن الأساليب الدعوية الحكيمة التي انتهجها رسول الله ﷺ في تربية أمته وتوثيق صلتها بربها، وهي من حكمته ﷺ في استغلال المواقف للتذكير وربط القلوب بالله ﷻ.

عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقت به بطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله ﷺ: ((أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه بولدها)).^(٢)

يسمعهم ﷺ ما هو أغلى عليهم من المال. وقد روى البخاري عن عمرو بن تغلب قال: (أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه، فقال: "إني أعطي قوماً أخاف هلعمهم وجزعهم، وأوكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب". قال عمرو: فما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم فكانت هذه التزكية تطيباً لخاطر الرجل، أرجح إليه من أثنى الأموال).^(٣)

قال أنس ﷺ: ((كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً. فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبيُّ الله.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفاق، باب ما بين النفختين، ج ٨/٢١٠، ٢١١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، ومعانقته، ج ٧/٧٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ج ٨/٩٧.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٢/٥٢٦.

فخرجت حتى أمرُّ على صبيان وهم يلعبون في السوق. فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفائي من ورأني. قال ﷺ: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال ﷺ: يَا أَيُّسُ أَذْهَبَتْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قال ﷺ: قلت نعم. أنا أذهبُ يا رسول الله)).^(١) فما أجمل هذا الحلم!

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ مِنْ أَهْلِ الْوَبْرِ قَبْلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ)).^(٢)

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْكَامِلَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ.^(٣)

ولذلك يكون العبد مُجْتَهِدٌ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَتَنْفِيذِ حُكْمِهِ وَلَهُمَا أُسْوَةٌ بِالنَّبِيِّينَ الْكَرِيمِينَ - دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ - اللَّذَيْنِ أَتَى اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِالْحِكْمَةِ وَالْحُكْمِ وَخَصَّ بِهِمُ الْحُكُومَةَ أَحَدَهُمَا.^(٤)

وكان ﷺ يدعو بالحكمة لبعض الصحابة، فعند البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس ﷺ وفيه عن ابن عباس ﷺ قال: ((ضممني النبي ﷺ إلى صدره وقال اللهم علمه الحكمة)).^(٥) وأشار

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ج ٧/٧٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج ١/٥٢، ٥٣.

(٣) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج ٥/٥٠١.

(٤) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج ٥/٥٩٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب، ج ١/٢٧.

البخاري رحمه الله وغيره^(١). لبعض أقوال السلف بأن الحكمة الإصابة في غير النبوة.

واستخدم رحمه الله الحكمة مع أصحابه للتطمين والكسب والإرضاء في مواقف تطلبت ذلك بكل حكمة وروية، فقد قال النبي ﷺ لعلي، حين حاول المنافقون استغلال استبقاء الرسول ﷺ لرعاية أهل بيته في غزوة تبوك: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)).^(٢)

ومن حكمته ﷺ ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: مه مه. قال: قال رسول الله: ((لا تزرموه،^(٣) دعوه))، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه فقال له: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن))، أو كما قال رسول الله. فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه.^(٤)

ولعل في قصته ﷺ مع ثمامة بن أثال رضي الله عنه حكم متعددة، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((بعث رسول الله خيلاً قبيل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من

(١) الطبري، تفسيره، ج ١٠/٢٠٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج ٤/٢٠٨.

(٣) تدفعونه للإرتباك.

(٤) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حضرها، ج ١/١٦٣؛ والبخاري في صحيحه، في كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، ج ١/٦١. (والشن هو الصب المنقطع).

سوارى المسجء؁ فخرج إىله رسول الله ﷺ فقال: ما ذا عنءك يا ءمامة؟ فقال: عنءى يا محمد ءىر؁ إن ءقتل ءقتل ذا ءم؁ وإن ءنعم ءنعم على شاكرك؁ وإن كنت ءرىء المال فسل ءعط منه ما شئت؁ فءركه رسول الله ﷺ ءءى كان بعء الغء؁ فقال: ما عنءك يا ءمامة؟ فقال: ما قلت لك؁ إن ءنعم ءنعم على شاكرك؁ وإن ءقتل ءقتل ذا ءم؁ وإن كنت ءرىء المال فسل ءعط منه ما شئت؁ فءركه رسول الله ﷺ ءءى كان من الغء؁ فقال: ما ذا عنءك يا ءمامة؟ فقال: عنءى ما قلت لك؁ إن ءنعم ءنعم على شاكرك؁ وإن ءقتل ءقتل ذا ءم؁ وإن كنت ءرىء المال فسل ءعط منه ما شئت؁ فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ءمامة؁ فانطلق إلى نءل قرىب من المسجء؁ فاغتسل؁ ثم ءءل المسجء فقال: أشهء أن لا إله إلا الله وأشهء أن محمدًا عبءه ورسوله. يا محمد! والله ما كان على الأرض وءه أبغض إلى من وءهك؁ فقد أصبح وءهك أحب الوجوه كلها إلى. والله ما كان من ءىن أبغض إلى من ءىنك؁ فأصبح ءىنك أحب ءىن كله إلى؁ والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك؁ فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى. وإن ءىلك أءءءنى وأنا أرىء العمرة فما ذا ءرى؟ فبشره رسول الله ﷺ؁ وأمره أن يعءمر. فلما قءم مكة قال له قائل: أصبوء؟ فقال: لا والله؁ ولكنى أسلمء مع رسول الله؁ ولا والله لا يأتىكم من الءمامة ءبة ءنطة ءءى يأذن فىها رسول الله ﷺ. ثم خرج ﷺ إلى الءمامة فمنعهم أن ءحملوا إلى مكة شىئًا؁ فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك ءأمر بصلة الرحم؁ وإنك قء قطعت أرحامنا؁ وقء ءتلت الآباء بالسىف والأبناء بالجوع؁ فكتب رسول الله ﷺ إلى ءمامة أن ءءلى بىنهم وبنىء الحمل)).^(١)

(١) رواه البءءارى فى صحىءه؁ كتاب المغازى؁ باب وفء بنى ءنىفة وءءىء ءمامة بن أءال؁ ج ١١٧/٥؁ ١١٨: انظر: سىرة ابن هشام؁ ج ٣١٧/٤: وفتح البارى بشرء صحىء البءءارى؁ ج ٨٨/٨؛ ومسلم فى صحىءه؁ كتاب الجءاه والسىر؁ باب رىبء الأسىر وءبسه؁ ج ١٥٨/٥.

لقد اتضحت حكمته ﷺ في أن ترك ثمامة ﷺ في المسجد يراقب الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين، ويستمتع لحديثهم، ويرى صدقهم وصلاحهم وتقواهم، ثم أطلقه ﷺ فأسلم عن اقتناع وباختياره، وطلب منه العمرة، ليظهر لقريش إسلامه وقوة المسلمين في القبائل، كما كان عامل مساعدة للمسلمين في حربهم مع قريش.

حكمته في التعامل مع حاطب بن أبي بلتعة: ((لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَمْرِ فِي السَّيْرِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً - رَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّهَا مِنْ مُزَيْنَةَ، وَرَعَمَ لِي غَيْرُهُ أَنَّهَا سَارَةُ، مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تُبْلَغَهُ قُرَيْشًا، فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ فَتَلَّتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ.

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعثت علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال: أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم، فخرجنا حتى أدركاها بالخليفة - خليفة بني أبي أحمد - فاستنزلاها، فالتمساه في رحلها، فلم يجد فيه شيئا، فقال لها علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبتنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجد منه قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ.

فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيرت ولا بدلت،

ولكنني كنتُ امرأً ليسَ لي في القومِ من أصلٍ ولا عشيرةٍ، وكانَ لي بينَ أظهرِهِمُ ولدٌ وأهلٌ، فصانَعْتُهُمُ عَلَيْهِمُ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَلَأَضْرِبُ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ، لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَصْحَابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ^(١).

وقد تعامل ﷺ مع أهل مكة عند فتحها برحمة وحكمة، عند فتحها، فقد خاطب أهلها: ((يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟)) قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. فقال ﷺ قولته المشهورة: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)).^(٢)

كان بناء قريش للكعبة المشهور قبل البعثة، وقد قصرت بهم النفقة والجد عن استكمال بنائها على قواعد إبراهيم. وظل هذا الأمر يشغل بال الكثيرين حتى أن عائشة ؓ بعد فتح مكة، قالت لرسول الله ﷺ: ألم ترَ أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؑ؟، فقلت: يا رسول الله، أفلا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: ((لولا حدثان قومك

(١) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٥٣٦؛

ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٣٩٨، ٣٩٩؛

وانظر ترجمة حاطب بن أبي بلتعة عند: ابن حجر، في الإصابة، ج ١/٣٠٠؛

رواه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين...، باب ما جاء في المتأولين، ج ٨/٥٤،

٥٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، ج ٧/١٦٧، ١٦٩؛

وموقع الشيخ عبد العزيز بن باز، <https://binbaz.org.sa/audios> قصة حاطب بن أبي

بلتعة، بتاريخ: ١٠/١/١٤٤٢هـ.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ١٦/١٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٤١٢، ٤١١؛

ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣/٥٧٠؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٥/٣٦٤.

بالكفر لرددتها على ما كانت عليه)).^(١) لقد كان تصرف الرسول ﷺ لحكمة ظاهرة، مع عظم الحال وارتباطه بالكعبة قبله المسلمين، إلا أنه ﷺ لحكمة عرفها، رأى بقاء الوضع على ما هو عليه.

ولعل أقرب الصحابة للتعلم من النبي ﷺ وأخذ الحكمة منه أبو بكر الصديق ﷺ وبقية الصحبة.

ولذلك فلا غرابة في اختيار الصحابة له خليفة بعد رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس ﷺ قال: (إنَّ أبا بكرٍ ﷺ خرج، وعمرُ ﷺ يكلمُ النَّاسَ، فقال: اجلس. فأبى، فقال: اجلس. فأبى، فتشهد أبو بكر ﷺ، فمال إليه النَّاسُ، وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا، فإنَّ محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^(٢)) والله لكأنَّ النَّاسَ لم يكونوا يعلمون أنَّ الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر ﷺ، فتلقاها منه النَّاسُ، فما يُسْمَعُ بَشْرًا إِلَّا يَتْلُوها).^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:

﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ، ج ١٤٩/٥؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢٠٧/١.

(٢) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٤٠٤/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت ...،

اللغة:

تصدر من فم الإنسان ويعبر عنه بالكلام، أصوات يستخدمها الإنسان؛ للتعبير عن نفسه، ولتحقيق التواصل المهم لسيرورة الحياة والتفاهم، وجمعها لغات ولغى. واللغة ألقاظ تخرج بأصوات مختلفة ذات جمل وقواعد. وباللغة يُعبّر الإنسان عما يدور في وجدانه، كما يحاول إيصال الأفكار إلى غيره. والعالم به الآف اللغات المعبرة بين الشعوب يتعلمها الصغير من الكبير، ويتدرب عليها.

واللغة أو المنطق ثابت للحيوان كما هو للإنسان قال - تعالى - ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل].^(١)

ويؤيد ذلك ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَلَّامٌ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام].^(٢)

وكما في قصة الهدهد قال - تعالى -: ﴿وَنَقَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فمكثَ عَزْرٌ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنِيٍّ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل].^(٣)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٩٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٨٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٩٣.

وجاءت الإشارة في القرآن الكريم للغة باللسان. كما في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: (١)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۗ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: (١٠٣)].

وقال - تعالى -: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: (٥)].

وقال - تعالى -: ﴿إِذْ تَلَقَوْهُ بِالسِّنِّتِ كَرًّا وَتَقُولُونَ يَا فَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: (٦)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ ۗ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفُ السِّنِّتِكُمْ وَالْوَنِيكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: (٧)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٠٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٢١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٩٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٨٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٢٠.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٥٠.

ولغة الناس تخرج من أفواههم. لتعبر عما في قلوبهم. قال - تعالى - :
﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ
سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ
أُوتِينَا هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ [المائدة: (١)]

واللغة قول صوتي بالأفواه. قال - تعالى - : ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا
فَتَلَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْعَوْا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ
مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٧﴾ [آل
عمران: (٢)]

وقال - تعالى - : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسِ
تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ
الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ [الأحزاب: (٣)]

وقال - تعالى - : ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسَنَّا كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ [الأحزاب: (٤)]

وقال - تعالى - : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَوْلَاؤُا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: (٥)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦١٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤١٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٩٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦١٧.

وفي القول طيب وفيه غير ذلك يقول - تعالى - : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (٢٤) [الحج].^(١)

وضرب المثل في القرآن للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها، قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢٤) ﴿ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٥) [إبراهيم].^(٢)

وفي بعض القول سوء، قال - تعالى - : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٨) [النساء].^(٣)

وفي الحذر عند الكلام ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ﷻ لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في جهنم)).^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٦٨ (ومع ربطه بالآخرة والجنة إلا أن الطيب من القول ومنه القرآن والتسبيح، وما يرضي الله ﷻ، يكون من المؤمن في الدنيا والآخرة). انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٢/١٠٢٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٢/١٠٢٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٤٦.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج ٢/٣٣٤؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ج ٧/١٨٤، ١٨٥. نقلاً من كتاب: (من البيان النبوي الشريف. تأملات بلاغية في الهدى النبوي)، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص ٢٧.

والمناقضون لا يخفى قولهم، قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [لق].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف].^(٥)

واللغة كلام. قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٢٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٢١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٤٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٥٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٤٥.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٧٣.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٣٥.

وقال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن سَائِبِهِم مَّا هِيَ بَأْسًا لَهُمْ إِنَّ أَهْتَهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ [المجادلة].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٥٥﴾﴾ [المدثر].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة].^(٤)

قال - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيَ يُبَيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٣٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٣٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٤٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٢٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٢٥.

وقال - تعالى -: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٨١)

[النساء].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (١٠٨)

[النساء].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥٠)

[الأنعام].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١١٢)

[الأنعام].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٠٥)

[الأعراف].^(٥)

وقد نقل الله ﷻ بعض قول نبيه ﷺ قال - تعالى -: ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥١٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٨٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧١٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٧٥.

يَجْتَوِدِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَانَ ۗ
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي
مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا
لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ [هود].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ
بِالْئِيلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ [الرعد].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ۖ أَمْ يَبْظُنُّهُ مِنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا
عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ [الرعد].^(٤)

ومن القول ما يحبه الله ويرضاه، ويثبت المؤمنين عليه. قال - تعالى - :
﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ
اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم].^(٥)

قال تعالى : ﴿ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ
إِنْ تَنَّبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ [الإسراء].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٨٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٥٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠٠٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠١٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٢٩.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٢١.

وبعض القول فيه يسر. قال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ﴿٨٨﴾ [الكهف].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحج].^(٢)

والله يكتب على المجرمين قولهم. قال - تعالى -: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿٧٦﴾ [مريم].^(٣)

وفي القول سر وخفي، الله يعلمه، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ﴿٧﴾ [طه].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٤﴾ [الأنبياء].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [الأنبياء].^(٦)

وحذر الله - سبحانه - من قول الزور. قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْاَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٧٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٦٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٦٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٠٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٣٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٥٨.

عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ [الحج].^(١)

وبعض القول سمع وطاعة يرضى به الله ﷻ قال - تعالى - : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون].^(٣)

والله - سبحانه - يعلم ما قلب القائل. قال - تعالى - : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت].^(٤)

ورصد الله - سبحانه - ما يقوله المنافقون. قال - تعالى - : ﴿وَإِذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب].^(٥)

كما أشار لبعض المؤمنين وما قالوا ومنهم مؤمن آل فرعون. قال - تعالى - : ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ ۖ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر].^(٦)

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٧٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٤١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٠٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٢.

الفصاحة والبلاغة والبيان:

الفصاحة: خُلُوصٌ فِي شَيْءٍ، وَنَقَاءٌ مِنَ الشُّوبِ، مِنْ أَفْصَحَ الصُّبْحِ، إِذَا بَدَأَ ضَوْؤُهُ. وَكُلُّ وَاضِحٍ مُفْصِحٌ. وَرَجُلٌ فَصِيحٌ وَكَلَامٌ فَصِيحٌ، أَي: بَلِيغٌ. وَلِسَانٌ فَصِيحٌ، أَي: طَلَقٌ. الْفَصَاحَةُ فِي الْكَلَامِ وَضُوحُهُ، وَجَمَالُ الْفَاطِهَةِ، وَمُنَاسِبَتُهَا، وَسَهُولَتُهَا، وَمُنَاسِبَةُ اسْتِعْمَالِهَا.^(١)

وَالْفَصَاحَةُ جَمَالٌ يَكُونُ فِي الْمُتَكَلِّمِ وَفِي الْكَلَامِ، وَيُقَالُ: كُلُّ نَاطِقٍ فَصِيحٌ، وَمَا لَا يَنْطِقُ فَهُوَ أَعْجَمٌ. وَفَصُحَ الْأَعْجَمِ، تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَفُهِمَ عَنْهُ. وَأَفْصَحَ، تَكَلَّمَ بِالْفَصَاحَةِ. وَفَصُحَ الرَّجُلُ وَتَقَصَّحَ: إِذَا كَانَ عَرَبِيَّ اللِّسَانِ مَتَقِنَ الْحَدِيثَ فَازْدَادَ فَصَاحَةً.^(٢)

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَعْجَمِيِّ "أَفْصَحَ بِالْعَرَبِيَّةِ" إِذَا أَتَقَنَهَا وَأَجَادَهَا. وَالْفَصِيحُ هُوَ اللَّفْظُ الْحَسَنُ، الْمَأْلُوفُ فِي الْاسْتِعْمَالِ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْمَفْهُومَ مِنْهُ صَحِيحًا حَسَنًا.^(٣)

وَهِيَ مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَقْصُودِ بِلَفْظِ فَصِيحٍ. وَفَصَاحَةُ الْكَلَامِ: تَعْنِي سَلَامَتَهُ وَوُضُوحَ مَفْرَدَاتِهِ مِمَّا يُفْهِمُ مَعْنَاهُ.^(٤)

(١) انظر: الجوهري، الصحاح، ج ١/٣٩١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢/٥٤٤.

(٢) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ٢/١٩٦.

(٣) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج ٢/٥٤٤.

(٤) انظر: انظر: الجوهري، الصحاح، ج ١/٣٩١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢/٥٤٤؛ ابن عبد

ربه، العقد الفريد، ج ٢/٢٧٢.

وردت لفظة أفصح في القرآن الكريم عند الحديث عن موسى وهارون ﷺ، قال - تعالى -: ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤] (١).

وقد قال ﷺ متحدثاً عن فصاحته: ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد)). (٢)

البلاغة: البلاغة في اللغة هي إيصال المعنى المراد كاملاً إلى المتلقي، وتحقيق المراد منه أفضل الصور وبوضوح وإقناع وتأثير مميز، بعيداً عن التعقيد، سواء أكان حديثاً أم كتابة. والبليغ هو القادر على الإقناع والتأثير. (٣)

والبلاغة علم من علوم اللغة العربية، ألفت فيه العديد من الكتب، وتناولها الأدباء عبر العصور وقعدوا له، ودرس كعلم متصل بالعربية للمتخصصين بها. وما ألفت فيه من الكتب أكثر من أن تحصى. (٤)

(١) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/٤١٦.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/١٥٣؛

وانظر: الدرر السنوية، نماذج من فصاحة النبي ﷺ في موقع، <https://www.dorar.net/akhlaq> بتاريخ ٢٩/٤/١٤٤٢هـ.

(٣) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج ٧/٤١٨؛ الجوهري، الصحاح، ج ٤/١٣١٦.

(٤) انظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحور، (ت، ٤٧٤هـ)، أسرار البلاغة، جدة والقاهرة: مطبعة المدني (د.ت)؛

القزويني: ابن عمر بن أحمد بن محمد (ت، ٧٣٩هـ)، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبديع، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ؛

جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت، ٥٢٨هـ)، أساس البلاغة، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.

وقد جمع الله لرسوله بين البيان والبلاغ، قال - تعالى -: ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمر من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (١٨) ﴿العنكبوت﴾. (١)

وقال - تعالى -: ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ (١٧) ﴿يس﴾. (٢)

وقال - تعالى -: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن نصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ (٤٨) ﴿الشورى﴾. (٣)

وقال - تعالى -: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (١٣) ﴿التغابن﴾. (٤)

وقال - تعالى -: ﴿إلا بلغا من الله ورسلاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ (٢٢) ﴿الجن﴾. (٥)

وقال - تعالى -: ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني فقل للذين أوتوا الكتاب والأمة إن أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ (٢٠) ﴿آل عمران﴾. (٦)

(١) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٤٣١، ١٤٣٢.

(٢) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٥٦٥.

(٣) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٦٧٤، ١٦٧٥.

(٤) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٨٨١.

(٥) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٩٢٧، ١٩٢٨؛ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحراً؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج ٣/١٢.

(٦) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ١/٣٥٧، ٣٥٨.

وقال - تعالى - : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فِان تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولِنَا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢] ^(١).

وقال - تعالى - : ﴿ هَذَا بَلِّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكَرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ^(٢).

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [١٠٥] إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ^(٣).

البيان: هو الإيضاح بفصاحة استبان ظهر وبان، ووضحت معالمه لسامعه، وأبان عنه ولم يعد خفياً ومشكلاً، ^(٤) وقد وردت لفظة البيان وتأثير في قوله ﷺ الذي رواه البخاري في صحيحه: ((إن من البيان لسحراً)) ^(٥).

كما قال - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥] ^(٦).

وقال - تعالى - : ﴿ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [١] [يوسف: ١] ^(٧).

كما قال - تعالى - : ﴿ وَءَاتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ [١١٧] [الصافات: ١١٧] ^(٨).

(١) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ١/٦٤٧، ٦٤٨.

(٢) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٠٤١.

(٣) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٢٥٦، ١٢٥٧.

(٤) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج ١٣/٦٢؛ الجوهري، الصحاح، ج ٥/٢٠٨٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحراً؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج ٣/١٢.

(٦) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ١/٦٨٧.

(٧) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ١/٩٧٤.

(٨) انظر: ابن كثير تفسيره، ج ٢/١٥٩٤.

والفصاحة والبلاغة والبيان عند العرب: أن تأتي بالمعاني الكثيرة في القليل من الألفاظ المؤثرة المفهومة. وكان العرب يهتمون بالكلمة ويحفظونها، فلم يكن لهم في مجال الإعلام غيرها. وكانت أميئتهم تدفعهم دوماً إلى إتقان الكلمة والتدقيق في بلاغة القول، فأتصفوا بقوة الألفاظ ودقتها، وتحروا أشكالها ودلائلها، وبرعوا في فنونها.^(١)

وعند أهل اللغة تتداخل الكلمات الثلاث. ويمكن أن يحلَّ بعضها محل بعض أن يقال رجل صاحب بيان أو بلاغة أو فصاحة.^(٢)

وقد فضلَّ السادة والأغنياء من أهل مكة أن يُرسلوا أبناءهم وأحفادهم إلى البادية؛ ليتعلموا اللهجة السليمة والنطق الصحيح. وهكذا فعل عبدالمطلب سيد قريش، فأرسل حفيده محمداً ﷺ منذ ولادته إلى بادية بني سعد، فسمع اللسان العربي الفصيح، وتربى عليه، فصار ﷺ أفضل العرب لهجةً، وأكثرهم بلاغةً وقدرةً على التعبير، فكان ﷺ يتكلم بفصاحة العرب وبلاغتهم، بل قد فاقهم في ذلك.

وعلم البيان اصطلاحاً هو أحد علوم البلاغة في اللغة العربية، وهو يعني الوضوح، والإفصاح، وإظهار المقصود بأبلغ لفظٍ، حتى تظهر الحقيقة لكل سامع، بالإضافة إلى تعريفه من علماء اللغة بأنه: "العلم الذي يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه". وذلك يعني أن هذا العلم يحتوي على مجموعة من القواعد المستخدمة لإيصال المعنى الواحد بطرق

(١) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١/٧٦.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٣/٨٧٨.

وفنون مختلفة، مثل استخدام فن التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز أو الكناية.^(١)

وعلم البيان جزء من علم البلاغة النابع من علوم اللغة العربية، ألفت فيه العديد من الكتب. منها البيان والتبيين للجاحظ.^(٢)

منطقه ﷺ: محكم مليئ بالبلاغة والفصاحة والبيان وهي من صفات منطقه ﷺ، وقد ألفت في ذلك العديد من الكتب مما يصعب حصره، كما وقف شراح الحديث عند ما تميز به كلام النبي ﷺ.^(٣)

في عدد من الكتب وجمعت بعض الأحاديث ذات البلاغة المميزة من سنته ﷺ. من ذلك ما جمعه ابن رجب الحنبلي في كتابه: (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم).^(٤)

وقد بدا أثر القرآن الكريم في حديثه ﷺ وأسلوبه وبيانه وفصاحته ﷺ واضحاً جلياً، حيث ارتقى البيان النبوي وصار في قمة البيان البشري، ولهذا الارتقاء أسباب، أبرزها أنه تنزل عليه القرآن، وأكثر الناس فهماً له وعملاً به والقرآن الكريم فضل الله العظيم، الذي منحه ﷺ نبيه ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ

(١) انظر: هارون عبد الرزاق، حسن الصياغة في فنون البلاغة، المطابع الأميرية ببولاق، مصر، ١٨٩٨م؛ والجاحظ، البيان والتبيين، ج١/٥٥؛ بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، صفحة ١٣ - ١٦. نقلاً عن موقع (موضوع ما هو علم البيان) <https://mawdoo.com> بتاريخ: ١١/٢/١٤٤٢هـ.

(٢) انظر: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، لبنان: دار إحياء التراث ١٩٦٨م. (٣) انظر: مثال لذلك، بسيوني عبد الفتاح فيود، البيان النبوي. تأملات بلاغية في الهدى النبوي، ط١ - القاهرة: مؤسسة المختار ١٤٤٠هـ.

(٤) انظر: الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن سهاب الدين بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق ماهر ياسين بن فحل، ط٢ - القاهرة: الدار العالمية للنشر ١٤٣٧هـ.

عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ [النساء].^(١)

قال ﷺ عن نفسه : ((أوتيت جوامع الكلم))،^(٢) ولم يكن هذا القول افتخاراً منه ﷺ ، وإنما تقريراً لحقيقة ثابتة عرفها كل من عرف ما نُقل عنه ﷺ من روايات وأحاديث.

وقد قال ﷺ : ((إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة)).^(٣)

كما قال ﷺ : ((إن من الكلام سحراً)).^(٤)

ويلتقي كلامه ﷺ بالفطرة النقية التي فطر ﷺ عليها. مع أنه ﷺ ابن البيئة العربية التي نشأ فيها.

ومن بلاغته ﷺ أنه لم يكن يسترسل في حديثه بطريقة تعوق المستمع عن وعي ما يسمع ، بل كان يترسل ، كما تصف عائشة ﷺ حديثه بقولها : ((إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم)).^(٥)

عن أنس ﷺ قال : ((لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سبباً ، كان يقول عند المعتبة ما له ترب جبينه)).^(٦)

(١) انظر: بسبوني فيود ، من البيان النبوي الشريف ، ص ٥٤٣ ؛

وانظر: ابن كثير في تفسيره ، ج ١/٥٣١ .

(٢) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب تعبير الرؤيا ، باب المفاتيح في اليد ، ج ٧٦/٨ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب إن من البيان لسحراً ؛ ومسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج ١٢/٣ .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، ج ٤/٢٨٤ ، ح برقم: ٧٥٥٩ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، ج ١٦٨/٤ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه ، باب ما ينهى من السباب واللعان ، ج ٨٤/٧ .

كان ﷺ يتحدث بأسلوب يجعل مقاله في غاية الإفصاح والإبانة، ولا يعوق المستمع عن سماع ما يقول ووعيه. ومن ذلك أنه كان يكرر الكلمة ثلاثاً، فعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((أنه كان إذا سلّم سلّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً)).^(١)

وكان بعيداً عن مواطن الهرج واللعو والحديث بما لا يفيد، فعائشة رضي الله عنها قالت عنه ﷺ: ((لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)).^(٢)

وتصف زوجته عائشة رضي الله عنها حديثه بالإيجاز فتقول: ((إن كان رسول الله ﷺ ليحدث الحديث لو شاء العاد أن يحصيه أحصاه)).^(٣)

وقد ذمّ ﷺ من يتكفون في الحديث، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً. وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون)). قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: ((المتكبرون)).^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، ج ٣٢/١؛ ومسلم في صحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ج ١٦٧/٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، ج ٣٦٩/٤٤، ح برقم: ٢٠١٦؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٢٣٦/٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج ١٦٨/٤.

(٤) حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج ٤١٨/٢، ح برقم: ٧٩١؛ وانظر: تعليق الجاحظ على الحديث في: البيان والتبيين، ج ١٣٤/١.

وابن أبي الدنيا، كتاب الصمت وأدب اللسان، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

كان ﷺ ((طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم... لا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه. وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين، ومصاحتهم)).^(١)

ومتابعة خطب النبي ﷺ المتعددة والمنقولة عنه تبين عن فصاحته وجزالة ألفاظه وبلاغتها.^(٢)

وقد تبارى العلماء والبلغاء في وصف فصاحته وبلاغته ﷺ. وقد قال له أصحابه ﷺ ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال ﷺ: ((وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين)). وقال مرة أخرى: ((أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد)).^(٣) ويكفينا من ذلك كله قوله ﷺ: ((أعطيت جوامع الكلام)).^(٤)

لقد جمع الله له بذلك بين قوة عارضة البادية وجزالتها ونساعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط

(١) انظر: <https://www.alukah.net>.

(٢) انظر خطبه ﷺ في حجة الوداع، وخطبه قبيل وفاته ﷺ في القسم الرابع من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)؛

وانظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت: دار الفكر (د.ت)، ج ٢/١٠٩.

(٣) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج ٢/٥٤٤؛ الجوهري، الصحاح، ج ١/٣٩١.

(٤) انظر: رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد وصفه لُبيسه، ج ٢/٦٤، ٦٥؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ، نصرت بالربع مسيرة شهر، ج ٤/١٢. بلفظ "بعثت بجوامع الكلم"؛ وانظر: موقع الألوكة: www.alukah.net/ بتاريخ: ١٢/٢/١٤٤٢هـ.

بعلمه بشر. وقالت أم معبد في وصفها له: ((حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقة خرزات نظمن)).^(١)

قال السيوطي: (أفصح الخلق على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ).^(٢)

ومن أفضل ما قيل في ذلك ما سجله يراع الجاحظ رائد البلاغة العربية وأستاذها؛ إذ يقول في كتابه البيان والتبيين: (وأنا ذاكراً بعد هذا فتناً آخر من كلامه ﷺ، وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونُزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: "وما أنا من المتكلمين".^(٣) فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويسرّ بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبئ الخُطْبَ الطُّوال بالكلم القصار ولا يكتمس إسكات

(١) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثاني؛

وانظر: الحكم على روايات أم معبد، د. أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج ١/٢١٤.

(٢) (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) للسيوطي، ج ١/ ١٦٥. (نقلًا عن موقع الدرر السنية، <https://www.dorar.net/akhlaq> بتاريخ: ١٠/٢/١٤٤٢هـ).

(٣) فيه من قوله - تعالى -: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [ص].

الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يُبْطِيءُ ولا يَعْجَلُ، ولا يُسْهَبُ ولا يَحْصَرُ، ثم لم يَسْمَعْ الناسُ بكلامٍ قَطُّ أَعَمَّ نفعاً، ولا أَقْصَدَ لفظاً، ولا أَعْدَلَ وزناً، ولا أَجْمَلَ مذهباً، ولا أَكْرَمَ مطلباً، ولا أَحْسَنَ موقعاً، ولا أَسهلَ مخرجاً، ولا أَفصحَ معنىً، ولا أَبينَ في فحوى، من كلامه ﷺ (كثيراً).^(١)

وقال القاضي عياض: (وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف. أوتى جوامع الكلم، وخص ببدايع الحكم، وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله).^(٢)

وقد ذكر مصطفى صادق الرافعي: (أن البيان النبوي انفرد عن غيره بأسباب طبيعية فيه. فهو من جهة اللغة مسدد اللفظ، محكم الوضع جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه ... ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مستدعاة لمعناها ومستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها. وهو من جهة البيان

(١) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢/٤٤؛

وانظر: موقع الألوكة: www.alukah.net/ بتاريخ: ١٢/٢/١٤٤٢هـ؛

وانظر: موقع صيد الفوائد، <http://www.saaaid.net/mohamed> بتاريخ: ١١/٢/١٤٤٢هـ.

(٢) انظر: القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ج ١/٧٠.

تراه حسن المغزى بين الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيد الوصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً، ولا ترى اضطراباً ولا خطأً ولا استعانة من عجز ولا توسعاً من ضيق ولا ضعفاً في وجه من الوجوه. أضف إلى هذا سمو المعنى وفصل الخطاب والتصرف في كل طبقات الكلام، ليجتمع من هذا وما إليه نسق في البلاغة يجمع الخالص من سر اللغة ومن البيان ومن الحكمة.^(١)

ومما قاله الجاحظ عن بلاغته ﷺ وكلامه: (هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف.. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة. وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام.

لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار. ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ.^(٢)

(١) انظر: مصطفى صادق الرافعي، كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - نسق البلاغة النبوية - ط ٨ - بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م؛

وانظر: موقع صيد الفوائد، <http://www.saaaid.net/mohamed>.

(٢) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ، ج ٢/٤٤.

وهناك شواهد كثيرة في حياته تدل على معرفة فصحاء العرب وخبراء البيان عندهم بفصاحته وبلاغته ﷺ. ففي قصة إسلام ضماد، وهو شاهد من الواقع المعاصر له ﷺ.

روى ابن عباس ﷺ: (أن ضماداً قدم مكة - وكان من أزد شنوءة - وكان يرقى من هذه الريح).^(١)

فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقيه، فقال: يا محمد، إني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: ((إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد)).

قال: فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء، فأعادهنّ عليه رسول الله ﷺ، ثلاث مرات. قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر^(٢) قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه.^(٣)

وكانت تلك الكلمات مقدمة لما كان ﷺ يريد قوله من الدعوة إلى الله. سمع فيها كلاماً لم يسمع مثله من قبل فكان مقنعاً له بنبوة رسول الله ﷺ فأمن.

كانوا يوصون كل زائر لمكة ألا يستمع لمحمد ﷺ، لكي لا يؤثر عليه.

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والجمعة، ج ١١/٣، ١٢.

(٢) أي عمقه ولجته. انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٦/٢٣٣.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج ١١/٣، ١٢.

فكان الطفيل بن عمرو الدوسي يُحدِّث (أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا: يا طفيل! إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا، قد عضل بنا وفرَّق جماعتنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبينه وبين زوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك، فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني قطناً؛ فرقاً أن يبلغني من قوله، وأنا أريد أن لا أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد؛ فإذا رسول الله ﷺ قائماً يصلي عند الكعبة، قال: فقمتم قريباً منه، فأبى الله إلا أن يُسمعني قوله، فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إنني لرجل شاعر لبيب، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع هذا الرجل ما يقول! إن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد! إن قومك قالوا لي كذا وكذا، ثم إن الله أبى إلا أن أسمع قولك، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك قال: فعرض عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، وقال: فو الله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت.)^(١)

ووقد تميز أسلوب النبي ﷺ في خطبه وكلماته ومواعظه بسهولة اللفظ وبلاغة المعنى، فكانت ألفاظه سهلة سلسلة، وكان يترك دائماً الألفاظ

(١) انظر: صحيح مسلم عن الطفيل هو في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، ج١/٧٦؛ كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم وطئى، ج٧/١٨٠؛ وأيضاً صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين ج٧/١٦٥؛ وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي، القسم الأول.

المهجورة والغريبة في اللغة؛ ليفهم كلامه كلُّ سامع، وليحفظ من كان في حفظه صعوبة.^(١)

وكلامه ﷺ يجري مضرب الأمثال بين العرب، لما حوى من تلك المعاني الكبيرة، في كلمات معجزات قليلة، ونضرب لذلك مثلاً بحديث موجز يقول فيه: ((لا ضرر ولا ضرار)).^(٢)

وقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، وهي اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار، حيث جمع علوماً كاملة في جمل قصيرات.

وقد أخبر ﷺ بهذه الخاصية عن نفسه، ولم يردها لقدرة ذاتية فيه، بل نسب الفضل فيها لربه الذي رزقه بها، وأكرمه بها؛ فقال: ((وأُعْطيت جوامع الكلم)).^(٣)

وفسر شُرَّاح الحديث جوامع الكلم بأنها: (الكلام الموجز القليل، اللفظ الكثير المعنى).^(٤)

(١) انظر: لمتابعة بعض خطب النبي ﷺ (أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، الجزء الأول، العصر الجاهلي وصدر الإسلام)، بيروت: المكتبة العلمية (د.ت)، ج ١/١٤٧ - ١٧٧؛ وانظر: ابن القيم زاد المعاد، ج ١/١٨٦.

(٢) انظر: أحمد في مسنده، ج ٣٢٦/٥؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، ج ٧٨٤/٢، ح برقم: ٢٣٤٠، ٢٣٤١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ نُصرت بالرعب مسيرة شهر، ج ١٢/٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، ج ٦٤/٢ - ٦٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ نُصرت بالرعب مسيرة شهر، ج ١٢/٤؛

ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، ج ٦٤/٢، ٦٥.

وتصف زوجته عائشة رضي الله عنها حديثه بالإيجاز فتقول: ((إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدث الحديث لو شاء العاد أن يحصيه أحصاه)).^(١)

ومن فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقتضبها، لم تُسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، كقوله: ((مات حنْفَ أنفه)). مات حنْفَ أنفه: إذا مات من غير قتل ولا ضرب.^(٢)

كان رضي الله عنه يتحدث بأسلوب يجعل مقاله في غاية الإفصاح والإبانة، ولا يعوق المستمع عن سماع ما يقول ووعيه. ومن ذلك: أنه كان يكرر الكلمة حتى تفهم، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنه كان إذا سلّم سلّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً)).^(٣)

ومنها: أنه لم يكن يسترسل في حديثه بطريقة تعوق المستمع عن وعي ما يسمع، بل كان يترسل، وقد لفت ذلك نظر عائشة رضي الله عنها فوصفت حديثه بقولها: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسرديكم)).^(٤)

ومن الأمثلة التي صدرت عنه قوله رضي الله عنه: ((حمي الوطيس)).^(٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٤/١٦٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ج ٧/١٦٧.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٥/٢٧٩؛ وانظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٢٨. (٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، ج ١/٣٢.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٤/١٦٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ج ٧/١٦٧.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج ٥/١٦٦، ١٦٧.

- وقوله ﷺ: ((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)).^(١)
- وقوله ﷺ: ((والسعيد من وعظ بغيره)).^(٢)
- وقوله ﷺ: ((أفضل الصدقة جهد المقل)).^(٣)
- وقوله ﷺ: ((اليد العليا خير من اليد السفلى)).^(٤)
- وقوله ﷺ: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)).^(٥)
- وقوله ﷺ: ((من ضمن لي ما بين لحييه، وبين رجليه ضمنت له الجنة)).^(٦)
- وقوله ﷺ: ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)).^(٧)
- وقوله ﷺ: ((منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال)).^(٨)

- (١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ج٨/٢٧٧؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ج٧/١٠٣.
- (٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ج٨/٤٥.
- (٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، ص ٢٩١، ح برقم: ١٦٧٧؛ وراه أحمد في مسنده، ج٢/٣٥٨.
- (٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة، ج٣/٩٤؛ وراه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ج٢/١١٧، ١١٨.
- (٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ج٧/١٧٠.
- (٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج٧/١٨٤.
- (٧) رواه أحمد في مسنده، ج٣/١٣٥.
- (٨) أخرجه ابن عدي في الكامل عن أنس؛ والبزار عن ابن عباس.

وقوله ﷺ: ((الذنب لا ينسى، والبر لا يبلى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تُدان)).^(١)

وقوله ﷺ: ((الغفو لا يزيد العبد إلا عزاً، والتواضع لا يزيده إلا رفعة)).^(٢)

وقوله ﷺ: ((المرء كثير بأخيه)).^(٣)

وقوله ﷺ: ((إنها صافية)).^(٤)

وقوله ﷺ: ((من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)).^(٥)

وقوله ﷺ: ((البلاء موطن بالمنطق)).^(٦)

(١) رواه البيهقي في كتاب الزهد والأسماء والصفات عن أبي قلابة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب الغفو والتواضع، ج ٢١/٢؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع، ج ٣٧٦/٤، ح برقم: ٢٠٢٩.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود، وصحح البيهقي في شعب الإيمان وقفه (أي صحح أنه موقوف: أي من كلام الصحابي).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه، إلى باب المسجد، ج ٢٥٧/٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب أنه يستحب لمن رُئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة، ليدفع ظن السوء به، "إجابة مختصرة وسريعة تمنع الشك وتقطع الطريق على الشيطان" ج ٨/٧ - ٩ (٢٠٢٨)؛ ورواه الطبراني في المعجم الكبير، ج ١٨٥/١٠، ح برقم: ١٩٦٨٦.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج ٧١/٨.

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود، وصحح البيهقي في شعب الإيمان وقفه (أي صحح أنه موقوف: أي من كلام الصحابي).

وقوله ﷺ: ((زر غبياً تزدد حياً)).^(١)

وقال ﷺ: ((صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقّة السرّ تُطفئ غضب الربّ، وصيلة الرّحم تزيد في العمر)).^(٢)

ومن قوله ﷺ: ((استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود)).^(٣) و((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)).^(٤)

وقوله ﷺ: ((من شرّ النَّاسِ منزلةً عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ عبدٌ أذهبَ آخرتهُ بدنياً غيرهِ)).^(٥)

كما جمع علم المواريث في الشريعة الإسلامية وهو العلم الفدّ الذي لم يوجد مثيل له، فقال ﷺ: ((ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر)).^(٦)

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ٢/٣٨٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق باب ما بين النفختين، ج ٨/٢١٠؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ج ٤/٥٦٢، ح برقم: ٢٣٢٤؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ج ٢/١٣٧٨، ح برقم: ٤١١٣؛

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة، ج ٤/٣٥٥، ح برقم: ٧٩٤٠.

(٣) انظر: رواية الطبراني في المعجم الصغير، ص ٥٥٤، ح برقم: ١١٨٦؛ وأبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٦/٩٦. (وقد ضعفه بعض العلماء)

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الصحة والفراغ واللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، ج ٧/١٦٩، ١٧٠.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، ج ٢/١٣١٢، ح برقم: ٣٩٦٦.

(٦) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ابن عمّ أحدهما أخ للأُم، والآخِر زوج، ج ٨/٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر، ج ٥/٥٩، ٦٠.

وقوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)).^(١)

ومن بلاغته قوله ﷺ: ((مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ)). والإدلاج: السير من أول الليل.^(٢)

وقوله ﷺ: ((الحمو الموت))، أي كالموت في خطورة دخوله وما قد يترب على ذلك من مفساد ومحاذير.^(٣)

وكذلك قوله ﷺ: ((الدين النصيحة)).^(٤) و((الظلم ظلمات)).^(٥) و((الدال على الخير كفاعله)).^(٦) إلى غير ذلك مما ورد على لسانه ﷺ، في خطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده، مما لم يسبق إليه.

ومن ألفاظه ﷺ الدقيقة التي جرت على الإلسنة ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: (جَاءتِ امْرَأَةٌ رِفَاعَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فَبَتَّ طَلَاقِي، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّيْبِرِ، وَإِنَّ مَا مَعَهُ

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ٢/١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنية فإنه يدخل فيه الغزو وغيره، ج ٤٨/٦).

(٢) رواه الترمذي، في سننه، كتاب صفة القيامة، ج ٦٣٣/٤، ح برقم: ٢٤٥٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم. والدخول على المغيبة، ج ١٥٨/٦، ١٥٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية، والدخول عليه، ج ٧/٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، ج ٥٣/١؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، ص ٨٩٤، ح برقم: ٤٩٤٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، ج ١٨/٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ١٩١/٢، ١٩٥.

(٦) رواه الترمذي في صحيحه، كتاب العلم، باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله، ج ٤١/٥، ح برقم: ٢٦٧٠ حسنه الألباني: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ج ٢١٩/٤؛ انظر: سبل الهدى والرشاد، لمحمد الصالحي الشامي، ج ٩٧/٢.

مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَيَّ رِفَاعَةً؟ لَا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكَ. (١)

وحين فر الناس عنه في حنين أخذ ﷺ ينادي بوضوح: ((أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)). (٢)

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((المرأة تنكح لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)). (٣)

وكان ﷺ يكره سجع الكهان الذي يخدعون به السامع، ليوهموه أنه يستمع إلى طلاس السحرة والشياطين، ولكنه لم يكن يأبى السجع البتة، ولا يخلو كلامه من بعض سجع يأتي على السجعية بلا تكلف. ويغلب أن يكون ذلك فيما يقوله من الوصايا الجامعة، مثل: ((إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووآد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))، (٤) والبلاغة والفصاحة كثيراً ما تقود أصحابها إلى

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب من أجاز طلاق الثلاث لقول الله تعالى الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ أو تسريح بإحسان، ج٦/١٦٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تحلُّ المطلقة ثلاثاً حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها، ج٤/١٥٤، ١٥٥. نقلاً من كتاب: (من البيان النبوي الشريف .. تأملات بلاغية في الهدى النبوي)، بسيوني عبد الفتاح فيؤد، ص ٢١٤.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٥٤٣٧)، نقلاً من كتاب: (من البيان النبوي الشريف .. تأملات بلاغية في الهدى النبوي)، بسيوني عبد الفتاح فيؤد، ص ١٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ج٦/١٢٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب ي استحباب نكاح ذات الدين، ج٤/١٧٥.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧/٧٠؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحق، ج٥/١٣٠، ١٣١.

المبالغة، وإلى تزيين القول بما يخرج عن الموضوعية والصدق. وقد كان شائعاً لدى العرب في وصف الشعر بأن أعذبه أكذبه.

عن المغيرة بن شعبه أن معاوية كتب إلى المغيرة أن اكتب إلي بحديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: ((فكتب إليه المغيرة إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثلاث مرات. قال: وكان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات)).^(١)

وكان ﷺ كثير الصمت ويوصي بحفظ اللسان، ويخوف منه، وقد وضع البخاري في صحيحه باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت وقوله - تعالى -: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨]. [ق].^(٢)

وعن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)).^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، ج٧/١٨٣، ١٨٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ج٧/١٨٤؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٧٥٧؛

انظر: لمزيد من التوسع: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي، كتاب الصمت وأدب اللسان، دراسة وتحقيق نجم عبد الكريم خلف، ط١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ؛

وانظر: الجاحظ، البيان والتبيين (باب في الصمت)، ج١/١٣٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ج٧/١٨٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)).^(١)

وعن أبي هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق)).^(٢)

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم)).^(٣)

وعن عبد الله بن عمرو يقول قال النبي ﷺ: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)).^(٤) ولا شك أنه كان لرسول الله ﷺ محاورات من أصحابه ومع أعدائه، نوردها في الوقفة التالية.

لكن محمداً ﷺ رغم فصاحته وبلاغته كان صادقاً في لهجته، وفي حديثه وفي كل شيء ﷺ، فلم يُعرف عنه كذب في حديثه لا في جد ولا في

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ج٧/١٨٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ج٧/١٨٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ج٧/١٨٤، ١٨٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج١/٨، ٩.

مزاح،^(١) كما أنه كان معتدلاً ليس في حديثه مبالغة أو خروج عن الموضوعية.

كان ﷺ صادقاً في كل شيء، وقد قال ﷺ: ((... ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً)).^(٢)

شهد له أعداؤه والمخالفون له بالصدق، فحين ذهب أبو سفيان إلى الشام قبل أن يسلم ولقي هرقل، سأله هرقل عن محمد ﷺ، وكان مما سأل عنه أن قال لترجمانه سله: كيف حسبه فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو حسب.

ومما قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا.^(٣)

والشهادة له بالصدق من أعدائه ليست قاصرة على أبي سفيان، ففي مبدأ بعثته شهد له زعماء قومه بالصدق، فعن ابن عباس ﷺ قال لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء].^(٤) صعد النبي ﷺ على الصفا،

(١) انظر: مزاح النبي ﷺ في القسم الرابع من هذه الموسوعة؛

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحق، ج ١٣٠/٥، ١٣١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ج ٦٠/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي ...، ج ٤/١ - ٧.

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل...، ج ١٦٣/٥، ١٦٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٣٨٤/٢؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل...، ج ١٦٣/٥، ١٦٤.

فجعل ينادي: ((يا بني فهر، يا بني عدي)) لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فقال ﷺ: ((أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟)) قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً.^(١)

كان يلتزم الصدق ﷺ حتى وهو يمازح أصحابه ويداعبهم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا يا رسول الله! إنك تداعبنا. قال: ((إني لا أقول إلا حقاً)).^(٢)

وكان ﷺ يعجبه صدق الحديث، ويشير لذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((أصدق بيت قاله الشاعر ألا كل شيء ما خلا الله باطل)).^(٣) قال ﷺ: ((أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)).^(٤)

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قلت يا رسول الله! أكتب ما أسمع منك؟ قال: ((نعم)). قلت: في الرضا والسخط؟ قال: ((نعم؛ فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقاً)).^(٥)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقرين، ج١/١٣٤.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، ج٤/٣٥٧؛ وأحمد في مسنده، ج٢/٣٦٠،

وانظر: موقع الألوكة: www.alukah.net/ بتاريخ: ١٠/٢/١٤٤٢هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أيام الجاهلية، ج٤/٢٣٦.

(٤) رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب، في حسن الخلق، ص ٨٧١، ح برقم: ٤٨٠٠؛ رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، ج٤/٥٥٧، ح برقم: ٢٣١٥؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ص ٩٠٢.

(٥) رواه أحمد في مسنده، ج٢/٢٠٧.

كان منطقه ﷺ بعيداً عن الفحش، فلم يكن يتكلم إلا بالكلمة الطيبة، ولم يحفظ عنه كلمة فاحشة أو بذيئة، فعن أنس قال: ((لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سبباً، كان يقول عند المعتبة ما له ترب جبينه)).^(١) - كما مر سابقاً ..

وكان بعيداً عن مواطن الهرج واللعو والحديث بما لا يفيد، فعن عائشة قالت عنه ﷺ: ((لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)).^(٢)

كان اجتنابه ﷺ للفحش شأنه في كل أحواله، حتى حين يتحدث مع من يرى الناس أنهم يستحقون ذلك، وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وفيه عن عائشة ﷺ أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: ((بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة)). فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه، وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ: ((يا عائشة! متى عهدتني فحاشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)).^(٣)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ج٨١/٧.

(٢) انظر: الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، ج٣٦٩/٤، ح برقم: ٢٠١٦؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٢٣٦/٦.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ج٨١/٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقي فحشه، ج٢١/٨.

كان ﷺ يبتعد عن التكلف، فلم يكن يستخدم في حديثه ألفاظاً غريبة تستعصي على الفهم. يأتي كلامه على السجية والطبيعة.^(١)

وذمَّ من يتكلف الحديث وإخراج الكلام، بقوله: ((إن الله ﷻ يبغض البليغ من الرجال)).^(٢)

وكان ﷺ يخاطب بحديثه كل الناس بما يفهمون، ويناسب عقلياتهم؛ فيخاطب خاصة أصحابه بما يناسبهم، ويخاطب عامتهم بما يناسبهم، ويخاطب الشعراء والحكماء، ويخاطب الأعراب، والصغار والكبار، والجميع يفهمون حديثه ويعونه ويقع من أنفسهم موقعاً.

واعتبره العلماء أفصح الخلق ﷺ.^(٣) وكل من زاد تعلمه من رسول الله ﷺ زادت فصاحته، لذلك فصاحة أبي بكر الصديق ﷺ مشهورة؛ لما ولي أبو بكر ﷺ، خطب الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، أيها الناس، قد وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسنَّ النبي ﷺ السنن فعلمنا فعلمنا. اعلّموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحق الحمق الفجور. وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق. أيها الناس، إنما أنا متبع ولست بمبتدع. فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني).^(٤)

(١) <http://mercyprophet.org/mul/ar> (بلاغة محمد ﷺ) موقع نبي الرحمة، رابطة العالم

الإسلامي، بتاريخ: ١٤٤٢/٢/١١هـ

(٢) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان، ج ١٤١/٥، ح برقم: ٢٨٥٣؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشدق في الكلام، ص ٩٠٥، ح برقم: ٥٠٠٥؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ١٨٧/٢.

(٣) انظر: موقع الدرر السنية، نماذج من فصاحة النبي ﷺ، <https://dorar.net/akhlaq>، بتاريخ: ١٤٤٢/٢/٢٤هـ.

(٤) رواه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٨٢/٣.

فَصَاحَةٌ عَمْرٍ بِنِ الْخَطَّابِ ﷺ عَنْهُ أَلْفٌ فِيهَا كَتَبَ. (١)

خَطَبَ عَمْرٍ ﷺ فَقَالَ بَعْدَ مَا حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ :
 (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ بَعْضَ الطَّمَعِ فَقْرٌ، وَإِنَّ بَعْضَ الْيَأْسِ غِنَى، وَإِنَّكُمْ تَجْمَعُونَ
 مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تَدْرِكُونَ، وَأَنْتُمْ مُؤَجَّلُونَ فِي دَارِ غُرُورٍ، كُنْتُمْ
 عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُؤَخِّدُونَ بِالْوَحْيِ، فَمَنْ أَسْرَّ شَيْئًا أَخَذَ بِسَرِيرَتِهِ،
 وَمَنْ أَعْلَنَ شَيْئًا، أَخَذَ بِعَلَانِيَتِهِ، فَأَظْهَرُوا لَنَا أَحْسَنَ أَخْلَاقِكُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِالسَّرَائِرِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَظْهَرَ شَيْئًا وَزَعَمَ أَنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ لَمْ نَصُدِّقْهُ، وَمَنْ
 أَظْهَرَ لَنَا عِلَانِيَةً حَسَنَةً ظَنَنَّا بِهِ حَسَنًا، وَاعْلَمُوا أَنَّ بَعْضَ الشُّحِّ شُعْبَةٌ مِنَ
 النِّفَاقِ، فَأَنْفَقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ، وَمَنْ يُوقِ شَحًّا نَفْسَهُ فَأَوْلَتْكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ.
 أَيُّهَا النَّاسُ، أَطَيَّبُوا مَثْوَاكُمْ، وَأَصْلَحُوا أُمُورَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَلَا
 تَلْبَسُوا نِسَاءَكُمْ الْقَبَاطِي، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَشْفَ فَإِنَّهُ يَصِفُ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي
 لَوَدِدْتُ أَنْ أَنْجُو كِفَافًا، لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ عُمِّرْتُ فِيكُمْ يَسِيرًا
 أَوْ كَثِيرًا أَنْ أَعْمَلَ بِالْحَقِّ فِيكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -، وَأَلَّا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 - وَإِنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ - إِلَّا آتَاهُ حَقُّهُ وَنَصِيبُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ، وَلَا يَعْمَلُ إِلَيْهِ نَفْسَهُ،
 وَلَمْ يَنْصَبْ إِلَيْهِ يَوْمًا. وَأَصْلَحُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقَكُمْ اللَّهُ، وَلَقَلِيلٌ فِي رِفْقٍ
 خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي عُنْفٍ، وَالْقَتْلُ حَنْفٌ مِنَ الْحُنُوفِ، يَصِيبُ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ،
 وَالشَّهِيدَ مِنْ أَحْتَسَبَ نَفْسَهُ). (٢)

(١) انظر: محمد سلام الخضر، البلاغة العُمرية؛ مبرة الآل والأصحاب، ط١- الكويت: ٢٠١٤م؛

د. يوسف عواد القماز، المعايير النقدية : و البلاغية في أدب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، المجلة الأردنية للغة العربية ٢٠٠٦م.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٢٦/٥ وفيه عدد من خطب عمر من ص ٢٥ - ٢٨؛
 وانظر: خطب متعددة لعمر بن الخطاب، أوردها أحمد زكي صفوت بمصادرها في جمهرة
 خطب العرب، ج١/٢١١؛

موقع الدرر السنية <https://dorar.net/akhlaq/> بتاريخ: ٢٤/٢/١٤٤٢هـ.

وكانت عائشة رضي الله عنها على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة، فعن معاوية قال: (ما رأيت خطيباً قطُّ أبلغ ولا أفصح من عائشة).^(١)

وقال موسى بن طلحة: (ما رأيت أحداً أفصح من عائشة).^(٢)

وعن الأحنف بن قيس قال: (سمعت خطبة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، والخلفاء هلم جرأً إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوقٍ أفخم ولا أحسن منه من في عائشة رضي الله عنها).^(٣)

وحيثما توفي أبوها رضي الله عنه قالت رضي الله عنها: (رحمك الله يا أبة! لقد قمت بالدين حين وهى شعبه، وتفاقم صدعه، ورحبت جوانبه، وبغضت ما أصغوا إليه، وشمرت فيما ونوا عنه، واستخففت من دنياك ما استوطنوا، وصغرت منها ما عظموا، ولم تهضم دينك، ولم تتس غدك؛ ففاز عند المساهمة قدحك، وخف مما استوزروا ظهرك، حتى قررت الرؤوس على كواهلها، وحقنت الدماء في أهبها - يعني: في الأجساد -؛ فنضرت الله وجهك يا أبة! فلقد كنت للدنيا مُذلاً بإدبارك عنها، وللآخرة مُعزراً بإقبالك عليها، ولكأنَّ أجل الرزايا

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، ج٩/٢٤٣.

(٢) انظر: الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ج٥/٧٠٥، ح برقم: ٣٨٨٤، وقال حديث حسن صحيح غريب؛ وأحمد في (فضائل الصحابة)، ج٢/٨٧٦، ح برقم: ١٦٤٦؛ والطبراني في المعجم الكبير، ج١٠/٥، ح برقم: ١٨٨١٣؛ والحاكم في المستدرک، ج٨/٣٣٤، ح برقم: ٦٨٨٤؛ الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، ج٩/٢٤٣.

(٣) رواه الحاكم، ج٤/١٢؛ واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة)، ج٨/١٥٢٢، ح برقم: ٢٧٦٧؛

انظر: موقع الدرر السنية <https://dorar.net/akhlaq/>، بتاريخ: ١٦/٢/١٤٤٢هـ.

بعد رسول الله ﷺ رُزُؤُك، وأكبر المصائب فُقدك؛ فعليك سلام الله
ورحمته، غير قاليةٍ لحياتك، ولا زاريةٍ على القضاء فيك.^(١)

* * * * *

(١) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٧٠/٥؛

أحمد زكي صفوت، خطب العرب، ج ٢١٠/١؛

وانظر: موضوع فصاحة عائشة ﷺ نقلاً عن <https://dorar.net/akhlaq/> بتاريخ:

١٤٤٢/٢/٢٤هـ.

الحوار في حياته ﷺ: (١)

الحوار هو الرجوع وأن يدور الشيء دوراً. (٢)

ويعني المرادّة في الكلام والتجاوب، والمراجعة، قال الله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة]. (٣)

والحوار تفاعلٌ وحديثٌ ومراجعة بين شخصين أو أكثر. (٤) وصارت علماً على فن من فنون المخاطبات، له أصوله وآدابه وأسلوبه. (٥) ويمكن تعريف الحوار بأنه كلام يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الآخر، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجّحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الأدلة التي تثير له بعض النقاط التي كانت غامضة لديه. (٦) بحيث يجري الكلام بينهما متكافئاً دون

(١) انظر: د. محمد بن إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (د. ت): د. خالد محمد البداح، فقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة (الأسس والأهداف والوسائل)، بريدة: مركز تدوين للبحوث والدراسات الحديثية ١٤٣٤هـ؛ و د. محسن بن محمد عبد الناظر، حوار الرسول ﷺ مع اليهود، ط ١ - الكويت: دار الدعوة ١٤٠٩هـ؛ يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ط ٣ - الدمام: دار المعالي ١٤٢٨هـ؛ د. رقية العلواني، فقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة، ط ١ - جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز العالمية للسنّة النبوية، والدراسات الإسلامية المعاصرة ١٤٢٦هـ؛ د. فهد خليل زايد، فن الحوار والإقناع، ط ١ - الأردن: دار النفائس ١٤٢٤هـ؛ د. عبد الله الرحيلي، قواعد ومتطلبات في أصول الحوار ورد الشبهات، الرياض: دار المسلم ١٤١٤هـ.

(٢) محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١١.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٤٠؛ لسان العرب، ج ٢١٨/٤.

(٤) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ج ٩/٢٨؛ المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس وزملاؤه ج ٢٠٥ / ١٥.

(٥) محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٨.

(٦) انظر ضوابط المعرفة والاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن الميداني، ص ٣٦١.

أن يستأثر به طرف دون غيره، مع غلبة الهدوء ورحابة الصدر وسماحة النفس والبعد عن التعصب والخصومة.^(١)

والجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه. وهو الخصومة في الحقيقة. ويتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.

كما يعني دَفْعَ المرءِ حَـصْمَهُ عن فساد قوله بحجة أو شبهة. ولا يكون إلا بمنازعة غيره.

وقال ابن منظور: الجدل: اللد في الخصومة، والقدرة عليها، وقد جادته مجادلة، وجدالاً، ورجل جدل، ومجدل: شديد الجدل.^(٢)

ويقال: جادلت الرجل فجَدَلْتَهُ جدلاً: أي غلبته، ورجل جدل: إذا كان أقوى في الخصام، وجداله: أي خاصم مجادلة وجدالاً، والاسم: الجدَل، وهو شدة الخصومة.^(٣)

فخلاصة المعنى اللغوي للجدل أنه يدور حول اللد والخصومة والمغالبة، والمنازعة ومراجعة الكلام.^(٤)

وللتمييز ومعرفة الفرق بين الحوار والجدال يتبين أن الجدال في اللغة يرجع إلى مادة جدل من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد

(١) انظر في أصول الحوار إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ١١؛ وفقه الحوار مع

المخالف في ضوء السنة النبوية، د. رقية العلواني، ص ٣٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١/١٠٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١/١٠٥.

(٤) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر الأملعي، ص ٢٤.

الخصومة، ومراجعة الكلام.^(١)

ومن هنا يتبين أن الحوار والجدال يلتقيان في كونهما حديثاً، أو مراجعة بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك؛ فالحوار مرّ تعريفه ومفهومه.

أما الجدال فيكون في الأغلب اللدد في الخصومة، وما جرى مجرى ذلك، من العناد والشدة والتمسك بالرأي، والتعصب له، ومحاولة إسقاط الخصم.

ولهذا كان أكثر وروده في القرآن في معرض الذم، إلا إذا كان جدالاً بالتي هي أحسن؛ فيكون محموداً بهذا الاعتبار.

ومن هنا جاء الأمر القرآني بالإحسان بالجدل بالحسنى؛ نظراً لما يتخلله من المعاني المذمومة الأنف ذكرها. قال الله ﷻ: ﴿وَحَدِّلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل].^(٢) وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت].^(٣) وفي ذلك تأكيد على أن محور الجدال الشدة، والخصومة وما جرى مجراهما.

ولفضلة الجدل في القرآن معظمها في معرض الذم عدا مواضع قليلة، مواضع منها أول آية من سورة المجادلة وهي قوله - تعالى -: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة].^(٤)

وقوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِرْزِهِمْ الرُّوعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ

(١) محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٨١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٨ - ١٤٣٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٣٥؛

محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٤.

لُوطٍ ﴿٧٦﴾ [هود].^(١) داخل في الجدل المحمود؛ لأن جدال رسل الله ﷺ جدال محمود، وليس فيه لجاج ولا خصومة.^(٢)

الجدال المذكور في قوله تعالى عن قوم نوح ﷺ من أوائل أحداث الجدل في حياة الأمم. قال - تعالى - : ﴿ قَالُوا يَنْتُوْحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾ [هود].^(٣)

أدب الحوار:

الاستماع للمحاور من أعظم آداب الحوار، ومن أكثر ما يتحدّث عنه مَنْ يتكلم في الحوار أو يُؤلّف فيه. فلا تكاد تجد مؤلفاً في الحوار أو أدب الحديث إلا ويذكر في مقدمة آدابه الإصغاء، وحسن الاستماع سواء كان ذلك من المتقدمين أم المتأخرين. وهو مما يعطي المتحدث فرصة في إيضاح فكرته.^(٤)

الحوار يبين قدرة المحاور في اللغة وعقليته: أي الأخذ والعطاء فيه. وقد تدخل فيه المناظرة التي يراد بها النظر بالبصيرة من الجانبين المتحاورين في النسبة بين الشئئين إظهاراً للصواب لرغبة من الطرفين،^(٥) وكلاهما أي الحوار والمناظرة جدال بالتي هي أحسن.^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٦١، ٩٦٢.

(٢) انظر: أدب الحوار في الإسلام، للأستاذ غسان القين، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٥٤.

(٤) محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ٨٨، ٩١، ٩٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١٤.

(٦) انظر: محمد بن إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٣.

وقد أُمر بالحوار سبيلاً للوصول إلى الحق وتبيين الرأي السديد؛ لأن ذلك من التعاون على الحق لإظهاره.^(١) والمحاورة تقود من الانتقال من حجة إلى حجة ومن دليل إلى دليل، والأصل في الحوار ألا يناظر أو يحاور إلا من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم.^(٢) أو من يجنح عن الحق ليقيم عليه الحجة.

والحوار هو تعبير عن حقيقة الوجود الإنساني، يعلمنا الله - تعالى - أن كل مخلوقاته تتحاور فيما بينها وأول قصة حوارية يوردها القرآن الكريم هي قصة إيجاد الإنسان قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة].^(٣)

قال - تعالى -: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف].^(٤)

قال - تعالى -: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف].^(٥)

وحوار الأنبياء أمثلته كثيرة، منها حوار إبراهيم ﷺ مع ربه، قال - تعالى -: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة].^(٦)

(١) انظر صفة الجدل والمراء من هذه الموسوعة.

(٢) بتصرف واختصار من (إحياء علوم الدين)، ج ١/٤٤، وما بعدها.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٠٩ - ١١٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٥٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٥٥.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٩٦.

وحواره ﷺ مع الملائكة، قال - تعالى - : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ
إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا مَنْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَهُ كَانَتْ مِنْ
الْغَيْرِيبِ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت]. (١)

وفي قوله - تعالى - : ﴿هَلْ أُنثِكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ
فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ
قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ
أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَاقَةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ
الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ
﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات]. (٢)

وقال - تعالى - : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا
بُرءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِذْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ
تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [المتحنة]. (٣)

وقال - تعالى - : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَاكَ إِلهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُودِيَ عَنْهُ
مُذْرِبِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى آهْلِ هَيْهَاتَ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٦٦، ١٧٦٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٥٩.

بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا أَبْنَاؤُا لَّهُ، بَنَيْنَا فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴿الصافات﴾. (١)

من ذلك حوار إبراهيم ؑ مع ابنه إسماعيل ؑ قال - تعالى - : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ آيَاتٍ أَذْبُكُ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُكَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الصافات]. (٢)

وكذلك ذكر في القرآن الكريم حوار موسى ؑ مع ربه ﷻ كما ورد في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف]. (٣)

وحواره ﷻ مع أخيه هارون ومع السامري، قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يُقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَدِيْفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْدُونَ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٨٨، ١٥٨٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٨٩، ١٥٩١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٨٢.

وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿١٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ [طه].^(١)

وعن حوار نبي الله سليمان ﷺ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [النمل].^(٢)

والحوار جرى في حياة النبي ﷺ بينه وبين أصحابه، بمختلف فئاتهم العمرية، وتفاوتهم في المكانة والسبق إلى الإسلام، وبينه وبين الوفود والزوار، وبينه وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وبينه وبين أعدائه موضوعات طويلة ألفت فيها العديد من الكتب.

ولم يكن الرسول ﷺ يقوم بالحوار لكي يقطع الوقت أو ليملاً الفراغ، ولم يكن ﷺ يستغل الحوار ليلج في الخصومة أو من أجل الظهور والغلبة، وإنما كان حوار الرسول ﷺ لأهداف رائعة^(٣) دعوية في الغالب، سواء منها التعليمي أم غيره، مع الناس مسلمهم وغيرهم.^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٢٤، ١٢٢٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٩٦.

(٣) انظر: د. خالد محمد البداح، فقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة (الأسس والأهداف والوسائل)، ص ٤٩؛ سناء بنت محمود عبد العزيز عابد، الحوار في القرآن الكريم معاملة وأهدافه، الفصل الأول، المبحث الثالث: الحوار القرآني أغراضه وخصائصه، ج ١/٥٢.

(٤) انظر: د. خالد محمد البداح، فقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة (الأسس والأهداف والوسائل)، ص ٤٩؛ سناء بنت محمود عبد العزيز عابد، الحوار في القرآن الكريم معاملة وأهدافه، الفصل الأول، المبحث الثالث: الحوار القرآني أغراضه وخصائصه، ج ١/٥٢.

ولعل الاطلاع على فهرس كتاب د. محمد إبراهيم الحمد يكشف لنا هذا التنوع في حوارهِ ﷺ وفي أساليبه، وفي الحوادث المتعددة منه.^(١)

ولا شك أنه ﷺ مؤيد بالوحي، ولا ينطق عن الهوى في كل ما يقول ويفعل. ولعل حوارهِ ﷺ مع الوفود من أثرى الحوادث في هذا الجانب.

والرسول ﷺ أفضل من استخدم الحوار على الإطلاق، فهو ﷺ يعلم وظيفة الحوار وفوائده وأساليبه وآدابه وفنونه، وقد مارسها ﷺ على أحسن ما يكون طوال حياته مع المسلم والكافر، مع الرجل والمرأة، مع الشيخ والطفل على حدٍ سواء.^(٢)

وقد كان رسول الله ﷺ يستخدم الحوار كوسيلة للتواصل والتراحم مع الآخرين. كان الحوار النبوي متميزاً في أمرين مهمين هما: - جمال الأهداف للحوار النبوي،^(٣) مع جمال الوسائل.

قد كانت الوسيلة الأولى التي اعتمدها رسول الله ﷺ في مقاومته لوسائل الكافرين المتعددة في حربه هي وسيلة "الحوار"، فقد كان رسول الله ﷺ يعلم أن حجة الله بالغة، وأن المكذبين لا يمتلكون دليلاً قوياً على أباظليهم؛ ومن ثمّ فميدان المناظرة والمحاورة هو ميدان عظيم للمؤمنين، وخسارة المشركين فيه مؤكدة، خاصةً إذا كان الحوار هادئاً غير متعصب، رقيقاً غير متشدد، يخاطب العقول حيناً، ويخاطب القلوب حيناً آخر. ولهذا كان الحوار هو المنهج الأساسي في الدعوة إلى الإسلام، على الرغم من التعتن الكافر، والسخرية المستمرة.

(١) محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، من ص ٢٦٥ - ٢٧٦.

(٢) انظر: موقع: <https://www.alukah.net/sharia> بتاريخ: ١٢/٢/١٤٤٢هـ.

(٣) انظر: موقع: <https://rasoulallah.net/ar/articles/article/> بتاريخ: ١١/٢/١٤٤٢هـ.

فمن خلال بعض الآيات القرآنية وتفسيرها يتضح لنا الشكل العام للحوار الذي انتهجه الرسول ﷺ مع المشركين في محاجاتهم ومقارعتهم. والذي يُعدُّ حواراً عقلياً تفاعلياً، وليس جدلياً جامداً، ينطلق فيه الرسول ﷺ من مسلّماتهم، ثم يبني عليها الفروض؛ ليصل إلى النتيجة المنطقية العقلية، بالحجة والبرهان القوي، وذلك دون إسفافٍ لهؤلاء المخالفين، ودون محاولة لفرض الرأي عليهم بالقوة.^(١)

ولعل من أول ما نقل عن رسول الله ﷺ في حوارهِ مع قومه في مكة ما حدث عند جهره ﷺ بالدعوة، فبعد مضي ما يقرب الثلاث سنوات من الدعوة إلى الإسلام وانتشاره بين بطون قريش مع تكتم المسلمين حتى أن بعضهم لا يعرف بعضاً^(٢) نزل عليه ﷺ قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۖ ﴾ (٣٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ (٣٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۖ ﴾ (٣٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۖ ﴾ (الشعراء).^(٣) وهو أمر من الله - تعالى - لنبيه ﷺ بإظهار دعوته وإنذار قومه، وتبعه قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۗ ﴾ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۗ ﴾ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۗ ﴾ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۗ ﴾ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۗ ﴾ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ ﴾ (٩٣) فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۗ ﴾ (الحجرا).^(٤)

(١) انظر: موقع <https://rasoulallah.net/ar/articles/article/>

(٢) انظر: أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج ١/١٤٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٨٤ - ١٣٨٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١/١٠٥٣.

فخرج رسول الله ﷺ إلى الحرم وكان منطقة فضاء، وصعد على الصفا حيث ارتفع على الصخرة وأشرف على المكان، وأخذ ينادي الناس ((وا صباحاه))^(١) وكان هذا الأسلوب متبعاً عند العرب للدعوة للاجتماع والاستماع لمحدث في أمر مهم وخطير عند الإحساس بذلك. وأخذ ﷺ ينادي في قريش: ((يا بني فهر، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا بني فلان، يا بني فلان، حتى اجتمع القوم فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدّقي؟ فقالوا ما جربنا عليك كذباً. لقد كانت تلك شهادة عامة من الجميع بصدق الرسول ﷺ فقال ﷺ: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم، فكان في الحضور عمه أبو لهب فرد عليه بعنف وقسوة وتجبر: تباً لك سائر هذا اليوم! ألهدا جمعتنا))^(٢).

كما أنه ﷺ قال في تلك الدعوة الأولى: ((يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليمان ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئاً))^(٣).

كان كلام رسول الله ﷺ واضحاً وقوياً وهو يدعو إلى الله وأنه نذير ولن

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب، ج ٦/٩٤، ٩٥.

(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١/٢٠٠؛ وإبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ٥٦.

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الشعراء، باب قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ج ٦/١٧؛ وانظر: التخرّيج عند إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ٥٦؛ و(انظر تفسير الآية عند ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٨٤ - ١٣٨٧).

ينفع أحد إلا الصلة بالله وطلب رضاه، وأن قرابتهم له لن تنفعهم وحدها ولا يملك رسول الله ﷺ شيئاً لمن لم يطلب رضا الله بالإيمان والتوحيد والتصديق.

ووصف القرآن الكريم المنهج التحاوري الذي كان بين الرسول ﷺ وبين مشركي مكة، بعد جهره بالدعوة، وجسد حال الطرفين أثناء الحوار، وما كان من اتهام وأدلة وإقناع لدى الطرفين. وأوضح أن اتهامات مشركي مكة كانت تقليدية جامدة، حيث كانوا يردون بالتعجب، ثم يطلقون أحكامهم بالتهمة المتجنية!! فقال - تعالى -: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ۙ﴾ (٤) ﴿أَجْعَلِ الْاِلٰهَةَ اِلٰهًا وَّحِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۙ﴾ (٥) ﴿وَاَنْطَلَقَ الْمَلَآئِكَةُ مِنْهُمُ اَنْ اَمْشَوْا وَاَصْبَرُوْا عَلٰٓى اِلٰهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرٰدُ ۙ﴾ (٦) ﴿مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْاٰلَمِ الْاٰخِرَةِ اِنَّ هٰذَا اِلَّا اَخْلٰقٌ ۙ﴾ (٧) [ص].^(١)

وفي المقابل أوضح القرآن الكريم أن الرسول ﷺ حاورهم بكل هدوء، وطلب منهم إبداء الدليل على تعجبهم واتهامهم وما هم عليه من شرك، فقال الله - تعالى - يخاطب رسوله ﷺ، ويدعوه لمحاورتهم: ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَرُوْنِىْ مَاذَا خَلَقُوْا مِنَ الْاَرْضِ اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوٰتِ اَتُنۢوِيْ بِكِتٰبٍ مِّنۢ قَبْلِ هٰذَا اَوْ اَتُرۢوۡنَ مِنۢ عَلَمٍ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۙ﴾ (٤) [الأحقاف].^(٢)

وعلى هذا النحو كانت محاورات الرسول ﷺ للمشركين في مكة، التي صوّرها القرآن الكريم في أغلب سورة المكية.^(٣) ومن خلال متابعة لتلك

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٠٠، ١٦٠١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٠١.

(٣) انظر: محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٩.

الأنواع نقف على طريقة وطبيعة وأبعاد حوار رسول ﷺ مع المشركين، كما علمه القرآن الكريم.^(١)

يقول الله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۗ ﴾ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۗ ﴾ (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۗ ﴾ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ تَلَا اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۗ ﴾ (١٠) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْأَلُونَ هَذَا إِنْ كُنَّا قَدِيمٌ ۗ ﴾ (١١) وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۗ ﴾ (١٢) [الأحقاف].^(٢)

والآيات تشرح نفسها. حيث تُبين اتهام مشركي مكة للرسول ﷺ بالسحر، وأنه افترى ما يتلو من آيات الله، ثم تُبين ردَّ الرسول ﷺ عليهم في هذه المحاورة، وأنه لو كذب على الله كما قالوا وزعم أن الله أرسله ولم يرسله لعاقبه الله ﷻ أشد العقوبة، حتى لم يُقدر أحد من الخلق أن يُجيره منه!

ثم تتابع الآيات رد الرسول ﷺ العقلي الرحيم على المشركين، وقوله إنه ليس بأول رسول طرَّق العالم؛ بل قد جاءت الرُّسل من قبله، وما هو بالأمر

(١) سناء عابد، الحوار في القرآن، ج ١ و ٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٠٢، ١٧٠٣.

الذي لا نظير له حتى تستكروه وتستبعدوا بعثته إليكم؛ فإن الله قد أرسل قبله جميع الأنبياء إلى الأمم.^(١)

(ثم يطلب منهم الرسول ﷺ الاستعانة بأصحاب الخبرة في هذا المجال، وبأهل التخصص في هذا العلم، فيحيلهم إلى علماء بني إسرائيل، وكانوا متوافرين بيثرب وشمالها، فيطلب من المشركين أن يذهبوا إليهم، ويسمعوا منهم، ثم يعودوا إليه بما عرفوه، فيكملوا حوارهم بناءً على ما حصلوا عليه من معلومات جديدة. ويوضح القرآن الكريم أنه في مواجهة هذا المنطق وهذه الدلائل لم يكن أمام المشركين إلا الهروب من المناقشة والحوار؛ حيث قالوا بعد سماع الحجج المفحمة: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ! فهم يُعرضون عن مناقشة الحجج، ويقولون في منتهى السطحية: ليس من المعقول أن يدرك هؤلاء البسطاء والعبيد الحق، ويسرعوا إليه سابقين. بينما نحن الأشراف القادة نتبعهم بعد ذلك! إنها السداجة الطفولية في مواجهة حجة الله البالغة!

كما يوضح القرآن الكريم - أيضاً - أنه بعد أن أقام الرسول ﷺ الحجج والبراهين على صدق نبوته، وصحة ما يدعو إليه، احتار المشركون في أمره، فلم يجدوا أمامهم - أمام هذه الأدلة والبراهين التي لا يستطيعون دفعها - إلا أن يُطالبوه في حواراتهم معه بعدد من المطالب التي لم يكن الغرض منها التأكد من صدقه ﷺ، وإنما مجرد التعنت والتعجيز!^(٢)

كما ذكر القرآن الكريم أمثلة أخرى كثيرة؛ منها مثلاً قوله - تعالى -:

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ

(١) انظر: تفسير الطبري، ج ٩٧/٢٢ وما بعدها؛ وتفسير ابن كثير، ج ٢٧٥/٧ وما بعدها.

(٢) انظر: راغب السرجاني، حوار الرسول ﷺ مع مشركي مكة، موقع

فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا
 وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ [الفرقان]. (١) وقال
 أيضًا: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَأْتِنَا
 بِشُرَّاءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا
 مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ [يونس]. (٢)
 وكثرة الآيات في هذا الموضوع تُؤكِّد أنها كانت عادة عند الكافرين في
 حوارهم مع رسول الله ﷺ.

وحيث الانتصار المستمر لرسول الله ﷺ في المناظرات والحوارات العلمية
 فقد دفعهم هذا إلى أن يذهبوا فعلاً إلى يثرب، ويلتقوا بأحبار اليهود هناك،
 ويذكروا لهم أمر الرسول ﷺ. ولقد كان اليهود يتوقعون ظهور النبي في
 هذا التوقيت، وكانوا يُعدُّون أسئلة معينة لاختبار صدقه؛ ومن ثمَّ فقد نقلوا
 هذه الأسئلة لكفار قريش، وعاد بها المشركون بسرعة إلى مكة. (٣) وقد
 ذكر ابن إسحاق قصة هذه الرحلة المكية إلى أحبار اليهود، ومع أن سند
 القصة ضعيف فإنها مشتهرة جداً عند علماء السيرة؛ مما يوحي بوجود قبول
 لها عندهم. كما أن القصة ليس فيها تعارضٌ مع ما نعرفه من أحداث في
 السيرة، أو من سياق لسورة الكهف، التي نزلت عقب حدوث هذه القصة. (٤)

روى ابن إسحاق عن ابن عباس ؓ قال: (بَعَثْتُ قُرَيْشَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ،
 وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَىٰ أَحْبَارِ يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلُوهُمْ عَنْ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٥١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٢٦.

(٣) انظر: ابن إسحاق: السيرة والمغازي، ص ٢٠٢.

(٤) انظر: الطبري: جامع البيان، ج ٦/٥٤٠؛ ابن كثير، تفسيره، ج ١/٩٢٦.

مُحَمَّدٍ، وَصَفُوا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبَرُوهُمْ بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ. فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلُوا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَصَفُوا لَهُمْ أَمْرَهُ وَبَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَالَا: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا. قَالَ: فَقَالَتْ لَهُمْ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ، فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوْلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ: سَلُوهُ عَنْ فِئْتِيَّةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؟ فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ. وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبْوَهُ؟ وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ؟ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْكُمْ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَقَوْلٌ، فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ.

فَأَقْبَلَ النَّضْرُ وَعَقِبَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى قَرَيْشٍ، فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قَرَيْشٍ، قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَمَرْنَا أَحْبَارَ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِهَا، فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا. فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَخْبِرْكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ". وَلَمْ يَسْتَنْ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ، وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحَيًّا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ ﷺ حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ. وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ، فِيهَا مُعَانِبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَبَرَ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِئْتِيَّةِ وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْكُهْفِ وَفِيهَا قِصَّةُ

أصحاب الكهف. (١) الحوار في حوفيها قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]. (٢)

ويروي ابن عباسٍ ﷺ قال: (قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودٍ أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ فِي قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]، قَالُوا: أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَةَ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَ: فَانزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف]. (٣)

كان رسول الله ﷺ على يقين أنه على الحق. وكان يُدرك أنها معركة مستمرة مع هؤلاء المعاندين، وكان في جولاته السابقة معهم يردُّ عليهم بما ينزل عليه من الوحي. ولذلك حدّد لهم دون تردّد موعداً في اليوم التالي ولكن في هذه المرّة دون أن يُعلّق الأمر على مشيئة الله ﷻ وكان الأولى في هذا الموقف أن يقول لهم: سأجيبكم إن شاء الله عندما يأتي وحي من السماء، فأنا لا أنزله بإرادتي، إنما ينزل بأمر الله ﷻ.

وعلى عكس ما توقع رسول الله ﷺ لم ينزل الوحي عليه في اليوم التالي، وصارت أزمة، وحزن رسول الله ﷺ، وشعر المشركون ببوادر أمل، وتوقعوا

(١) انظر: ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٢٠٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣٠٠/١؛

والبيهقي، دلائل النبوة، ج ٢/٢٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣/٦٩، ٧٠.

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠/٣٤٦؛ ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٣٥ - ١١٣٧.

(٣) انظر: الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، ج ٥/٤٠٣، ح برقم: ٣١٤٠

ورواه أحمد في مسنده، ج ١/٢٥٥؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٧٦.

نصراً قريباً لهم، ولكن بعد خمس عشرة ليلة نزل الوحي يحمل الإجابة الحاسمة على أسئلتهم، وجاءت الإجابة مطابقة تماماً لما ذكره اليهود. وكان التأخر في الردّ علامةً جديدةً من علامات النبوة؛ لأنه لو كان رسول الله ﷺ يعلم هذا العلم عن طريق قراءة في كتب الأولين كما يزعمون، لكانت الإجابة حاضرة عنده؛ لكنه لا يعلم شيئاً فعلاً إلا عن طريق الوحي. ولو كان الأمر بيده لما عرض نفسه للإحراج أمام زعماء قريش. ولقد كانت الإجابة آيةً للفريقين؛ فريق المشركين وفريق اليهود. وكانت في الوقت نفسه درساً لرسول الله ﷺ والمسلمين، وتبهيها لهم ألا يذكرها شيئاً عن المستقبل دون تقديم مشيئة الله، ونزل قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۗ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ۗ (٢٤)﴾ [الكهف].^(١)

وقد ناقش ﷺ مشركي مكة عما يعبدون فكان ردهم ضعيفاً كما قال - تعالى -: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ۗ (٢٣) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ۗ (٢٤) قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءَ كَافِرُونَ ۗ (٢٤)﴾ [الزخرف].^(٢)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٥٢؛

رواه ابن حبان في صحيحه، ج ١/ ٣٠١، ح برقم: ٩٩؛ وأبو يعلى في مسنده، ج ٤/ ٢١٠، ح برقم: ٢٥٠١؛ والحاكم في المستدرک، تفسير سورة إنا أنزلناه، ج ٥/ ١٥٩، ح برقم: ٣٩٦١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛

انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٥١، ١١٥٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٦٧٩.

وهو عجز عن المقارعة بالحجة والمنطق، مع اللجوء إلى قداسة الموروث ولو كان ضلالاً. وقد جاءوا إليه يسألونه في يوم من الأيام عن نسب ربه! مع ضعف تصورهم عن الرب، وسطحية تفكيرهم، فرد عليهم ﷺ بما أنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص].^(١)

وفي القرآن الكثير من نماذج محاورته ﷺ للمشركين، قال - تعالى -
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَتُنْفُونَ بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٤﴾ [الأحقاف].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِّن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّن عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

(١) انظر: الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الإخلاص، ج/٥١/٥، ٤٥٢؛ وأحمد في مسنده، ج/٥٣/٥؛

انظر: ابن كثير في تفسيره، ج/٢/٢٠٥٠؛

<https://www.islamstory.com/ar>

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج/٢/١٧٠١.

مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْنُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام].^(١)

وكان ﷺ حسن الأدب مع من يحاوره، وإن كان عدواً. ويمكن أن نرى صورة من صور ذلك الحوار الذي كان يدور بين الرسول ﷺ وبين مشركي مكة بما جاء في قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾ [الزخرف]؛^(٢) حيث يحاور الرسول ﷺ المشركين، مُبَلِّغاً عن رب العالمين.

و - مر بنا - أنه حين لجأت قريش إلى محاولة إغراء رسول الله ﷺ بالشهوات والحياة الدنيا فإن عتبة بن ربيعة، وكان من سادات قريش، رأى النبي ﷺ جالساً في المسجد الحرام فقال لسادة قريش: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا (يعني الرسول ﷺ) فأعرض أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فحدثه وقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت في العشيرة والمكان والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تتظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال ﷺ : ((قُلْ يا أبا الوليد أَسْمَعْ)) قال: يا بن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً لعملاً من الجنّ تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٣١، ٧٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٨٦، ١٦٨٧.

عليك التابع على الرجل حتى يداوى منه .. حتى إذا فرغ عتبة بن ربيعة من حديثه، والرسول ﷺ يسمع إليه بكل أدب، ناداه بأحب الألقاب إليه قائلاً: ((أَفَرَعْتَ يَا أبا الوليد؟)) قال: نعم، قال: فاستمع مني قال: أفعل، فقرأ عليه رسول الله من سورة فصلت قال - تعالى -: ﴿حَمْدٌ ۙ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت].^(١) ومضى رسول الله ﷺ حتى وصل قوله - تعالى -: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت].^(٢) حتى إذا أتى الرسول ﷺ السجدة في قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ الْيَلِيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت].^(٣) وسجد رسول الله ﷺ، فاندesh عتبة مما سمع من رسول الله ﷺ ومن سجوده، وقيل إنه لما وصل الرسول ﷺ لقوله - تعالى -: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت].^(٤) أمسك عتبة بضم رسول الله ﷺ وأخذ يناشده ويصيح: أنشدك بالله والرحم، ثم استند إلى يديه وأخذ يفرق في التأمل والتفكير، ثم عاد إلى الملاء من قريش، فلما رأوه مقبلاً عليهم قال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فجلس إليهم مطرقاً، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه!! فاعتزلوه.

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٠، ١٦٥١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٩، ١٦٦٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٣.

فو الله ليكون لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تُصِبَهُ العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلكُهُ مُلكُكم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانه! قال: رأيي فاصنعوا ما بدا لكم.^(١)

والغريب أن عتبة بن ربيعة تيقن صدق رسول الله ﷺ، وعرف القرآن الذي جاء به وسمعه منه مباشرة، ومع ذلك فقد قُتل معانداً مشركاً في صفوف قريش يوم بدر،^(٢) رغم تحذيره لقومه، وأن محمداً ﷺ سينتصر على من عاداه. وهذا الموقف يبيّن صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وأنه ما جاء يطلب الدنيا والمُلْك ولا النساء، ولكنه رسول من عند الله ﷻ.

بداية الحوار كانت الكلمة الأولى لعتبة بن ربيعة الذي جاء محملاً بعدة عروض لعل النبي ﷺ يقبل بعضها، وذلك في كلمات موجزة نتبين منها استراتيجية ذلك المحاور البارِع والداهية الماكر في عرض فكرته.

لكن النصر كان للحق وحامله ﷺ.

كانت قريش قبل هجرة رسول الله ﷺ حريصة على منع القادمين إلى مكة من السماع لرسول الله ﷺ. يروي الطفيل - فيما ذكرنا في موضع آخر - أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها: (فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا،

(١) انظر القصة مع اختلاف في تفصيلاتها عند: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣/٥٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٠٨؛ الذهبي، السيرة النبوية، ج ١/٢٩٤؛

وانظر: خالد البداح، فقه الحوار مع المخالف، ص ٦٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/٦٤٢.

وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق بين جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمته ولا تسمعنّ منه شيئاً. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرسُفاً^(١) فرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمع. قال فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقامت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً. قال: فقلت في نفسي: واكُلَ أُمِّي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف، لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعتة قولاً حسناً، فأعرضُ عليّ أمرك.

قال فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مُطاعٌ في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: "اللهم اجعل له آية".

(١) الكُرسف: القطن (المعجم الوسيط، ص ٧٨٤).

قال فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعتني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثَلَّةٌ - أي عقوبة - وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحول فوق في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية. قال: حتى جئتهم فأصبحت فيهم. قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني، قال: ولمَ يا بني؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ قال: أي بني فديني دينك؟ قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علِّمتُ. قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

قال: ثم أتتني صاحبتني، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت: لمَ بأبي أنت وأمي؟ قال: قلت: قد فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد ﷺ؟ قالت: فديني دينك، قال: قلت: فاذهبي إلى حنا ذي الشرى - قال ابن هشام: ويقال - حمى ذي الشرى - فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمى حمىً حموه له، وفيه وشل من ماء يهبط من جبل. قال: فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً، قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطاوا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت: له يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادعُ الله عليهم فقال: "اللهم اهدِ دوساً" ارجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم. قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى

بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر. حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين.^(١)

كان إسلام الطفيل كما هو واضح في مكة، حيث عاد بعدها داعية في قومه. وأسلم على يديه قلة واستعصت عليه القبيلة، فجاء مرة أخرى إلى الرسول ﷺ في المدينة وشرح له الوضع، وطلب منه أن يدعو على القوم إلا أنه دعا لهم، كما جاء في رواية البخاري، حيث قال الطفيل: (إن دوساً قد هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم فقال: "اللهم اهد دوساً وأتني بهم").^(٢) وقد استجيبت دعوة رسول الله ﷺ فأسلمت دوس وجاء وفدها مع الطفيل بن عمرو ومعه سبعون أو ثمانون رجلاً من القوم، وقد كان الطفيل مع رسول الله ﷺ حين فتح مكة وبعثه رسول الله ﷺ لتحطيم بعض الأصنام في نواحي دوس.^(٣) ثم كان مع رسول الله ﷺ حتى توفى ﷺ، فشارك في القضاء على المرتدين في معارك متعددة، حتى استشهد ﷺ في موقعة اليمامة في السنة الحادية عشر من الهجرة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.^(٤)

وفي حوارهِ ﷺ مع عدي بن حاتم ﷺ - وقد كررناه في أكثر من موضع لشواهده المتعددة - نموذج عظيم للحوار المثمر.^(٥) (ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، ففذفها إليّ فقال

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٣٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، ج ٥/١٢٣.

(٣) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ٢/١٥٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٣٨٥.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/٢٥٨؛ وانظر: ترجمته في الإصابة لابن حجر، ج ٢/٢٢٥.

(٥) مرت القصة سابقاً في الحديث عن علمه ﷺ بالأديان، ولأهمية الاستشهاد بها في الحوار ووردت مرة أخرى باختصار.

اجلس على هذه قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً؟ قال قلت: بلى. قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قال قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل. ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها (حتى) تزور هذا البيت لا تخاف. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيمُ الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم. قال: فأسلمت، وكان عدي يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن. قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت. وأيمُ الله لتكونن الثالثة ليفيطن المال حتى لا يوجد من يأخذه.^(١)

وقد انتهت مقابلة عدي بإسلامه على يد رسول الله ﷺ عن اقتناع تام اتضح من خلال حديثه عن لقائه مع رسول الله ﷺ، ومن خلال ما رأى من تواضعه وكرمه وحسن خلقه ومعرفته بالنصرانية وأصلها وما أصابها من

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/١٥٠؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه؛ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤/١٧٥، ١٧٦؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨١.

انحراف، وما كان يقوم به عدي من أخذ المرباع من النصرارى وهو محرم عليه.

وهذا الحوار - الذي كررنا بعضه - كان طويلاً، ولعله حاور الرسول ﷺ في أكثر من موقف وأكثر من يوم أثناء وجوده في المدينة. ومن ذلك أنه (دخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية قال - تعالى -: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة]، ^(١) قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى. إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم، وقال رسول الله ﷺ: يا عدي، ما تقول؟ أيفرك؟ أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يفرك؟ أيفرك؟ أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله غير الله؟ ثم دعاه للإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق). ^(٢)

وقد ثبت أن عدي بن حاتم ﷺ كان ثابتاً على الإسلام متعاوناً مع أبي بكر الصديق ﷺ في خلافته زمن الردة، حيث ساهم في جمع صدقات قومه والدفاع عن المسلمين ضد المرتدين.

فقد أورد البخاري في صحيحه باباً سماه (قصة وفد طيئ) وحديث عدي ابن حاتم أورد فيه حديثاً عن عدي بن حاتم ﷺ قال: (أتينا عمر بن الخطاب وفداً فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويسمئهم، فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال بلى، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٧٣، ٨٧٤.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٨٧٤.

إذ أنكروا ، فقال عدي: فلا أبالي إذًا).^(١)

وقد كان من أول من قدم بالصدقة على أبي بكر الصديق ﷺ في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ ، وكان له ﷺ دور في قمع أناس من قومه ومنعهم من الردة.^(٢)

وشارك عدي بن حاتم ﷺ في الفتوح زمن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ ، وشهد فتح العراق وفارس ، ومنها المدائن عاصمة الفرس. ورأى بنفسه كنوز كسرى بيد المسلمين ، كما وعد الرسول ﷺ بذلك ، وقد أقام في الكوفة وكان مع علي ﷺ.^(٣)

ومن الأمثلة على الحوار ما جرى بين رسول الله ﷺ وبين نصارى نجران ، وقد مر بنا ذلك بتفاصيله في علمه ﷺ بالأديان ، من هذا المجلد.

ومن أمثلة الحوار النبوي الحازم ما جرى في السنة التاسعة من الهجرة ، حيث كان ضمن الوفود التي قدمت على رسول الله ﷺ وفد من بني حنيفة ، منهم أناس من أشرافهم.^(٤) معهم مسيلمة الكذاب ، قبل ادّعاءه النبوة ، وفي بداية تفكيره بذلك.

وقد أنزلهم الرسول ﷺ في دار (رملة بنت الحارث) ، وكانت معدةً لضيوف رسول الله ﷺ ، فجاءهم رسول الله ﷺ وفي يده جريدة من نخل ، ومعه بعض الصحابة ، فيهم (ثابت بن قيس بن شماس) ، فوقف عليه رسول

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، ج ١٢٣/٥ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٣٢٨/٢ .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٣٢٩/٢ .

(٤) انظر: رواية البخاري ، كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة ، ج ١١٨/٥ .

اللَّهُ ﷺ فكلمه،^(١) ولعل رواية البخاري الأخرى في تفاصيل الحادثة أبلغ من أن تشرح، فقد روى ابن عباس ؓ قال: (قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ؓ، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني، ثم انصرف ﷺ عنه).^(٢)

وورد في الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ كما روى البخاري عن أبي هريرة ؓ يقول: قال رسول الله ﷺ: ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيَتْ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَ فِي كَفِي سَوَارَانَ مِنْ ذَهَبٍ فَكَبَّرَا عَلَيَّ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ انْفَخْتُمَا فَانْفَخْتُمَا فَذَهَبَا فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا، صَاحِبِ صَنْعَاءَ وَصَاحِبِ الْيَمَامَةِ)).^(٣)

لقد كان رد رسول الله ﷺ حاسماً وقوياً يتطلبه الموقف أمام ذلك الكذاب. وقد اشترك بنو حنيفة في العناد مع مسيلمة حين ادعى النبوة، فتبعه بنو حنيفة بعد عودته إلى اليمامة عصبية، حيث قال أحدهم: (أشهد أنك كاذب، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر).^(٤)

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة الأسود العنسي، ج ١١٩/٥.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج ١١٨/٥.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج ١١٨/٥.

وصاحب صنعاء المشار إليه هو: الأسود العنسي الكذاب.

(٤) الطبري، تاريخه، حوادث السنة الحادية عشرة، ج ٥١٤/٣.

وقد كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون).^(١)

ورد عليه ﷺ ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)). وقد كانت مكاتبه للنبي ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة.^(٢)

وقد قويت شوكة مسيلمة ومن معه، وهدد المسلمين في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان من أوائل أعمال أبي بكر الصديق ﷺ القضاء على المرتدين، فأرسل ثلاثة جيوش لمحاربة مسيلمة، الذي ازدادت قوته لفترة مؤقتة بعد انضمام قبائل أخرى إليه، منها بنو تميم، إلى أن تمكن المسلمون من القضاء على رده في معركة اليمامة المشهورة التي استشهد فيها عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ تجاوز الثلاث مائة، فيهم عدد كبير من الأنصار. وكان فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر ﷺ وأبو دجانة ﷺ وغيرهم.^(٣)

ولعل حوار الحازم مع وفد بني عامر بن صعصعة من قيس عيلان من مضر فيه مثال جيد.^(٤) وكانت القبيلة تقيم في نواحي نجد القريبة من

(١) الطبري، تاريخه، ج ٣/٢٤٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ٣/٢٤٨.

(٣) راجع تفصيلات المعركة في الفتوح الإسلامية عبر العصور، عبد العزيز العمري، ص ١٠٣؛

والطبري، تاريخه، ج ٣/٢٥٢.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج ٢/٢٧١.

المدينة. وكان الرسول ﷺ قد بعث أناساً من أصحابه لدعوتهم، فقتلوا في حادثة بئر معونة المشهورة.^(١) وقد قدم وفد من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل، وهو ممن قاتل أصحاب النبي ﷺ في بئر معونة، وكان أعرابياً قاسياً، فطلب منه النبي أن يسلم فقال: ما تجعل لي إن أسلمت فقال ﷺ: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فقال للنبي ﷺ: اجعل لي الأمر من بعدك فقال ﷺ: ((ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل)) قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر،^(٢) فقال ﷺ: ((لا))، قال عامر: لا، ثم هدد الرسول ﷺ قائلاً: أما لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً، فقال ﷺ: ((يمنعك الله. اللهم اكفني عامر بن الطفيل))، فأصيب بغدة في عنقه، كان يصيح منها ومرض في بيت سلولية، ثم كره الموت في بيتها فركب فرسه خارجاً وهو يقول: أغدة كغدة الإبل، وموت في بيت سلولية وسار عليه حتى مات.^(٣)

وفي حوارهِ ﷺ مع وفد بني تميم،^(٤) إحدى القبائل العدنانية، ينتسبون إلى مُرَّ بن أد، وهي من أكبر قبائل العرب،^(٥) مواطنهم في البحرين وشرقي نجد ونواحي الأحساء.^(٦)

وقد جاء وفدهم في السنة التاسعة من الهجرة، بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك، وقد ذُكر أن لهم وافداً أو أفراداً مثلوا قومهم قبل هذا العام.

(١) انظر حادثة بئر معونة، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

(٢) الوبر، يقصد به البادية نسبة إلى رعاة الإبل وهي ذات الوبر، والمدر هم أهل القرى.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٦٩؛ ابن كثير، تفسيره، ج ١/١٠٠٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، ج ٤/١١٥.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/٢٠٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٠٧.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٥؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٨١.

قدم وفدهم على رسول الله ﷺ في المدينة وكان وفدهم من أشهر وفود القبائل على رسول الله في الأحداث، وفيهم زعماء مشهورون على مستوى القبائل العربية، منهم الأقرع بن حابس، والزبيرقان بن بدر، والحجاب بن يزيد، وعطارد بن حاجب، وعيينة بن حصن وغيرهم.^(١)

و وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماها (باب وفد بني تميم)، أورد فيه عدة أحاديث.^(٢)

لما وصل الوفد إلى المدينة كان ﷺ في حجرات أمهات المؤمنين، فدخلوا المسجد وأخذوا ينادون رسول الله ﷺ : (أَنْ إِخْرُجْ عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ فَإِنْ مَدَحْنَا زَيْنَ وَذَمَّنَا شَيْنٌ)،^(٣) فتأذى رسول الله ﷺ من قولهم ذلك وقال: ((ذاك الله ﷻ))،^(٤) وفيهم نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات].^(٥)

وبعد خروج الرسول ﷺ طلبوا أن يأذن لخطيبهم عطارد بن حاجب، فألقى خطبة جاء فيها: (الحمد لله الذي له الفضل والمن علينا وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظيماً نعمل فيها بالمعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، واستمر في مدح بني تميم حتى فرغ من خطبته).^(٦)

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٠.

(٢) صحيح البخاري، ج٤/١١٥، ١١٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٤٤.

(٦) انظر: نص الخطبة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٢.

فلما فرغ أمر الرسول ﷺ ثابت بن قيس بن الشماس بإجابته فقام ﷺ خطيباً وكان مما قال: (الحمد لله الذي السموات والأرض من خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسیه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من علمه ...) وواصل خطبته التي كانت مليئة بالإيمان والصدق والدعوة إلى الله تعالى والثناء على الله ورسوله ﷺ.^(١)

بعد ذلك قام شاعر تميم (الزبرقان بن بدر) وألقى قصيدة أمام رسول الله ﷺ، كانت مركزة على الفخر بقومه بني تميم ومنها:

نحن الكرام فلا حيُّ يعادلنا

منا الملوك وفينا تُنصب اليبع^(٢)

فدعا الرسول ﷺ حسان بن ثابت أن يجيبه بعد فراغه، فقال حسان ﷺ قصيدة عصماء منها:

إنّ الذوائب من فِهرٍ وإخوتهم

قد بينوا سنة للناس تُتبعُ

يرضى بها كلُّ من كانت سريرته

تقوى الإله وكلَّ الخيرِ يصُنِّعُ^(٣)

فكانت معاني حسان تحمل معاني الإسلام السامية، والفخر بها وبرسول الله ﷺ، وقيل إنه تبودلت قصائد أخرى بين الزبرقان وحسان ﷺ، فلما

(١) انظر: نص الخطبة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٤. (البيعة تأتي بمعنى التولية وتنصيب الأمراء والملوك؛ المعجم الوسيط، ص ٧٩).

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/١٧٥، ١٧٦.

فرغوا قال الأقرع بن حابس (وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا).^(١)

وقد أسلم القوم وتعلموا من رسول الله ﷺ، وأمر بعض الصحابة بتعليمهم، وكانوا يسألون رسول الله ﷺ.

وقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمران بن حصين رحمه الله قال: ((أتى نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا، فرؤي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذا لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله)).^(٢)

وحينما أراد الوفد العودة إلى ديارهم أجازهم الرسول ﷺ. وكان لأبي بكر ولعمر رضي الله عنهما رأيان مختلفان حول تعيين أمير على القوم فقد روى البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: (قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافاك فتماريا رضي الله عنهما حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك قوله - تعالى - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ (١) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ (٢) [الحجرات] حتى انقضت).^(٣)

وهناك مثال راق للحوار النبوي الشريف في قصة وافد بن سعد بن بكر

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٦٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب وفد بني تميم، ح برقم: ٤٣٦٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير "سورة الحجرات"، باب (ولا ترفعوا)، ج ٦/٤٦٦؛

وانظر: تفسير ابن كثير، ج ٢/١٧٤٣.

هم فرع من هوازن المضرية،^(١) ومواطنهم جنوب الطائف، استرضع فيهم الرسول ﷺ.

وقد أورد ابن هشام قصة وفادته ممثلاً قومه حيث قال: ((بعثت بنو سعد ابن بكر (ضمام بن ثعلبة) وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه وأناخ بعييره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه. وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ قال: فقال: رسول الله ﷺ: "أنا ابن عبد المطلب". قال أمحمد؟ قال: نعم، قال: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومغلظٌ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك، قال: لا أجد في نفسي، فسئل عما بدا لك، قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: "اللهم نعم"، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: "اللهم نعم"، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: "اللهم نعم"، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة، الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض واجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بعييره راجعاً.

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٥.

قال: فقال رسول الله ﷺ: "إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة".^(١)

ومثال آخر مع وفد عبد القيس قبيلة من ربيعة بن نزار،^(٢) مواطنهم في نواحي البحرين منهم حاضرة وبادية، كانت صلتهم بالإسلام قديمة، حيث قدم وفد منهم قبل السنة الخامسة من الهجرة، وفيهم الأشج بن عبد القيس أحد حكمائهم، وقد أتى الرسول ﷺ عليه بقوله: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة)).^(٣)

وقد كان قدوم الوفد الأول في وقت مبكر من الصراع بين قريش والرسول ﷺ، فقد ورد عند البخاري في صحيحه باب سماه (باب وفد عبدالقيس)،^(٤) أورد فيه حديثاً عن ابن عباس ؓ قال: ((قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى، فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم، حدثنا بجمُلٍ من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به من وراءنا قال: أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله، هل تدرّون

(١) ابن هاشم، السيرة النبوية، ج٤/٥٧٤؛

(والعقيصة مجموعة من الشعر تربط بتداخل وتجعل كرمانة من خلف الرأس؛ المعجم الوسيط، ص ٦١٥)؛

وانظر: رواية مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في الإيمان بالله وشرائع الدين، ج١/٣٢؛

انظر: <https://www.alukah.net/sharia/>.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج٥/١١٦؛ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٠٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٥.

(٣) هو: عبد الله بن عوف، وقيل المنذر بن عوف (راجع ترجمته عند): ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٥٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج٥/١١٦.

ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن أربع ما انتبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت)).^(١) وكان هذا الوفد قد جاء بإسلام قوم من بني عبد القيس.^(٢)

كان فيهم الجارود بن عمرو، الذي رغب في الإسلام، وكان على النصرانية، فقال: إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي؟ فقال رسول الله ﷺ: ((نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَ أَصْحَابَهُ)).^(٣) وقد حسن إسلام هذا الوفد من عبد القيس ونقلوا الإسلام إلى (جواثا) في البحرين وما حولها. ولذلك ورد عن ابن عباس ﷺ: ((أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثي يعني قرية في البحرين)).^(٤)

وقبل مغادرتهم إلى البحرين طلبوا من الرسول ﷺ الحِمْلان، فاعتذر إليهم ((ما عندي ما أحملكم عليه))،^(٥) فقالوا: يا رسول الله: فإن بيننا وبين بلادنا ضوالّ من ضوالّ الناس، أفتبليغ بها إلى بلادنا؟ فنهاهم الرسول ﷺ عنها. وهكذا علمهم الرسول ﷺ في حوارهم معهم حرمة أموال الناس، فرغم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج ١١٦/٥؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٤. (وهذه أنواع من الأواني ينتبذ فيها الخمر).

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج ١١٦/٥؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٣.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٢١٦/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج ١١٦/٥. (ولا يزال مسجد جواثا بآثاره القديمة معروف إلى اليوم في الإحساء في ناحية من القطيف المدينة المشهورة حالياً وقد وقفت عليه بنفسه).

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٤.

حاجتهم وكون هذه الضوال في الصحراء لا أحد يعلم مالكمها، ومع ذلك نهاهم عنها.^(١) وذكر أن الرسول ﷺ أتى عليهم قبل وصولهم فقال: ((سيطلع عليكم من هاهنا وقد هم خير أهل المشرق))،^(٢) وهكذا رجع القوم بأحسن دين وأحسن أخلاق وأمانة.^(٣)

ولعل حوارهِ ﷺ وتصرفه مع موفدي قريش قبيل صلح الحديبية يكشف حكيمته ولغته ومحاورته ﷺ، حيث إنه لما سمعت به قريش، بوصولهِ ﷺ إلى الحديبية أرسلوا إليه أخا بني حليس، وهو من قوم يعظمون الهدى، فقال: ((ابعثوا الهدى، فلما رأى الهدى لم يكلمهم كلمة، وانصرف من مكانه إلى قريش، فقال: يا قوم القلائد والبدن والهدى! فحذرهم وعظم عليهم، فسبّوه وتهجموه، وقالوا: إنما أنت أعرابي جلف لا نعجب منك، ولكننا نعجب من أنفسنا إذ أرسلناك، اجلس ثم قالوا لعروة بن مسعود: انطلق إلى محمد ولا نؤتئين من ورائك، فخرج عروة حتى أتاه، فقال: يا محمد! ما رأيت رجلاً من العرب سار إلى مثل ما سرت إليه، سرت بأوباش الناس إلى عترتك وبيضتك التي تفلقت عنك لتبيد خضراءها، تعلم أي جئتك من كعب بن لؤي وعامر ابن لؤي، قد لبسوا جلود النمر عند العوذ المطافيل،^(٤) يقسمون بالله لا تعرض لهم خطة إلا عرضوا لك أمرّ منها، فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نأت لقتال، ولكننا أردنا أن نقضي عمرتنا وننحر هدينا، فهل لك أن تأتي

(١) رواه مسلم؛ وانظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج٤ / ٦٦١.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج١ / ٩٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ / ٥٧٥.

(٤) العوذ المطافيل: الأمهات اللاتي معهن أطفالهن، والمراد خروجهم مع أطفالهم وأمهات أولادهم ونسائهم ليكون أدعى للثبات وشدة القتال؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥ / ١٣١.

قومك فإنهم أهل قتب، وإن الحرب قد أخافتهم، وإنه لا خير لهم أن تأكل الحرب منهم إلا ما قد أكلت، فيخلون بيني وبين البيت، فنقضي عمرتنا وننحر هدينا، ويجعلون بيني وبينهم مدة، تدل فيها نساءهم ويأمن فيها سربهم، ويخلون بيني وبين الناس، فإني والله لأقاتلن على هذا الأمر الأحمر والأسود حتى يظهرني الله أو تنفرد سالفتي، فإن أصابني الناس فذاك الذي يريدون، وإن أظهرني الله عليهم اختاروا، إما قاتلوا مُعدين، وإما دخلوا في السلم وافرين، قال: فرجع عروة إلى قريش فقال: تعلمن والله ما على الأرض قوم أحب إليّ منكم، إنكم لإخواني وأحب الناس إليّ، ولقد استتصرت لكم الناس في الجامع، فلما لم ينصروكم أتيتكم بأهلي حتى نزلت معكم إرادة أن أواسيكم. والله ما أحب من الحياة بعدكم، فلتعلمن أن الرجل قد عرض نَصْفًا فاقبلوه. تعلمن أني قد قدمت على الملوك ورأيت العظماء فأقسم بالله إن رأيت ملكاً ولا عظيماً أعظم في أصحابه منه، لا يتكلم منهم رجل حتى يستأذنه، فإن هو أذن له تكلم، وإن لم يأذن له سكت، ثم إنه ليتوضأ فيبتدرون وضوءه ويصبونه على رؤوسهم، يتخذونه حَنَانًا.

فلما سمعوا مقاتله أرسلوا إليه سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص، فقالوا: انطلقوا إلى محمد، فإن أعطاكم ما ذكر عروة، فقاضياه على أن يُرجع عامه هذا عنا، ولا يخلُص إلى البيت، حتى يسمع من يسمع بمسيره من العرب أنا قد صددناه. فخرج سهيل ومكرز حتى أتياه وذكرنا ذلك له، فأعطاهما الذي سألا فقال: اكتبوا (بسم الله الرحمن الرحيم) قالوا: والله لا نكتب هذا أبداً، قال: فكيف؟ قالوا: نكتب (باسمك اللهم)، قال: هذه فاكتبوها فكتبوها، ثم قال: اكتب (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله

له) فقالوا: والله ما نختلف إلا في هذا، فقال: ما أكتب؟ فقالوا: انتسب، فاكتب محمد بن عبد الله قال: وهذه حسنة اكتبوها، فكتبوها، وكان شرطهم أن بيننا العيبة المكفوفة، وأنه لا أغلال ولا إسلال، قال أبو أسامة الأغلال: الدروع، والإسلال السيوف، ويعني بالعبية المكفوفة أصحابه يكفهم عنهم، وأنه من أتاكم منا رددتموه علينا، ومن أتانا منكم لن نرده عليكم. فقال رسول الله ﷺ: (ومن دخل معي فله مثل شرطي)، فقالت قريش من دخل معنا فهو منا، له مثل شرطنا، فقالت بنو كعب: نحن معك يا رسول الله ﷺ وقالت بنو بكر: نحن مع قريش، فبينما هم في الكتاب إذ جاء أبو جندل^(١) يرسف في القيود، فقال المسلمون: هذا أبو جندل، فقال رسول الله ﷺ: هو لي، وقال سهيل: هو لي، وقال سهيل: اقرأ الكتاب فإذا هو لسهيل، فقال أبو جندل: يا رسول الله! يا معشر المسلمين! أُرِد إلى المشركين؟ فقال عمر: يا أبا جندل! هذا السيف وإنما هو رجل واحد فقال سهيل: أَعْنَتَ علي يا عمر! فقال رسول الله ﷺ لسهيل: هبه لي، قال: لا. قال: فأجره لي: قال: لا، قال مكرز: قد أجرته لك يا محمد، فلم ينج).^(٢)

وقد ورد في أساليب تعليمه ﷺ للناس - كما ذكرنا سابقاً - إجابته على الأسئلة، وفيها شواهد من طريقته ﷺ في المحاورة. ومما ورد عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ نَأَى الرَّأْسِ سَمِعَ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ

(١) أبو جندل: هو ابن المفاوض القرشي، سهيل بن عمرو، أسلم في مكة، ومنعه أبوه من الهجرة وآذاه وعذبه حتى هاجر، استشهد في معركة اليمامة سنة ١١هـ: ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣٤.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٧٠ - ٢٧٤؛ وانظر إلى أجزاء مختلفة من الرواية عند البخاري في صحيحه، ج ٥/٦٩.

عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ". فَقَالَ: هَلْ عَلَى غَيْرِهِنَّ. قَالَ: "لَا. إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ". فَقَالَ: هَلْ عَلَى غَيْرِهِ فَقَالَ: "لَا. إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ". وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ فَقَالَ: هَلْ عَلَى غَيْرِهَا قَالَ: "لَا. إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ" قَالَ فَادْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ".^(١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: اللهم نعم. قال أنشدك بالله، آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: اللهم نعم. فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورأي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر)).^(٢)

(١) رواه صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، ج١/١٣٢؛

انظر: <https://www.alukah.net/sharia/>

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، ج١/٣٩. وقد كررناه لاختلاف موضع الاستشهاد.

عن أبي أيوب، أن أعرابياً، عرضَ لرسولِ الله ﷺ وهو في سفرٍ. فأخذَ يخطِّمُ ناقتهِ أو يزممها ثم قال: يا رسولَ الله - أو يا محمدُ - أخبرني بما يُقربني من الجنةِ وما يُباعدني من النارِ. قال فكفَّ النبيُّ ﷺ، ثم نظرَ في أصحابه ثم قال: "لقد وُفق - أو لقد هُدِيَ - قال كيف قلت". قال فأعاد. فقال النبيُّ ﷺ: "تعبد الله لا تُشركَ به شيئاً وتُقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصلِ الرَّحِمَ، دع النَّاقَةَ".^(١)

حواره ﷺ داخل بيت النبوة:

من ذلك مع عائشة ؓ وأمثلة عديدة، في حادثة الإفك، وقد فصلنا الحديث عنها في موضوع حكمته ﷺ.

وكان ﷺ يحاور أهل بيته، ومن ذلك حوارُه مع زوجاته، ومع بناته، وخصوصاً مع فاطمة ؓ. ((لما جاء خدم للنبي ﷺ قال علي لفاطمة ؓ: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً، فأتته فقال النبي ﷺ: ما جاء بك يا بنيه؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فأتاها رسول الله ﷺ من الغد وسألها، ما كانت حاجتك؟ فسكتت، فقال علي: والله يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وهذه فاطمة قد طحنت حتى محلت يداها، وقد أتى الله بسبي فأخدمنا؟ فقال الرسول ﷺ: لا والله لا أعطيكما وادع أهل الصفة تتلوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم بالثمن، فرجعا إلى منزلها، فأتاها رسول الله ﷺ ليخفف عنهما عناءهما^(٢) وقال لهما برفق وحنان: ألا أخبرك ما هو خير لك منه

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة، وأن من تمسك بما أمر الله به دخل الجنة، ج ٣٢/١، ٣٣.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٢٥/٨.

تسبحين الله عن منامك ثلاثاً ثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين))^(١).

كما كان ﷺ يوجههما باستمرار إلى الزهد والتصدق وعدم الحرص على الحلي لتتبوا بذلك السيادة على نساء العالمين ﷺ، وليكون لها أسوة حسنة في رسول الله ﷺ في الزهد بالدنيا ومظاهرها، وله معهما ﷺ محاورات كثيرة.^(٢)

وحواره مع خديجة ﷺ ومع ورقة بن نوفل وقد ورد عن حواره أنه حينما نزل عليه الوحي في قوله - تعالى - : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق].^(٣) رجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ﷺ فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروح. فذكر لخديجة ﷺ ما رآه وما سمعه، وأخبرها وقال: لقد خشيت على نفسي فقالت، خديجة ﷺ: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية. وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة ﷺ: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا

(١) لفظ الحديث من البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب خادم المرأة، ج ٦/١٩٣.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٥. والهيتمي، مجمع الزوائد، ج ٩/٢٠٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، الحديث (٣)، ج ١/٣؛ وانظر: شرح ابن حجر له في فتح الباري؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٠١٠.

الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً؛ إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.^(١)

ومحاوراته مع عائشة ؓ كثيرة فعن أم المؤمنين عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله - تعالى -: فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا فقال رسول الله ﷺ: ((إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عدب)).^(٢)

ومحاورته ﷺ مع الصحابة أكثر من أن تحصى. ومما نقله لنا القرآن ما جرى من حوار بين رسول الله ﷺ وبين الصديق ؓ في الغار، قال - تعالى -: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].^(٣)

وكذلك حوارهُ ﷺ مع معاذ بن جبل ؓ الذي روى فيه: ((بينما أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ قلت لبيك رسول الله وسعديك

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٠٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ج ٧/٢٠٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٨٣.

ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت الله ورسوله أعلم قال حق العباد على الله أن لا يعذبهم)).^(١)

ومن حوارهِ مع الصحابيَّات أن فاطمة بنت قيس جاءت إلى رسول الله ﷺ وذكرت له أنه خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: ((أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، أما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد. قالت فاطمة: فكرهته، ثم قال: انكحي أسامة. قالت فاطمة: فنكحته، فجعل الله فيه خيراً كثيراً، واغتبطت)).^(٢)

ومن خلال هذا الحوارِ ذُكر لها ﷺ الخيارات، وبيّن لها أسباب المفاضلة. وعن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباهَا زَوَّجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأَتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها.^(٣)

وكان قد زَوَّجها أبوها بدون إذنِها، فلما حاورت النبي ﷺ في ذلك اقتنع بحجتها، ورد نكاحها.

وعن عائشة ﷺ قالت: (إن امرأة أتت النبي ﷺ فسألت عن غسلها من

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، ج ١٨٩/٧، ١٩٠.

(٢) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، ج ١٩٥/٤.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب إذا زَوَّج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، ج ١٣٥/٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، ج ١٤٠/٤، ١٤١.

المحيض، فأمرها كيف تغتسل. قال: خُذِي فِرْصَةً^(١) من مِسْكِ فتطهري بها. قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها. قالت: كيف؟ قال: سبحان الله! تطهري. قالت عائشة رضي الله عنها: فاجتبتها إليّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم.^(٢)

وفي هذا درس عملي في الحوار، والرفق بالمحاور؛ فالنبي ﷺ ههنا رفق بهذه المرأة، ولم يضجر من تكرار أسئلتها.^(٣)

وفي هذه الأمثلة وغيرها يتضح أن النساء لم يكن يتحرجن من محاورته ﷺ، ولم يكن يأنف من ذلك.^(٤)

وفي حديث عُمَرَ بن أَبِي سلمة لما كان صغيراً، حيث كان في حَجْرٍ النبي ﷺ، وكان يأكل طعاماً معه، وكانت يده تطيش في الصفحة، فقال له النبي ﷺ: ((يا غلام! سَمَّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك.^(٥)) فقد ناداه النبي ﷺ فاسترعى انتباهه، ثم وَجَّهَهُ دون كهر ولا نهر؛ فأفاد عُمَرَ

(١) الفرصة: القطعة.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب غسل المحيض، ج ١/٨١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة مسك في موضع الدم، ج ١/١٧٩، ١٨٠.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ج ١/٥٤٠، (ومن أسئلة للنبي)، أ.د. فالح الصغير، ص ٨١. محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٤) محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ج ٦/١٩٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج ٦/١٠٩، ١١٠.

من ذلك الحوار المليء بالحنان، فقال: فما زالت تلك طِعْمَتِي بعدُ)).^(١)

وقد أشرنا لبعض هذه المحاورات مع الصحابة، حين الحديث عن حكمته في موضوع الشورى.

وقد يكون في قضايا خاصة بهم، كالزواج والطلاق والتجارة وغيرها. ومن ذلك أن رجلاً انكر ولده أتى الى الرسول ﷺ، فقال يا رسول الله: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله ﷺ: هل لك من الإبل؟ قال: نعم، قال: ما لونها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورك؟ قال: نعم؟ قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعل عرقاً نزعته، فقال رسول الله ﷺ: ((وهذا الغلام لعل عرقاً نزعته)).^(٢)

ورد ((أَنْ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتَدَنْ لِي بِالزُّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ائْتَدْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ:

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ج٦/١٩٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج٦/١٠٩، ١١٠؛

وانظر: محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٧٧، ١٧٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين قد بين الله حكمهما ليفهم السائل، ج٨/١٥٠؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، ج٤/٢١١؛ ورواه ابن ماجه في سننه كتاب النكاح، باب الرجل يشك في ولده، ج١/٦٤٥، ٦٤٦، ح برقم: ٢٠٠٢؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب الطلاق باب إذا عرّض بإمرأته وشكك في ولدها وأراد الانتفاء منه، ج٦/١٧٨، ١٧٩؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٢/٢٣٣، ٢٣٤؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق باب إذا شك في الولد، ص ٣٩٤، ح برقم: ٢٢٦٠ مختصراً؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الولاء والهبة، باب ما جاء في الرجل ينتفي من ولده، ج٤/٤٣٩، ٤٤٠، ح برقم: ٢١٢٨.

فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ))^(١).

الرسول ﷺ حاور هذا الشاب وأدرك أنه يريد الزنا بدافع غريزي، وأراد الشاب من الرسول ﷺ أن يأذن له في ذلك، وكان يهمله رضا النبي ﷺ؟ فماذا كان منه ﷺ المصطفى حيال هذا الشاب إلا أن أدناه قريباً منه، وأجلسه وحاوره برفق فأقنعه، ثم وضع ﷺ يده عليه بكل عطف وحنان، ودعا له بثلاث دعوات هو في أمس الحاجة إليها، فكانت النتيجة أن طابت نفس ذلك الشاب فلم يلتفت إلى الزنا.^(٢)

((جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَرْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج ٢٥/٥؛ وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ١٢٩/١؛ وصححه إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، ج ٧١٢/١، ح برقم: ٧١٣.

(٢) انظر: موقع راتب النابلسي، <https://nabulsi.com/web/article> بتاريخ: ١٠/٢/١٤٤٢هـ.

وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَنْزَوِجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))^(١).

ومما روي عن حوارهِ ﷺ ما جاء في قصة الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ وهو في سياق الموت، فقد جاء في صحيح مسلم ﷺ عن عمرو بن العاص ﷺ إني قد كنت على أطباق ثلاثٍ: لقد رأيْتني وما أحدٌ أشدَّ بغضاً لرسول الله مني، ولا أحب إليَّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار. فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبيعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردتُ أن أشرط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يُغفرَ لي، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله.

وما كان أحدٌ أحبَّ إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلُّ في عيني منه. وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقْتُ؛ لأنِّي لم أكن أملاً عيني منه...^(٢).

والشاهد ههنا ما كان في حوار عمرو للنبي ﷺ لما أراد الدخول في الإسلام وذلك عندما قال: فقبضت يدي، فقال الرسول ﷺ: مالك يا عمرو؟ فإن عمرواً ههنا توقف، وأراد أن يعرف مصير أعماله التي سلفت منه في

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء]، ج ١١٦/٦.

(٢) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، ج ٧٨/١، ٧٩؛

ومحمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ٢٠٦.

الكفر؛ فاشترط أن يغفر له.^(١)

ومن حوارهِ ﷺ مع أصحابهِ ﷺ، ما روي عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: ((بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدَةَ الْغَنَوِيِّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ قَالَ أَنْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا الْكِتَابُ فَقَالَتْ مَا مَعَنَا كِتَابٌ فَأَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرِ كِتَابًا فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْرَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِرَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ، فَأَنْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَإِنَّهُ قَدْ كَفَرَ قَالَ ﷺ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ. قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَمَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَلْتُ مَا كَانَ بِي مِنْ كُفْرٍ وَلَا ارْتِدَادٍ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَفْعَلْهُ غِشًا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا نِفَاقًا قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ مُظْهِرُ رَسُولِهِ وَمَتِّمٌ لَهُ أَمْرُهُ فَقُلْتُ، أَكْتُبُ كِتَابًا لَا يَضُرُّ اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلَاضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ: أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ:

(١) محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)).^(١)

و - كما مرينا - في موضع استشهاد آخر، فقد دار بينه ﷺ وبين الأنصار أكثر من حوار، كلها تلاحم وتراحم ومودة، فقد روي ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَيَّبُوا مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا، فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَيَقُولُونَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، فَقَالَ: أَلَا تُجِيبُونِي؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا لِأَشْيَاءَ عَدَدَهَا، زَعَمَ عَمْرُو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ: أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّيْءِ وَالْإِبْلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَالنَّاسُ دِتَارُ، وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاوِيًا وَسُجْبًا، لَسَلَكَتُ وَاوِيَ الْأَنْصَارِ وَسُجْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)).^(٢)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم وإثم من أشرك، باب ما جاء في المتأولين، ج ٥٣/٨، ٥٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أهل بدر ﷺ وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ج ١٦٧/٧، ١٦٩؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلمًا، ص ٤٦٥، ح برقم: ٢٦٥٠؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الممتحنة، ج ٤٠٩/٥، ٤١١، ح برقم: ٣٣٠٥؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٣٥٠/٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ج ١٠٨/٣، ١٠٩؛

وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/١٦٣، ١٦٩؛ وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث، (غزوة حنين والطائف)، ج ٨١٤/٣.

ويكون الحوار مع أهل الكتاب، وهم أهل علم موضوعي في الأصل يليق بأهل الفضل كما في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ﴾ [العنكبوت: (١)]

فكانت المعالجة هي الحوار والمناقشة في منهج التفكير قبل أن يناقشهم في طبيعة الفكرة ليصل معهم إلى نتيجة بينة وواضحة.

وقد التقى يهود المدينة بالرسول ﷺ كثيراً، وزارهم في أماكنهم وفي مدارسهم وناقشهم وهم جاحدون، في وقت كانوا يعرفونه ﷺ كما قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦) [البقرة: (٢)]

ولقد ذم الله اليهود لأنهم كتموا الحق قال - تعالى -: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُتُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) [آل عمران: (٣)] وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَلْسُتُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٢) [البقرة: (٤)]

وطلب القرآن من أهل الكتاب أن يأتوا بالدليل في أقوالهم التي ادعوها قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١) [البقرة: (٥)]

فالنص القرآني الواضح بين الخطوط العريضة في إفساح المجال للطرف

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٨، ١٤٣٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٢٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٨٥، ١٨٦.

الآخر وإعطائه الفرصة الكافية للتعبير الدقيق والأمين عن رأيه قبل أن يبدأ في الرد عليه، فإذا كان هذا الرأي أي الرأي الآخر ينطوي على شبهة حقيقية فانه يعترف بذلك بوضوح، قبل الرد عليه ردًا موضوعيًا رصينًا فيبين وجه الضعف فيه ويقيم البرهان الجاد على بطلانه فلا يستهزئ به ولا يتجاهله أو يتهكم عليه ولا جدال في أن الحوار بين العقلاء يأتي بنتيجة.

وقد حاور أحد علماء يهود، رسول الله ﷺ حواراً طويلاً.

روي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: ((كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، فَتَكْتَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: سَلْ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيَنْ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةٌ؟ قَالَ: فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَنُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: زِيَادَةُ كَيْدِ النَّوْنِ، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: يُنْحَرُ لَهُمْ تَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: مَا عَنِ الرَّجُلِ أَيْبُضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِي الرَّجُلِ مَنِي الْمَرْأَةِ، أَدْكُرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِي الْمَرْأَةِ مَنِي الرَّجُلِ، آتْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ))^(١).

وفي حوارهِ ﷺ مع بعض يهود قالوا: إن الذي ينزل عليك يا رسول الله هو جبريل؟ قال: «نعم» قالوا: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فنزل عليه ﷺ قوله - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].^(٢)

جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد ((أن نبي الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث من الخزرج، قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي قبل أن يسلم عبد الله ابن أبي أي: يتظاهر بالإسلام فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبدالله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاضة الدابة حمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله ابن أبي بن سلول: أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال: عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله؛ فاعشنا به في مجالسنا؛ فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ...، ج ١٧٣/١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٦٣/١ - ١٦٤؛

وانظر: موقع طريق الإسلام <http://iswy.co/e>، بتاريخ: ١٠/٢/١٤٤٢هـ.

والمشركون واليهود، حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حتى سكنوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته، حتى دخل على سعد بن عبادَةَ، فقال له النبي ﷺ: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا.

قال سعد بن عبادَةَ: يا رسول الله! اعف عنه واصفح؛ فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك. وقد اصطَلَحَ أهل هذه البحيرة أي: البلدة، وهي يثرب التي صارت المدينة وطيبة على أن يتوجَّوه، فَيُعَصِّبُوهُ بالعصابة أي: يتوجوا عبد الله بن أبي ملكاً عليهم، فلما أبى الله ذلك، فاتت الفرصة على عبد الله ابن أبي، وفاته الملك للإسلام الذي جاء؛ فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك، أي: غص به وكرهه فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ)).^(١)

ومن هذه الأهداف في بعض حواراته ﷺ البحث عن الرأي الأفضل من خلال (الشورى).

وجاء يهودي إلى النبي ﷺ يختبر صدقه في الدعوة، وقد ابتاع منه تمرًا إلى أجل، فطالبه قبل حلول الأجل مغلظًا، له في القول وسط القوم، فكان قوله: إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل، فهم به عمر ﷺ فمَنَعَهُ الرسول ﷺ وقال له: يا عمر أنا وهو كنا أحوج منك إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب عيادة المريض راكبًا وماشيًا وردفًا على الحمار، ج٧/٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين، ج٥/١٨٢، ١٨٣؛ وانظر: محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ٢٠٢.

الأداء، وتأميره بحسن الاقتضاء، ثم أمر بإعطائه حقه وزيادة عشرين صاعاً في مقابل ترويع عمر له، فلم يسع اليهودي إلا إعلان إسلامه.^(١)

ويمكن الاستزادة حول الحوار من خلال الكتب المتخصصة.^(٢) ومن المعلوم حوارهُ ﷺ قبيل غزوة بدر مع المهاجرين والأنصار. علم ﷺ بتحرك قريش فجمع الصحابة يستشيرهم. وكان ﷺ وهو المعصوم المسدد يستشير أصحابه دائماً لأمر مهمة، منها أمران رئيسان: الأول توحيد صفوف المسلمين وتطبيب خواطرهم، وهو أمر مهم جداً، خصوصاً مع الأنصار في هذه المرحلة، وهم أهل الدار. والثاني الوصول إلى القرار الأصوب والأحكم.^(٣)

وطرح ﷺ الأمر على جموع صحابته المرافقين له قائلاً لهم: ((أشيروا عليّ أيها الناس))، وتكلم جمع من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر ﷺ، وكان من المتكلمين المقداد بن عمرو، الذي قال: (يا رسول الله والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٤)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه).^(٥) فدعا

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٨/٢٤٠.

(٢) انظر: أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي؛ انظر: الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، ص ٢٤؛ انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، ص ٢٠.

(٣) انظر: عدنان علي رضا النحوي، الشورى وممارستها الإيمانية، الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ. (موضوعات متعددة).

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٠٢، ٦٠٣، سورة المائدة من الآية ٢٤.

(٥) انظر: حول هذه المشاورة: ابن هشام السيرة النبوية، ج ٢/٢١٥، وقارن بحديث البخاري (فتح الباري)، ج ١٥١/١٥.

له الرسول ثم قال مرة أخرى ((أشيروا عليّ أيها الناس))، وكان ﷺ يريد رأي الأنصار فهم أهل الدار، وهم الأكثرية، ويريد ﷺ أن يكسب قلوبهم ولا يتصرف إلا بقناعة منهم تحافظ على الصف المسلم، وهذا أول لقاء بين الرسول ﷺ وجنده من المهاجرين والأنصار، وبين قريش ورؤوس الكفر فيها، يلوح فيها القتال والموت، فبادر سعد بن معاذ ﷺ يقول: (لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فأجاب ﷺ: أجل، فرد سعد بالثناء على رسول الله ﷺ، وذكر لهم أنهم على عهده وقال: يا رسول الله امض لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً وإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسُرَّ على بركة الله).^(١)

فَسُرَّ رسول ﷺ بقول سعد ودعا له وللمهاجرين والأنصار، واطمأن إلى موقف جنده من اللقاء.

وكذلك حوار المشاورة الذي دار بينه وبين الحباب بن المنذر في غزوة بدر وجاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله ﷺ، وكان نزول المسلمين أدنى ماء بدر فقال متأدباً مع الرسول يعرض عليه رأياً صائباً: ((يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أنزلك الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانفض

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦١٥؛ وابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٧٧؛ وانظر: تخریج هذه الحادثة بالتفصيل عند د. أكرم العُمري: السيرة الصحيحة ج٢/٣٥٩؛ د. مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٣٤١؛ وعدنان علي رضا النحوي، الشورى وممارستها الإيمانية، ص ٨٢. (وقد اشتهدنا بالرواية - سابقا - في موضع استشهاد آخر)

بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثم نغور ما وراءه من القلب ونبني عليه حوضاً ونملؤه ماء فنشرب ولا يشربون. فدعا له الرسول ﷺ، وقال: لقد أشرت بالرأي)).^(١)

وكان هذا الموقف والحوار من الرسول القائد ﷺ مع جنده درساً عظيماً في استماع القائد إلى رأي جنده، للوصول إلى الموقف الأسلم، واتخاذ الأسباب الدنيوية والمادية مع التوكل على الله، وهو الأساس في تحركاته ﷺ.

وكان حوارهم مقروناً بتبسمه ﷺ لأصحابه في المواضع المناسبة، عن عمرو ابن عوف ﷺ شهد بدمراً مع رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيته وكان ﷺ صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة ﷺ بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافته صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: ((أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء))، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: ((فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتافسوها كما تتافسوها، وتلهيكم كما ألهمهم)).^(٢)

عن أبي سعيد الخدري قال النبي ﷺ: ((تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً

(١) من رواية ابن إسحاق، (ابن هشام)، السيرة النبوية، ج ٢/٢٠٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الحياة الدنيا، ج ٧/١٧.

لأهل الجنة فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبرك بإدامهم قال إدامهم بالأم ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً)).^(١)

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض. قيل: وما بركات الأرض قال: زهرة الدنيا. فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننا أنه ينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: أين السائل قال: أنا قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع ذلك، قال: لا يأتي الخير إلا بالخير، إن هذا المال خضرة حلوة وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم إلا آكلة الخضرة أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت الشمس فاجترت وتلظت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال حلوة، من أخذه بحقه ووضع في حقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع)).^(٢)

وقد قال ﷺ وهو يحاور أصحابه: ((أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخرج)).^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، ج٧/١٩٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الحياة الدنيا، ج٧/١٧٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، ج٧/١٧٦.

وكان الصحابة يحرصون على الاستفادة من حديثه ﷺ ويحوي محاوره أحياناً كثيرة. ورد عن أبي ذر ﷺ قال: ((خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، وليس معه إنسان. قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد. قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرأني فقال: من هذا قلت: أبو ذر جعلني الله فداءك، قال: يا أبا ذر تعاله. قال: فمشيت معه ساعة فقال: إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفتح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً. قال: فمشيت معه ساعة، فقال لي: اجلس ها هنا، قال: فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي اجلس ها هنا حتى أرجع إليك قال فانطلق في الحرة حتى لا أراه، فلبث عني فأطال اللبث، ثم إنني سمعته وهو مقبل وهو يقول: وإن سرق وإن زنى. قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يا نبي الله جعلني الله فداءك من تكلم في جانب الحرة، ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً، قال: ذلك جبريل ﷺ عرض لي في جانب الحرة. قال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قال: قلت وإن سرق وإن زنى. قال: نعم. (وإن شرب الخمر)).^(١)

وكان بعضهم يتعرض لمحاوره الرسول ﷺ، ليحصل مع الحوار على شيء آخر. عن أبي هريرة ﷺ كان يقول: ((اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدَ بِكَبْذِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدَّ الْحَجْرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ. وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يُخْرَجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتَهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتَهُ إِلَّا لِشِبْعَانِي. فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عَمْرٍ فَسَأَلْتَهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتَهُ إِلَّا لِشِبْعَانِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون، ج ١٧٦/٧، ١٧٧.

ثم مر بي أبو القاسم رضي الله عنه، فتبسم حين رأني وعرف ما في نفسي، وما في وجهي ثم قال: يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال: الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبناً في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهده لك فلان أو فلانة قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق إلى أهل الصفة. فادعهم لي قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم. ولم يتناول منها شيئاً. وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها. فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد. فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا، فاستأذنونا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت قال: يا أبا هر قلت: لبيك يا رسول الله، قال خذ فأعطهم. قال فأخذت القدر فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدر فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدر فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدر فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدر حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم. فأخذ القدر فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال: أبا هر. قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت. قلت: صدقت يا رسول الله. قال: اقعد فاشرب فقعدت فشربت. فقال: اشرب فشربت. فما زال يقول: اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا. قال: فأرني فأعطيته القدر فحمد الله وسمى وشرب (الفضلة)).^(١)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ، ج ٧/١٧٩،

وروى عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه)).^(١)

ومن حوارهِ العام ليشير الحوار مع أصحابه رضي الله عنهم ما روي عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنائز فقال: ((مستريح ومستراح منه قالوا: يا رسول ما المستريح والمستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب)).^(٢)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كنا مع النبي في قبة فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة. قلنا: نعم قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة. قلنا: نعم قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة. قلنا: نعم قال: والذي نفس محمد بيده إنني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)).^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ج٧/١٩١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ج٧/١٩٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ج٧/١٩٥، ١٩٦.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ((أصيب حارثة يوم بدر، وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع فقال: ويحك أو هبلت أو جنة واحدة؟ هي إنها جنان كثيرة وإنه لفي جنة الفردوس)).^(١)

الجدال: هو أسلوب من أساليب الاتصال والمناظرة والحديث. وهو مَصْدَرٌ قَوْلِهِمْ: جَادَلَهُ يُجَادِلُهُ جِدَالًا وَمُجَادَلَةً، وَيَدُلُّ عَلَى اسْتِرْسَالٍ يَكُونُ فِيهِ امْتِدَادٌ وَخُصُومَةٌ وَمُرَاجَعَةٌ لِلْكَلامِ، وَجَادَلَهُ نَاطِرُهُ وَخَاصَمَهُ. وقد يراد منه الْمُفَاوِضَةُ عَلَى سَبِيلِ الْمُعَالَبَةِ. كما يعني اللَّدُّ فِي الْخُصُومَةِ وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا، وَيَعْنِي الْمُخَاصِمَةَ بِمَا يَشْتَعَلُ عَنْ ظُهُورِ الْحَقِّ وَوُضُوحِهِ، وَالْجِدْلُ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَ لِلتُّقُوفِ عَلَى الْحَقِّ وَالِدِفَاعِ عَنْهُ.^(٢) وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷺ:

﴿...وَجَادَلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ۗ﴾^(٣)

والإنسان غالباً يحب الجدال والخصومة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۗ﴾^(٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۗ﴾^(٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۗ﴾^(٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أُنْتَمَ مِنْهُ تُلُودٌ ۗ﴾^(٨٠)

[يسر].^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل شهداء بدرًا، ج ٥/٩، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ج ٧/٢٠٠، ٢٠١.
 (٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١/١٠٥؛
 البخاري، صحيحه، كتاب التفسير، سورة المجادلة، ج ٦/٥٧؛
 و د. زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدال في القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
 (٣) من الآية ١٢٥ من سورة النحل؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٠٨١.
 (٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥٧٧، ١٥٧٨.

وَقَدْ يَكُونُ الْجِدَالُ مَذْمُومًا إِذَا شَغَلَ عَنِ ظَهْرِ الْحَقِّ وَوُضُوحِ الصَّوَابِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((مَا أُوتِيَ الْجِدَالَ قَوْمٌ إِلَّا ضَلُّوا)).^(١)

وقد سميت سورة من سور القرآن الكريم بالمجادلة ورد في قوله - تعالى - :
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة].^(٣)

وقد جادل إبليس عاصياً متكبراً. قال - تعالى - : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٧٤﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْلَصِينَ ٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص].^(٤)

(١) رواه الترمذي ج ٣٧٩/٥، ح رقم: ٣٢٥٣ وحسنه؛ وابن ماجه في سننه، ج ١٨/١، ح رقم: ٤٨.

(٢) انظر: محمد الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص ١٥؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٨٣٦/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢٥٦/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٦١٣/٢.

وتحدث القرآن عن جدال قوم نوح ﷺ لدعوته. قال - تعالى - ﴿ قَالُوا يَبْنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِئْنَا بِمَا نَعُدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ [هود: ١].

وعن جدال قوم نوح لنوح ﷺ. قال - تعالى - ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلْيَسِ ﴿٣٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْبُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْبُكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا زَيَّ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِيْنَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أُنزُلُكُمْ مِّمَّا هُمْ كَارِهُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلِنُكْفِيَ أَرْبَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظّٰلِمِيْنَ ﴾ (٣١) قَالُوا يَبْنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِئْنَا بِمَا نَعُدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ

النُّورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرَتَهَا وَمُرْسَتْهَا إِنْ رَجَىٰ لَعْفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ [هود]. (١)

ومحاجة الملك لإبراهيم عليه السلام قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة]. (٢)

وعن جدال قوم شعيب عليه السلام لنوح. قال - تعالى - : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿٩١﴾ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٥٣ - ٩٥٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٢٣.

ظَهْرِيًّا إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ
رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْهَا إِلَّا بَعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ
ثَمُودٌ ﴿٩٥﴾ [هود]. (١)

وقال - تعالى - : ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْفِقُونَ
﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ الْكٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾
قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ [الشعراء]. (٢)

وفي الآيات مجادلة فرعون لموسى ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كما
في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٣) إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَهَمٰنَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٦٤ - ٩٦٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٨٠.

وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمِ لَكُمْ أُمْلَكُ الْيَوْمِ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنْ أَيْنَ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأُنْتَهَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَاجِرًا أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ

٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦) وَإِذْ يَتَحَابُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ ٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ٤٩) قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا مَا دُعَوْتُمُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ٥٥) [غافراً].^(١)

وقد جادل كفار قريش ليمنعوا دعوة الحق، قال - تعالى - ﴿وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٦٩) [الحج].^(٢)

وقال - تعالى - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْيُصِرُّونَ﴾ ٦٦) الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٧٢) [غافراً].^(٣)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٣٩ - ١٦٥٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٨٦، ١٢٨٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٨.

وقال - تعالى - : ﴿يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيْنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال] (١) من الواضح من الآية أن لا جدال عن الباطل.

وقال - تعالى - : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام] (٢)

وجدال كفار قريش مع رسول الله ﷺ متعدد وكثير. وكان هدفهم الصد عن سبيل الله، ويتنزل القرآن حياً على رسول الله ﷺ في حال هؤلاء المعاندين، والرد عليهم، يرصد ما قالوا ويبادرهم برد من لدن حكيم عليم، إذا استشعر الإنسان القصة والرد الإلهي على هؤلاء علم أنه قرآن محكم منزل على رسوله، منجم حسب الحوادث، آيات تتلى إلى يوم القيامة، وقد كان أبو جهل وغيره من عتاة الكفر وأسياد مكة المتكبرين يتواصلون بعدم السماع لكتاب الله فينزل على رسوله ﷺ، قال - تعالى - : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [افصلت] (٣)

كما أنهم إذا سمعوا تكبروا، فنزل قوله - تعالى - : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [افصلت] (٤) وحاولوا أن يسخروا من الرسول ﷺ ويستتقصونه ببشريته وفعله ما يفعل الناس، فكان رد القرآن عليهم واضحاً، قال - تعالى - : ﴿وَقَالُوا مَا لِيْ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٢١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧١٥، ٧١٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥٠.

مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ [الفرقان].^(١) وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدًا فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت].^(٢) ردًا على من أنكر أن يبعث الله بشرًا. وقالوا لو كان ملكًا فرد عليهم القرآن بقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبُسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام].^(٣) وطالب بعضهم أن يكون معه ملك، فجاء قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفَظَى الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام].^(٤) وطلب أولئك المعاندون آيات وعلامات، لا بحثًا عن الحق ولكن عناد ومكابرة قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الغنكبوت].^(٥)

كما أتهم الرسول ﷺ بأنه يتعلم القرآن من بعض النصارى في مكة أو من غلمانهم، فرد عليهم القرآن الكريم بقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَاتٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].^(٦) وقد حاولوا تفريق جمع المسلمين، فاتهموا أتباع الرسول ﷺ بأنهم الضعفاء، وأردوا منه فراقهم ليجلسوا معه، فنهاه القرآن عن ذلك وأمرهم بالثبات، وأمر الرسول ﷺ بالصبر معهم فقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٥١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٥١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٧٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٧٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٤٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٦، ١٠٧٧.

﴿٥٢﴾ [الأنعام].^(١) ويتنزل القرآن حياً في كل مناسبة يرد عليهم.

واتهموا الرسول ﷺ بأنه جاء بأساطير الأولين، فقال - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا
 أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ
 الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٦﴾ [الفرقان]،^(٢)
 واتهموه بالمجنون، في قوله - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
 لَمَجْنُونٌ ﴾ ﴿٦﴾ [الحجر]،^(٣) واتهموه بأنه ساحر في قوله - تعالى - : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ
 جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ ۗ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴾ ﴿٤﴾ [الص]،^(٤) وطالبوا بأمور
 مختلفة أخرى في قوله - تعالى - : ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكْوِنُ لَهُ جَنَّةٌ
 يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ ﴿٨﴾ [الفرقان]^(٥)
 كما دافع القرآ الكريم عنه وعن استهزائهم بالنبي وذكره
 بالأنبياء قبله، وبأن من قبله من الأنبياء نالوا حظهم من الأذى، واستهزئ بهم
 من أقوامهم. قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِجَاقَ الْبٰلِغِينَ
 سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ [الأنعام].^(٦)

ومما ذكر من جدال كفار قريش للنبي ﷺ قال - تعالى - : ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ
 هَتُولَاءِ وَاَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ
 كٰفِرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٨٤، ٦٨٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٥٠، ١٣٥١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٤٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٠٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٥١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٧٧.

رَحِمَتْ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: (١)]

وقال - تعالى - : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَلْهَتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: (٢)]

وقال - تعالى - : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: (٣)]

الجدال يكون بالحسنى في الدعوة إلى الله ، حيث أمر بذلك ﷺ كما قال - تعالى - : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: (٤)]

وقال - تعالى - : ﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: (٥)]

وقال - تعالى - : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِلٍ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: (٦)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٩، ١٦٨٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٨٣، ١٦٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٦٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٨١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٠٠٦ - ١٠٠٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٨.

أمر المسلم بتجنب الجدل عموماً إلا في الدعوة للخير، أو الدفاع عنه، عن أبي أمامة الباهليؓ قال رسول الله ﷺ: ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف]).^(١)

عَنْ عَائِشَةَؓ أَنهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران]. فَقَالَ: ((يَا عَائِشَةُ إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ)).^(٢)

عَنْ عَبْدِادَةِ بْنِ الصَّامِتِؓ قَالَ: ((خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بَلِيلَةَ الْقَدْرِ فَتَلَا حَى. ^(٣) رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمُ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ فَتَلَا حَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ)).^(٤)

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الزخرف، ج ٥/٢٧٨، ٣٧٩، ح برقم: ٣٢٥٣؛ ورواه ابن ماجه في سننه، باب اجتناب البدع والجدل، ج ١/١٩، ح برقم: ٤٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٥/٢٥٢ - ٢٥٦؛ انظر: ابن كثير، في تفسيره، ج ٢/١٦٨٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات، ج ٥/١٦٦، وفيه الآية ٧ من آل عمران؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، ج ٨/٥٦ - ٥٧. وفيه من الآية ٧ من سورة آل عمران، ج ١/٣٤٩.

(٣) تلاحى تخاصم وتشاتم (ابن منظور، لسان العرب، ج ٥/٢٤٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهي من السباب واللعان، ج ٧/٨٤، ٨٥.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((استب رجلان، رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين قال فغضب المسلم عند ذلك فاطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله ﷺ: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون في أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)).^(١)

والمحاجة: نوع من الحوار وقد يكون من طرف واحد، وهو من الجدل المنهي عنه بغير علم أو حق قال - تعالى - : ﴿ هَتَانِمْ هَتُولَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦].^(٢)

وقد يتحول إلى جدل، وهو طريق الجهلة أحياناً. قال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾ [الحج: ٣].^(٣)

والمتكبرون يجادلون بلا علم ولا وجه حق يدعهم لذلك الكبر. قال - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، ج ١٩٧/٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٦١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤١، ١٦٤٢.

قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف].^(٢)

وأمر ﷺ بالتسبيح حين يضيق بما يقولون من جدل ومحاجة مبعثها الكبر والجحود، فكان ﷺ يفعل ما أمر به من التسبيح. قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يُضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [١٧] ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [١٨] ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [١٩] [الحجر].^(٣)

وقد جرت المحاجة بين رسول الله ﷺ ونصارى نجران، وإن أشرنا لشيء من قصتهم في الحوار، نذكر جانباً منها لورود النص في الآيات على محاجتهم للرسول ﷺ، فحينما قابلوا الرسول ﷺ قال: رسول الله ﷺ لأسقف نجران: ((يا أبا الحارث أسلم، فقال: إني مسلم، قال: يا أبا الحارث أسلم، قال: قد أسلمت قبلك، قال نبي الله: كذبت، منعك من الإسلام ثلاثة: دعاؤك لله ولداً، وأكلك لحم الخنزير، وشربك الخمر)).^(٤)

ودارت بينهم وبين رسول الله ﷺ مناقشات طويلة، حيث قال رئيسهم

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٤، ١٦٤٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٦١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٥٣.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩؛ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/٢٥٩؛ وعمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٥٨٣. (مر الحديث عن وفد نصارى نجران بتوسع أكثر في موضوع علمه ﷺ بالأديان) من هذه الموسوعة.

لرسول الله ﷺ تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، ثم قال أحدهم: من أبو عيسى؟ من أبو عيسى؟ فسكت النبي وكان لا يعجل حتى يكون ربه هو يأمره، فأنزل الله - تعالى عليه - قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ [آل عمران].^(١)

وفيه نزل - قوله تعالى -: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعِيَ ۖ وَقُلْ لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةِينَ أَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلُمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران].^(٣)

وفي محاجة اليهود والنصارى في إبراهيم ﷺ قال - تعالى -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران].^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧١، ٣٧٢؛ وانظر: الحمد الحواري في السيرة النبوية، ص ١٩٢؛ وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، وفد نصارى نجران.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧٢؛ وانظر: الحمد الحواري في السيرة النبوية، ص ١٩٢؛ وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، وفد نصارى نجران.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٥٧، ٣٥٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٧٣.

وقال - تعالى -: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: (١)].

وقال - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ يَحِاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ، مَجْنُونٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى: (٢)].

وقد رد إبراهيم عليه السلام على كفار قومه. قال - تعالى -: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٨٠] وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٨١] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [٨٢] وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [٨٣] [الأنعام: (٣)].

وفي يوم القيامة أشار الله ﷻ لما يجري بين الضعفاء والمستكبرين في النار. قال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ [٤٧] [غافر: (٤)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢١٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٦٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٠١، ٧٠٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٤.

ويوم القيامة تجادل كل نفس عن نفسها. قال - تعالى - : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَادِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل].^(١)

والآيات التي تتحدث عن الجدل في حياة النبي ﷺ وتوجهه وتتهديه كثيرة، منها قوله - تعالى - : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ۚ وَلَا تَمَنَّوْا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۗ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ۗ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۗ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۗ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۗ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥٠﴾﴾ [الشورى].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الشورى].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ ۗ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢٠، ٢٢١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٦٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٢٠، ٨٢١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٧٣١، ٧٣٢.

وقال - تعالى -: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد].^(١)

وقد تعلم ﷺ من قصص الأنبياء ومجادلة قومهم لهم ومحتاجتهم. وما ورد عنهم في كتاب الله. قال - تعالى -: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَجَدِلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۗ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر].^(٤)

وعن نوح ﷺ قال - تعالى -: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود].^(٥)

وعن إبراهيم ﷺ وقومه. قال - تعالى -: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ ۗ أُنْجِدُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٠٠٦، ١٠٠٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٥٩، ٥٦٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٦١، ١١٦٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٣٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٥٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٦٥، ٧٦٦.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٦١، ٩٦٢.

وقال - تعالى - ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [الحج].^(١)

وعن الرسول ﷺ قال - تعالى -: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [العنكبوت].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [القمان].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرِرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿٤﴾ [غافر].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرِفُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ [غافر].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ ﴿٣٥﴾ [الشورى].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [الزخرف].^(٧)

جاء يهود المدينة إلى رسول الله ﷺ ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنياً ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " ما تجدون في التوراة في شأن الرجم " فقالوا :

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٨٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٦٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٣٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٧٢.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٨٣.

نَفَضَحَهُمْ وَيُجْلِدُونَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا
بِالتَّوْرَةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا
بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَارْفَعْ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ،
قَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدٌ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا
فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى الْمَرَاةِ، يَقِيهَا الْحِجَارَةَ.^(١)

وقال - تعالى - ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسَسَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا
مَّعْدُودَاتٍ وَعَرَّهُمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران].^(٢)

والمناجاة من طرق الحديث والتفاهم، وتعني، السر بين اثنين أو أكثر،^(٣)
وفيها الممدوح والمذموم، وتستخدم النجوى للإسرار حتى لا يعرف الحاضرون
ما يدور بين المتاجين. وأشار الله ﷻ لعلمه بسر المتاجين. قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة].^(٥)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا
ورُفِعُوا إِلَى الْإِمَامِ، ج ٨/٣٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥/٣٠٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٣٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٩٥، ٨٩٦.

وقد تكون النجوى للعزيزمة على شر وظلم قال - تعالى - ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٣) [الأنبياء].^(١)

وقال - تعالى - ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَنِيعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧) [الإسراء].^(٢)

وقال - تعالى - ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى﴾ (٦٣) [طه].^(٣)

والنجوى تحصل بين المؤمنين، وقد نهوا عن العدوان والتناجي فيه، قال - تعالى - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٠) [المجادلة].^(٤)

وأمر الله أصحاب النبي ﷺ بتقديم صدقة عن رغبتهم في مناجاة النبي ﷺ قال - تعالى - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرَ﴾ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُو مَا نَقَمُوا وَإِلَّا أَنْ أَعْنَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْنَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٧٤) [التوبة].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٣٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٢١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢١٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٣٨، ١٨٣٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٣٥.

والمناجاة في الخير مما يرضي الله ﷻ قال - تعالى - : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) [النساء].^(١)

وقد ألفت الكتب وجمعت الدواوين في جوامع كلمه ﷺ ، وحكمه المأثورة.^(٢)

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٣٢.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب؛ وانظر: <https://islamonline.net> بتاريخ:

الخاتمة

حياة الرسول ﷺ رحمة للخلق، خُلقه القرآن ﷺ علم وتعليم، رحمة ومنطق وتصرف حكيم. ويأتي هذا المجلد للحديث عن علمه وحكمته ولغته ﷺ، وهي جزء من شمائله، أساسه ما علمه الله ﷺ ثم ما استقاه من حياته البشرية، وما تعلمه من علوم عامة كحال البشر. وكان ﷺ يسلك المنهج الصحيح للحصول على العلم.

وقبل الحديث عن علمه يأتي تعريف العلم كمصطلح، وأهمية العلم، ثم الحديث عن ما ورد في القرآن الكريم من آيات ترتبط بالعلم، وعلى رأس ذلك ما وصف الله ﷺ به نفسه ﷺ من العلم، ثم يأتي ما ورد في القرآن الكريم من حديث عن الأنبياء الذين سبقوه وعلمهم ﷺ، الذين علمهم الله ﷺ إياه من علمه، وعن ما في كتب السنة من كتب وأبواب العلم. وتضمن ذلك الحديث عن العلم في حياة رسول الله ﷺ، وعلى رأس ذلك علمه بالله وبالشريعة، وعلمه بالديانات الأخرى وعلمه ﷺ بالأمم والشعوب والقبائل، وعلمه ﷺ بالأماكن والبلدان والبقاع، ضمن الحديث عن علمه بالشعوب. كل ذلك من خلال شواهد من سنته ﷺ.

وكذلك تطرق للحديث عن علمه ﷺ بالأبدان وما يصلح لها، من نظافة وطهارة واعتدال في الأكل والشرب والراحة، وعلمه المختلف ﷺ بطبائع الناس وحياتهم وما يصلح لهم في صحتهم ومرضهم، كما يأتي عند الحديث عن علمه بالكون وما فيه من مظاهر عظمة الله ﷺ وعظيم خلقه.

ويأتي بعد ذلك الحديث عن حكمته ﷺ، تلك الحكمة التي أشار لها القرآن الكريم في الحديث عن الأنبياء الذين سبقوه، ثم الحديث مباشرة

عن الحكمة التي علمها الله ﷺ نبيه ﷺ ، وطالب الناس وعلى رأس ذلك أمهات المؤمنين والأمة أجمعين بالتعلم من حكمته ﷺ. وتتعدد المواقف كأمثلة لحكمته ﷺ سواء منها في غزواته أم في حياته أم مواقف مع أفراد بذاتها تبين حسن تصرفه لتحقيق أهدافه ﷺ التي تحققت بأفضل الطرق، وبالطبع تستمر هذه الحكمة مع رسول الله ﷺ حتى وفاته ﷺ وكانت هذه الحكمة جزء من حياته ﷺ قبل مبعثه والتعليم وفق فيها بتعليم الله ﷺ له بعد بعثته ﷺ.

ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن لغته ومنطقه. وكمنطلق لهذا الأمر يتم التطرق للتعريف باللغة في حياة الإنسان وأهميتها ومكانتها، وما ورد عنها في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة. ثم يأتي الحديث عن الإعجاز في لغة الرسول ﷺ والمحاورة في حياة الرسول ﷺ والمجادلة. ويأتي من خلال الحديث عنها ما ورد في كتاب الله ﷺ، ومن خلال ذلك يأتي الحديث عن الأساليب التي اتبعها ﷺ في تعليم الناس، وما نقله الصحابة عنه في هذا الجانب، عن تلك الأمور، مستفيداً ممن سبقني في الكتابة حول هذه الموضوعات. وضربت بعض الأمثلة التي اجتهدت في إيرادها كأدلة على إعجاز رسول الله ﷺ في حديثه المميز في أحاديثه المختلفة في مراحل حياته، في مواقفه المتعددة، وكيف استخدم اللغة المناسبة. وبالتالي فإن هذا المجلد وإن كان يتعلق بالعلم والحكمة واللغة لرسول الله ﷺ فإنها كلها مُدمجة في منطقته ﷺ وفي تصرفاته وفي سائر أحواله، وفي حكمته في دعوة الناس وربطهم بخالقهم وتعليمهم ما يلزم.

نسأل الله ﷺ أن يجمعنا به وأن يوردنا حوضه وأن لا يفتننا بعده إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـ).
- سنن أبي داود، تعليق عزت عبير، ط ١ - حمص: دار الحديث ١٣٩١هـ.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).
- كتاب الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب، ط ٥ - القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.
- ابن أبي حديدة، محمد بن علي بن أحمد الأنصاري (ت، ٧٨٣هـ).
- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورُسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تعليق أحمد فريد المزيدي - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت، ٢٣٥هـ).
- المصنف، تصحيح عبد الخالق الأفغاني - كراتشي: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.
- المغازي، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ط ١ - الرياض: دار إشبيلية ١٤٢١هـ.
- أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي (ت، ٤٥٨هـ).
- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ٣ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٤هـ.

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي (ت، ٣٠٧هـ).

- مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين أسلم أسد، ط ١ - دمشق: دار المأمون للتراث ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م).

- الكامل في التاريخ - بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

الأزدي، محمد بن عبد الله (ت، ٢٣١هـ).

- تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر - القاهرة: مؤسسة سجل العربي ١٩٨٠م.

الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت، ٢٥٠هـ).

- أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس - بيروت: دار الثقافة ١٣٩٩هـ.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المظلي (ت، ١٥١هـ).

- سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، ط ٢ - قونية تركيا: الوقف للخدمات الخيرية ١٤٠١هـ.

الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ)

- أخلاق النبي ﷺ، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، ط ١ - بيروت: ١٤٢٦هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبد الله (ت، ٤٣٠هـ).

- دلائل النبوة - القاهرة: ١٣٩٧هـ؛ ط١ - بيروت: ١٩٧٠م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ - بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت، ٣٦٩هـ).

- أخلاق النبي وآدابه، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، ط١ - عالم الكتب ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت، ١٤٢٠هـ).

- الجامع الصغير وزياداته، ط٣ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٥هـ.

- صفة صلاة النبي ﷺ، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ.

البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - الرياض: دار إشبيليا -؛ ط١ - بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).
- الرياض، دار السلام ١٤١٧هـ (بالأرقام) حسب المعجم المفهرس.
- الأدب المفرد - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦هـ.

برنابا.

- إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط١ - إربد - الأردن: دار الأمل ٢٠٠٥هـ.

- البكري، د. محمد أنور؛ طه، م. حاتم عمر
- بقيق الفرقد، ط ١- مكتبة الحلبي، ٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي (ت، ٢٥٦هـ).
- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاکر - القاهرة: مطبعة المدني ١٣٨١هـ.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).
- أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد ضمير الله، القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩م.
- أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبد العزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس - بيروت: ١٣٩٨هـ، ١٤٠٠هـ.
- فتوح البلدان - بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.
- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨هـ).
- دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
- السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ٣ - لبنان: دار الكتب العلمية ٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. (ت ٢٧٩هـ).
- أوصاف النبي، تحقيق سميح عباس، ط ١ - بيروت: دار الجيل (د. ت).

- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمود شاكر - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د.ت).
- شمائل النبي ﷺ، تحقيق ماهر ياسين فحل، ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٢٣هـ.
- الجامع الصحيح (صحيح الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د.ت).
- التلمساني، محمد بن أبي الفضل بن قاسم.
- تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار، تحقيق د. محمد البنعاوي، بيروت: دار ابن حزم ١٤٣٢هـ.
- التيمي، إسماعيل بن محمد (قوام السنة) (ت، ٥٣٥هـ).
- دلائل النبوة، تحقيق محمد الحداد، ط ١- الرياض: دار طيبة ١٤٠٩هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام (ت، ٧٢٨هـ).
- أهل الصفة وأحوالهم، دراسة وتحقيق مجدي فتحي السيد، ط ١ - طنطا: دار الصحابة للتراث ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط ٤ - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د.ت): بيروت: دار المعرفة ١٩٦٩م.
- القرمانية - قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه -، تحقيق أبي محمد أشرف عبد المقصود، ط ١- الرياض: أضواء السلف ١٤٢٢هـ.

- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط ٢ - القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٣٩٩هـ.
- منهاج السنة - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت، ٢٥٥هـ).
- التاج في أخبار الملوك، تحقيق عمرو الطباع، بيروت: دار الأرقم (د.ت).
- البيان والتبيين، لبنان: دار إحياء التراث، ودار الفكر للجميع ١٩٦٨م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن
- أسرار البلاغة، جدة والقاهرة: مطبعة المدني (د.ت).
- الجزولي، أبو عبد الله محمد بن سلمان (ت، ٨٧٠هـ).
- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي ﷺ، بيروت: المكتبة العصرية.
- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت، ٣٧٧هـ).
- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد - القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ١٩٥٥م.
- ابن جماعة، عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن بدر الدين أبي عبد الله (ت، ٧٦٧هـ).
- المختصر الصغير في سيرة رسول الله ﷺ، ط ١ - القاهرة: عين للبحوث والدراسات ٢٠٠٥م.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ).
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)
 - صفة الصفوة، ط٢ - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.
 - تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير - القاهرة: مكتبة الآداب (د.ت).
 - رسائل ورسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأشراف، تحقيق محمد عبدالرحيم، ط١ - دمشق: دار سعد الدين ١٤٢٥هـ.
 - صفة الصفوة - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.
 - فضائل بيت المقدس - بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
 - الوفاء بأحوال المصطفى - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت، ٣٩٣هـ).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ - بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ).
- المستدرک على الصحيحین بذيله التلخیص للذهبي - القاهرة: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ.
- ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي البستي (ت، ٣٥٤هـ).
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ط١ - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.

- صحيح ابن حبان، بترتيب ابن لبان تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١ - دار الرسالة العالمية ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).
- كتاب المحبر، تحقيق إيلزه شتيرليختن - بيروت: دار الآفاق (د. ت).
- كتاب المنمق في أخبار قریش، تحقيق خورشيد أحمد عالم - حيدر آباد: الهند.
- ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت، ٧٧٩هـ).
- المقتفى من سيرة المصطفى، تحقيق مصطفى الذهبي - القاهرة: دار الحديث ١٤١٦هـ.
- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة - القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.
- فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد وآخرين - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.
- تهذيب التهذيب - حيدر آباد، الهند: دائرة المعارف ١٣٢٥هـ.
- تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢ - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٥هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ - ٤٥٦هـ).
- جمهرة أنساب العرب، راجعه لجنة من العلماء، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤ - القاهرة: دار المعارف.
- حجة الوداع، تحقيق عبد الحق التركماني - بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٩هـ.
- جوامع السيرة النبوية - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.
- الحسني، أبو الطيب التقي محمد بن أحمد (ت، ٨٣٢هـ).
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد محمود الطناحي، نشر: محمد سرور الصبان، القاهرة: ١٣٨٨هـ.
- الحسيني الشافعي، تاج الدين عبد الوهاب بن عمر.
- الروض المغرس في فضائل بيت المقدس، تحقيق د زهير غانم ومحمد عبد الكريم محافظة، ط١ - عمان: دار جرير ١٤٣٠هـ.
- الحلبي، علي بن برهان الدين (ت، ٩٧٥هـ).
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (إنسان العيون) - بيروت: دار المعرفة ١٤٠٠هـ.
- حماد بن إسحاق القاضي (ت، ٢٦٧هـ).
- تركة النبي ﷺ والسبل والتي وجهها فيها، تحقيق ودراسة أكرم ضياء العمري، ط١ - المدينة المنورة: ١٤٠٤هـ.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ).
- معجم البلدان - بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت).

- ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد (ت، ٢٤١هـ).
- مسند الإمام أحمد - بيروت: المكتبة الإسلامي ١٣٩٨هـ.
 - فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط١- بيروت: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ٤٠٣هـ.
 - الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت، ٧٨٩هـ).
 - تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمود أبو سلامة، ط١ - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٠١هـ.
 - الخزرجي، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم (ت، ٩٢٣هـ).
 - خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية ١٣٠١هـ.
 - الخشني، أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود (ت، ٦٠٤هـ).
 - شرح السيرة النبوية، تحقيق بولس برونله - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
 - الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت، ١٠٦٩هـ).
 - نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض - بيروت: دار الكتب العملية ٢٠٠١م.
 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ).
 - المقدمة - بيروت: دار العلم ١٩٧٨م.

الخلاف، أبو بكر بن محمد بن محمد بن هارون (ت، ٣١١هـ).

- الحث على التجارة والصناعة والعمل، ط ١ - الرياض: دار العاصمة
١٤٠٧هـ.

خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ - ٢٤٠هـ).

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط ٢ - بيروت:
مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.

الخيزري، محمد بن محمد بن عبد الله (ت، ٨٩٢هـ).

- اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، تحقيق محمد الأمين الجكني،
ط ١ - المدينة المنورة وبريدة: دار البخاري ١٤١٥هـ.

الدارمي، أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت، ٢٥٥هـ).

- سنن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، (د. م) و (د. ت).

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت، ٨٠٨هـ).

- حياة الحيوان الكبرى، ط ٢ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ.

ابن أبي الدنيا البغدادي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد.

- الصمت وآداب اللسان - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (ت، ٣١٠هـ).

- الذرية الطاهرة النبوية، تحقيق سعد المبارك الحسن، ط ١ - الكويت:
الدار السلفية ١٤٠٧هـ.

- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت، ٩٤٤هـ).
- حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق عبد الله الأنصاري ط٢ - مكة المكرمة: المكتبة المكية ١٤١٣هـ.
 - الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت، ٢٨٢هـ).
 - الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عمار، مراجعة: جمال الدين الشيال - بغداد: مكتبة المثني (د.ت).
 - الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).
 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد الراشدين)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ - بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.
 - سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.
 - السيرة النبوية، تحقيق حسام الدين القدسي - بيروت: دار ومكتبة الهلال.
 - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
 - مختار الصحاح - القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٩م.
 - ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت، ٧٩٥هـ).
 - التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تحقيق بشير محمد عيون، ط٢ - الطائف: مكتبة المؤيد ١٤٠٩هـ.
 - الاستخراج في أحكام الخراج - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.

- مجالس في سيرة النبي، تحقيق ياسين محمد السواس ومحمود الأرنؤوط، ط ١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٠٨هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق ماهر ياسين بن فضل، ط ٢ - القاهرة: الدار العالمية للنشر ١٤٣٧هـ.
- ابن زبالة، محمد الحسن (ت، ١٩٩هـ).
- أخبار المدينة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز بن زين سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة ١٤٢٤هـ.
- منتخب من كتاب أزواج النبي، تحقيق د. أكرم العمري، ط ١ - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٨١م.
- الزبيدي، أبو الفضل محمد مرتضى (ت، ١٢٠٥هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس، ط ١ - القاهرة: المكتبة الخيرية ١٣٠٦هـ.
- الزبير بن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن عوام الأسدي القرشي (ت، ٢٥٦هـ).
- جمهرة نسب قریش، تحقيق سامي مكّي العاني، ط ٢ - بيروت: عالم الكتب ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ابن الزبير، عروة بن الزبير بن العوام (ت، ٩٣هـ).
- مغازي رسول الله ﷺ (أول سيرة في الإسلام)، جمع سلوى مرسي الطاهر، ط ١ - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٥م.

- الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (١٥٦-٢٣٦هـ).
- نسب قریش، تحقیق لینی بروفسال، ط٣ - القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.
- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت، ١١٢٢هـ).
- شرح المواهب اللدنية، تحقیق محمد عبد العزيز الخالدي - بيروت: دار الكتب ١٤١٧هـ.
- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت، ٣٩٥هـ).
- سيرة النبي ﷺ المختصرة تحقیق محمد كمال الدين عز الدين، ط١ - بيروت: عالم الكتب ١٤٠٩هـ.
- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر.
- أساس البلاغة - بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.
- ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة الأذري (ت، ٢٥١هـ).
- الأموال، تحقیق شاكر ديب فياض، ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ١٤٠٦هـ.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت، ٩٠٢هـ).
- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ط١ - المدينة المنورة: مؤسسة الريان ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠هـ).
- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ط١ - القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٩هـ.

- سنن النبي ﷺ وأيامه، استخرجه ورتبه عبد السلام محمد عمر علوش، ط ١ - المكتب الإسلامي ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- الطبقات الكبرى - بيروت: دار صادر (د.ت).
السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي.
- مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور - بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت، ٢٢٤هـ).
- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط ٢ - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت، ٥٦٢هـ).
- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي، ط ١ - بيروت: منشورات محمد أمين دمج ١٤٠٠هـ.
- الأنساب، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط ١ - بيروت: منشورات محمد أمين دمج ١٤٠١هـ.
- فضائل الشام، تحقيق عمر علي عمرو - دمشق: دار الثقافة العربية ١٤١٢هـ.
- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت، ٩١١هـ).
- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٣ - بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.
- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت، ٥٨١هـ).
- الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط طه عبد الرؤوف سعد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى (ت، ٧٣٤هـ).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط٢. دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).

- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).

- الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، تحقيق محمد السعيد بسيوني - بيروت: دار الكتب العلمية.

- مسانيد أمهات المؤمنين، تحقيق محمد غوث الندوي - الهند: الدار السلفية ١٤٠٣هـ.

ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت، ٢٦٤هـ).

- تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت - المدينة المنورة: نشرة السيد حبيب محمود أحمد ١٣٩٣هـ.

الصالحى الشامى، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).

- أزواج النبي ﷺ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤١٣هـ.

- سبل الهدى والرشاد في هدى خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد وآخرين - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ - ١٣٩٩هـ.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت، ٣٦٠هـ).
- المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢ - مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ.
 - المعجم الصغير، تحقيق وتعليق توفيق بن عبد الله الزنتاني.
 - المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله ومحمد الحسني، ط١ - الرياض: دار الحرمين ١٤١٥هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).
- تاريخ الأمم والملوك - بيروت: دار الفكر (د.ت).
 - السيرة النبوية، تحقيق جمال بدران، ط١- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
 - تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط١- بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ.
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري.
- أخلاق النبي ﷺ، تحقيق نور الدين بن محمد الحميدي الإدريسي، ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ٢٠١٧م.
- ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي (ت، ٩٥٣هـ).
- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ضمن كتاب المصباح المضيء في كتاب النبي لابن أبي حديدة، تعليق أحمد فريد المزيدي، ط١- بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ.

- العباسي، أحمد بن عبد الحميد.
- عمدة الأخبار في مدينة المختار، ضبط محمد الطيب الأنصاري وحمد الجاسر، ط٤ - المدينة المنورة: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (د.ت).
- ابن عبدربه الأندلسي، الفقيه أحمد بن محمد (ت، ٣٢٨هـ).
- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، بيروت: دار الفكر.
- عبد الرزاق، يوسف.
- معالم دار الهجرة - المدينة: عالم النهضة الحديثة ٤٠١هـ.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (حاشية على الإصابة) - القاهرة: ١٣٢٨هـ.
- الدرر في اختصار المغازي والسير - مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع (د.ت).
- ابن عبد الحكم، القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت، ٢٥٧هـ).
- فتوح مصر وأخبارها - لايدن: ١٩٢٠م.
- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت، ٢١١هـ).
- مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط٢ - بيروت: المكتب الإسلامي ٤٠٣هـ.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ - ٥٧١هـ).
- تاريخ دمشق، صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق مكمله من القاهرة وإسطنبول - المدينة المنورة: مكتبة الدار ٤٠٧هـ.

- تاريخ دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينه الشهابي، ط١- دمشق: المجمع العلمي ١٩٨٢م.

ابن العماد الشافعي، شهاب الدين أحمد (ت، ٨٦٧هـ).

- التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان، تحقيق أبي عبد الرحمن عبد الكريم بن رسمي الدريني، ط١ - الرياض: دار ابن القيم ١٤٣٠هـ.
ابن عمر، زين الدين أبو بكر بن الحسين.

- تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ط١ - المدينة: الشاملة الذهبية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- تحقيق النصره في تلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد، ط٢ - المكتبة العلمية بالمدينة ١٤٠١هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد

- إحياء علوم الدين، بيروت لبنان: دار المعرفة (د.ت).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت، ٣٩٥هـ).

- أسماء النبي ﷺ ومعانيها - الرياض: عالم الكتب ١٤٠٨هـ.

الفاكهي، أبو عبد الله أحمد بن إسحاق (٢٧٩هـ تقريباً).

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١ - مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة ١٤٠٧هـ.

الضريابي، جعفر بن محمد (ت، ٣٠١هـ).

- دلائل النبوة، ومعه المستخرج على دلائل النبوة، تحقيق عامر حسن حسني، ط١ - مكة المكرمة: دار حراء ١٤٠٦هـ.

ابن فهد، النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد فهد (٨١٢ - ٨٨٥هـ).

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، ط١- مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٧هـ).

- الصلوات والبشر في الصلاة على خير البشر، حققه وعلق عليه محمد نور الدين عدنان الجزائري، عبد القادر الخياري، محمد مطيع الحافظ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

- القاموس المحيط، ط٢ - القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

القاري، علي بن سلطان الملا علي (ت، ١٠١٤هـ).

- شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا، تحقيق عبد الله محمد خليلي، ط١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ).

- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت، ٦٢٠هـ).

- مختصر منهاج القاصدين، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دمشق، بيروت: مكتبة دار البيان ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

القرشي، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي (ت، ٩٢٢هـ).

- غاية المرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق فهد محمد شلتوت، ط ١ - مكة المكرمة: مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ.

القرطبي، عبد الله بن محمد بن فرج المالكي (ت، ٤٩٧هـ).

- أفضية رسول الله ﷺ - الدوحة: مطابع قطر الوطنية (د.ت).

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت، ٦٧١هـ).

- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ.

القزويني الخطيب، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ابن محمد

- الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبديع، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

القسطلاني، أحمد بن محمد (ت، ٩٢٣هـ).

- المواهب اللدنية، تحقيق مأمون محيي الدين الجنان، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ.

القسطيني، أبو العباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ (ت، ٨١٠هـ).

- وسيلة الإسلام بالنبي ﷺ، تعليق سليمان الصيد المحامي، ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٤هـ.

القلقشندي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت، ٨٦٧هـ).

- الإسراء والمعراج - القاهرة: ١٣٥٧هـ.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت، ٨٢١هـ).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د.ت).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١هـ).

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت: دار الفكر العربي (د.ت).

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق عبد القادر وشعيب الأرنؤوط ط٢ - الرياض: مكتبة المؤيد.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق زائد بن عبد الله النشيري، مكتبة المؤيد، الرياض.

- زاد المعاد في هدي خير العباد - بيروت: المكتبة العلمية (د.ت).

- الطب النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق وآخرين - الرياض: مكتبة الرياض الحديثة (د.ت).

- الطب النبوي، تعليق وتخريج د. عادل الأزهرري، ومحمد الفرج العقدة، مكتبة الرياض الحديثة (د.ت).

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).

- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط٢ - القاهرة: دار السلفية ١٣٩٤هـ.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط٣ - دمشق، بيروت: دار ابن كثير ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق محمد عبدالرحمن العريفي وآخرين، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١ - مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٢ - بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٩٣هـ.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).
- البداية والنهاية، ط٣ - بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.
- تفسير القرآن العظيم، ط٢ - الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ.
- حجة الوداع، تحقيق خالد أبو صالح، ط١ - الرياض: دار الوطن ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦هـ.
- شمائل الرسول ﷺ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١ - القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ٢٠١٠م.
- الفصول في اختصار سيرة الرسول، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، ط١ - دمشق: مؤسسة علوم القرآن ١٣٩٩هـ.
- ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ).
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة: ١٣٧٣هـ.

- مالك بن أنس، الإمام (ت، ١٧٩هـ).
- الموطأ، مراجعة فاروق سعد، ط ٨ - بيروت: دار الآفاق الجديدة ٤٠١هـ.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٤٥٠هـ).
- الأحكام السلطانية - بيروت: دار الفكر (د.ت).
- أعلام النبوة - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت، ٢٠٩هـ).
- أزواج النبي ﷺ، تحقيق يوسف علي بديوي - بيروت: مكتبة التربية ٤١٠هـ.
- المحب الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله (ت، ٦٩٤هـ).
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط ٢ - القاهرة: مكتبة الخانجي ٣٧٢هـ.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق أسعد داغر، دار الهجرة ٤٠٩هـ.
- مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).
- الجامع الصحيح - بيروت: دار الآفاق الجديدة (د.ت).
- المطري، جمال الدين محمد بن أحمد (ت، ٧٤١هـ).
- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، المدينة المنورة: المكتبة العلمية ٤٠٢هـ.

- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق د. سليمان الرحيلي، داره الملك عبد العزيز ١٤٢٦هـ.
- المقريزي، أحمد بن علي (ت، ٨٤٥هـ).
- إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، حققه: محمود محمد شاكر - القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ابن الملتن الشافعي، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ت، ٨٠٤هـ).
- خصائص النبي ﷺ، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، ط١- القاهرة: مكتبة أبي حذيفة السلفي ١٤٢١هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ).
- لسان العرب - بيروت: دار صادر (د. ت).
- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس، ورياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١ - دمشق، سوريا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ١٤٠٢هـ / ١٩٨٤م.
- ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود (ت، ٦٤٣هـ).
- أخبار مدينة الرسول، تحقيق صالح محمد جمال، ط٣ - مكة المكرمة: دار الثقافة ١٤٠١هـ.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ - ٣٠٣هـ).
- سنن النسائي، (الكبرى) بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي - بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.

- كتاب الوفاة، وفاة النبي ﷺ، تحقيق دار الفتح، ط١- الشارقة: دار الفتح ١٤١٥هـ.
- خصائص عليّ ﷺ - الكويت: مكتبة المعلا ٢٠٠٩م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرين - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).
- السيرة النبوية، حققها: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي - القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د.ت).
- الهمداني، عبد الجبار بن أحمد (ت، ٤١٥هـ).
- تثبيت دلائل النبوة - شبرا، القاهرة: دار المصطفى ٢٠٠٦م.
- الهيثمي، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت، ٩٧٤هـ).
- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، تحقيق أبي الفوارس أحمد بن فريد المزيدي، ط١- بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت، ٨٠٧هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.
- الواحدي النيسابور، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد (ت، ٤٦٨هـ).
- أسباب النزول، تحقيق كمال بسيوني زغلول - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

- الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).
- المغازي، تحقيق مارسدن جونز - بيروت: عالم الكتب (د. ت).
- اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت، ٥٤٤هـ).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت، ٢٨٢هـ).
- تاريخ اليعقوبي - بيروت: دار صادر ١٣٧٩هـ.
- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، الموصلي التميمي.
- مسند أبي يعلى، ط ١ - تحقيق حسين سليم أسد، ط ١ - دمشق: دار المأمون ١٤٠٤هـ.

ثانياً: المراجع:

آرمسترنج، كارين.

- سيرة النبي محمد، ترجمة د. فاطمة نصر د. محمد عناني، ط ٢ - القاهرة: شركة سطور ١٩٩٧م.

إبراهيم، محمد إبراهيم محمد.

- الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

إبراهيم، محمد يسري.

- سلسلة فتاويل السيرة، ط ١ - الرياض: دار اليسر ٢٠١٥م.

أبو إسحاق، رفائيل.

- تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا - بغداد: ١٩٧٦م.

أبو خليل، شوقي.

- أطلس السيرة النبوية، ط ٢ - دمشق: دار الفكر ١٤٢٣هـ.

- دراسة في السيرة، ط ١٥ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.

- المستشرقون والسيرة - الدوحة: دار الثقافة ١٤١٠هـ.

إدريس، عبد الله بن عبد العزيز.

- مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، ط ١ - جامعة الملك سعود ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

أبو داهش، د. عبد الله بن محمد.

- شعراء حول الرسول ﷺ، ط ١ - الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

أبو زهرة، محمد.

- خاتم النبيين، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني - قطر:
٢٠٠٨م.

أبو شهبه، محمد بن محمد بن سويلم (ت، ١٤٠٣هـ).

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط ٧ - دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ /
٢٠٠٣م.

أبو صالح، خالد مصطفى.

- مرض النبي ووفاته وأثر ذلك على الأمة، ط ١ - الرياض: دار الوطن
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

أبو غدة، عبد الفتاح.

- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط ١ -
حلب: ١٤١٧هـ.

أبو فارس، محمد عبد القادر.

- في ظلال السيرة النبوية، الإسراء والمعراج - عمّان الأردن: دار الفرقان
للنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ.

- في ظلال السيرة النبوية، الصراع مع اليهود - دار الفرقان ١٤٠٩هـ.

- في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية، ط١- عمان: دار الفرقان ١٤٠٢هـ.
- غزوة الحديبية - عمان الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ.
فارس، معز الإسلام عزت.
- الغذاء في القرآن الكريم من منظور علم التغذية الحديث، جامعة حائل ١٤٣٦هـ
أحمد، إبراهيم خليل.
- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - الكويت: دار المنار ١٤٠٩هـ.
أرنولد، سير توماس.
- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين - القاهرة: ١٩٧٠م.
إسحاق، رشيد محمد هارون.
- صحيفة المدينة، رسالة ماجستير- الرياض: جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ.
الأعظمي، محمد لقمان الأعظمي.
- مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ - دار الاعتصام ١٩٨٩م.
الأعظمي، محمد مصطفى.
- كُتَابُ النَّبِيِّ، ط١- بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ.
الأغا، مسعود يحيي.
- الإقطاع الإسلامي في العصر النبوي ط٢ - السعودية، الرياض: الجمعية التاريخية ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

الأفغاني، سعيد.

- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٣ - بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.
- عائشة والسياسة، ط ٢ - دمشق: المكتبة الهاشمية ١٩٥٧م.

الألباني، محمد ناصر.

- مختصر الشمائل المحمدية، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني - عمّان الأردن: المكتبة الإسلامية - بالرياض: مكتبة المعارف ١٤٢١هـ.

الألمعي، زاهر بن عواض.

- مناهج الجدل في القرآن الكريم، ط ٣ - ١٤٠٤هـ.

الألوسي، محمود شكري.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مراجعة: محمد بهجة الأثري، ط ٢ - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).

الأنصاري، إسماعيل.

- الإسراء والمعراج من تفسير ابن كثير. (تجريد وترتيب وتعليق) - الرياض: دار الصميعي ١٤٢٨هـ.

الأنصاري، عبد القدوس.

- طريق الهجرة النبوية ط ١ - جدة: مطابع الروضة ١٣٩٨م.

الأنصاري، ناجي محمد حسن.

- عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، ط ١ - المدينة المنورة: النادي الأدبي ١٤١٦هـ.

- أنيس، د. إبراهيم، وآخرون.
- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية القاهرة - إسطنبول: المكتبة الإسلامية (د. ت).
- أوهنا، إدريس
- أسلوب الحوار في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٤٢٦هـ
- بارتولد، فاسيلي فلاديمير.
- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، ط٤ - القاهرة: دار المعارف ١٩٦٦م.
- البار، محمد علي
- موسوعة الطب النبوي، وزارة الصحة، المركز الوطني للطب البديل، الرياض، ١٤٣٧هـ.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (ت، ١٤٢٠هـ).
- صفة صلاة النبي ﷺ ويليها وجوب الصلاة مع الجماعة، الرياض: مدار الوطن للنشر. (د. ت).
- باشميل، محمد أحمد.
- صلح الحديبية. تقديم عبد الله التل - بيروت: دار الفكر ١٩٨٣م.
- غزوة الأحزاب - بيروت: دار الفكر ١٩٨٧م.
- غزوة بدر الكبرى - بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.
- غزوة تبوك - بيروت: دار الفكر ١٩٧٨م.

- غزوة حنين، ط ١ - بيروت: دار الفكر ١٩٨٣م.
 - غزوة خيبر، ط ٣ - بيروت: دار الفكر ١٣٩١م.
 - غزوة بني قريظة، ط ١ - بيروت: دار الفكر ١٩٧٦م.
 - غزوة مؤتة - بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.
 - فتح مكة - بيروت: دار الفكر ١٣٩٤هـ.
 - من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة أحد، تقديم محمود شيت خطاب ط ٢ - القاهرة: المطبعة السلفية ١٤٠٥هـ.
 - العرب في الشام قبل الإسلام، ط ١ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٣هـ.
- باقادر، عبد الله بن أحمد.
- الكفاءات الإدارية في السياسة الشرعية - جدة: دار المجتمع ١٤٠٦هـ.
- الباكري، حسين بن أحمد.
- مرويات غزوة أحد. جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدراسات العليا شعبه السنة، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ.
- البداح، خالد محمد
- فقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة (الأسس والأهداف والوسائل) مركز " تدوين " للبحوث والدراسات الحديثية، بريدة، ١٤٣٤هـ.
- بدران عبد القادر.
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ط ١ - بيروت: دار المسيرة ١٣٩٩هـ.

البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط ٥ - بيروت: مؤسسة الرسالة
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

البيستي، أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي.

- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صححه وعلقّ عليه الحافظ السيد عزيز
بك وجماعة من العلماء، ط ١ - مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ /
١٩٨٧م.

بفانمولر، جوستاف.

- سيرة النبي في تصورات الغربيين، ترجمة محمود حمدي قنديل، ط ١ -
البحرين: مكتبة ابن تيمية ١٤٠٦هـ.
بل، أيدرس هـ.

- مصر من الإسكندر حتى الفتح العربي دراسة، ترجمة عبد اللطيف
أحمد علي - القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٨٨م.

البلادي، عاتق بن غيث.

- أودية مكة المكرمة، ط ١ - دار مكة: ١٤٠٥هـ.
- على طريق الهجرة، رحلات في قلب الحجاز - مكة: دار مكة ١٣٩٨م.
- معالم مكة التاريخية والأثرية، ط ٢ - مكة: دار مكة.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط ١ - دار مكة ١٤٠٢هـ.

البلوي، سلامة محمد الهريفي.

- رعاية الضعفاء في الحضارة الإسلامية، المنتدى الإسلامي الشارقة
١٤٣٥هـ.

آل بو طامي، أحمد بن حجر.

- الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب - الدوحة: مكتبة
الثقافة ١٣٩٧هـ.

البوطي، محمد سعيد رمضان.

- فقه السيرة - دمشق: دار الفكر ٢٠٠٨م.

البيتي، عبد العزيز بن عمر.

- الإدارة الدستورية في عهد النبوة - المدينة: الجامعة الإسلامية ١٤١٦هـ.

الترماني، عبد السلام.

- أزمنة التاريخ الإسلامي، الجزء الأول، المجلد الأول (أهم أحداث التاريخ
الإسلامي) - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٤٠٢هـ.

التسماني، عمر.

- شهيد المحراب - القاهرة: دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي.

- حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة - الرياض: أضواء السلف
١٤١١هـ.

الثعالبي، عبد العزيز.

- محاضرات في تاريخ الأديان - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧م.

- معجزة محمد رسول الله، مراجعة محمد اليعلاوي - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٩م.
جاد، أحمد.
- وفاة الحبيب وما كان في الأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ - القاهرة: دار الغد ٢٠٠٣م.
الجبري، عبد المتعال محمد.
- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين - القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٨٩م.
الجزائري، أبو بكر.
- منهاج المسلم - الرياض: دار السلام ١٤٢٣هـ.
- هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب - المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ٢٠٠١م.
جمعة، أحمد خليل.
- نساء أهل البيت، ط٢ - دمشق: دار اليمامة ١٩٩٦م.
الجميل، محمد بن فارس.
- النبي ﷺ ويهود المدينة، ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ٢٠٠٢م.
- أسماء الرسول ﷺ ومعانيها، تحقيق ماجد حسن الذهبي، عالم الكتب ١٤٠٨هـ.
حافظ، عبد السلام.
- المدينة المنورة في التاريخ، ط٢ - المدينة: النادي الأدبي ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

الحجيلي، عبد الله بن محمد.

- الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام، دراسة فقهية تاريخية وثائقية - المدينة المنورة: أعمال ندوة المكتبات الوقفية ١٩٩٩م.

الحداد، أحمد عبد العزيز بن قاسم.

- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ط ٢ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

الحري، محمد بن أحمد بن ناصر.

- اقرأ باسم ربك، ط ١ - جازان: نادي جازان الأدبي ١٤٢٣هـ.

حركات، إبراهيم.

- السياسة والمجتمع في العصر النبوي - بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٩٩٠م.

الحضرمي، عبد الرحمن بن محمد.

- مقدمة ابن خلدون، ط ٤ - بيروت: دار الهلال ١٣٩٨هـ.

الحليسي، نواف بن صالح.

- رحلة الشتاء والصيف - قريش ومنهجها الاقتصادي والتجاري، ط ١ -

الرياض: (د.م) ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

حمادة، فاروق.

- خطبة الفتح الأعظم "فتح مكة المكرمة" - مكة: دار الثقافة ١٩٨٣م.

- العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ١ -

دمشق: دار الفكر ١٤٢٦هـ.

- مراجع مختارة عن حياة الرسول ﷺ - الرياض: دار العلوم ١٩٨٢م.

- مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط ١ - بيروت: دار القلم ١٤٢٥هـ.
- الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع - بيروت: دار القلم ١٤٢٣هـ.
- الحمد، محمد بن إبراهيم.
- الحوار في السيرة النبوية - الكويت: وزارة الأوقاف ١٤٢٩هـ.
- حمدان، نذير.
- الرسول في كتابات المستشرقين، ط ٢ - جدة: دار المنارة ١٤٠٦هـ.
- ابن حميد، صالح بن عبد الله، وعبد الرحمن بن ملوح - إشراف مع مجموعة من المختصين.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ط ٢ - جدة: دار الوسيلة ١٤٣١هـ.
- حميد، صالح بن عبد الله.
- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ط ١ - جدة، مكة: دار المنارة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- حميد الله، محمد.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٤ - بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ.
- الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله.
- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، جامعة أم القرى (د.ت).

خاطر، خليل إبراهيم ملا.

- محبة النبي ﷺ بين الإنسان والجماد - حلب: دار القلم العربي ١٤١٨هـ.

الخالدي، عبد الله بن صالح، وعبد اللطيف بن محمد الحسن.

- محبة النبي ﷺ وتعظيمه، ط ١ - الرياض: دار البيان ١٤٢٦هـ.

الخشاب، يحيى.

- التقاء الحضارتين الفارسية والعربية - القاهرة: جامعة الدول العربية

١٩٦٩م.

- تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام - القاهرة: (د.ت).

خضر، محمد سلام.

- البلاغة العُمرية مبرة الآل والأصحاب، ط ١ - الكويت: ٢٠١٤م.

خطاب، محمود شيت.

- دروس عسكرية من السيرة النبوية، ط ٦ - بيروت: دار الفكر ٢٠٠٢م.

- الرسول القائد، ط ٢ - القاهرة: دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة

١٩٦٠م.

- الوسيط في دور المسجد في الإسلام، بيروت: دار القرآن ١٤٠١هـ.

الخطراوي، محمد العيد.

- المدينة في العصر الجاهلي، الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية

والدينية - جدة: مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٣هـ.



الخطيب، عبد الكريم.

- النبي محمد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء - بيروت: دار المعرفة ١٩٧٥م.

الخطيب، علي أحمد.

- التفسير الإعلامي للسيرة النبوية - بيروت: دار الجيل ١٩٩٢م.

الخميس، عثمان محمد.

- كنوز السيرة، ط٢- الكويت: غراس للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

الخولي، محمد عبد العزيز.

- الأدب النبوي، ط١- بيروت: دار القلم ١٤٠٦هـ.

الخيارى، أحمد ياسين الخيارى.

- تاريخ ومعالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، تحقيق عبيد الله كردي،

ط١- المدينة المنورة: النادي الأدبي ١٤١٠هـ.

خياط، عبد الله.

- حكم وأحكام من السيرة النبوية - الرياض: دار الرفاعي ١٩٨١م.

داود، عبد الأحد.

- محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ترجمة حمد فهد

الزين، ط١ - الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ.

الدرع، محمد خير.

- نبي الإسلام: شخصيته - حياته - رسالته، ط١- دمشق: دار الفكر

٢٠٠٢م.

درمنغم إميل.

- حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٩م.

دروزة، محمد عزة.

- سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم - بيروت: المكتبة العصرية (د.ت).

- عصر النبي وبيئته قبل البعثة، ط٢- بيروت: دار اليقظة ١٣٨٤هـ.

الدملوجي، فاروق.

- تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة - بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

الدمنهوري، عادل عبد الغفور عبد الغني.

- مرويات السيرة النبوية في العهد المكي إلى نهاية حديث الإسراء والمعراج رسالة ماجستير- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٩هـ.

- مرويات عروة بن الزبير في السير والمغازي جمع ودراسة، رسالة دكتوراه- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤١٤هـ.

- الدمياطي، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف.

- السيرة النبوية، تحقيق أسعد محمد الطيب - حلب: دار الصابوني ١٤١٦هـ.

الدميري، مصطفى.

- العلاقات العامة في عصر النبوة - مكة المكرمة: مكتبة المنارة ١٩٨٨م.

ابن دهبش، منيرة بنت عبد الملك.

- دور المسجد في القرن الأول الهجري، ط١- مكة المكرمة: مكتبة الأسدى ١٤٢٥هـ.

ديدات، أحمد.

- ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟ ترجمة إبراهيم خليل أحمد، موقع (www.4shared.com).

ديورانت، ول.

- قصة الحضارة ج ٢ م ١ (الشرق الأدنى القديم)، ترجمة أحمد بدران، ط٢ - القاهرة: ١٩٦١م.

دينه، فونس اتين (ناصر الدين).

- محمد رسول الله، تقديم شيخ الأزهر - القاهرة: ١٩٥٦م.

الرافعى، مصطفى صادق.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى، نسق البلاغة النبوية، ط٨ - بيروت: دار الكتاب العربى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥م.

الرافعى، مصطفى بن محمد بن عبد الله العلوى.

- إتحاف المؤمنين بتاريخ مسجد خاتم المرسلين - المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٤٠٤هـ.

الراوى، محمد.

- المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة، ط٢ - الرياض: العبيكان ١٤٢٧هـ.

رزق الله، أحمد مهدي.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط ١ - الرياض: مركز الملك فيصل ١٤١٢هـ.

- صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، ط ١ - دار إمام الدعوة ١٤٢٧هـ.

الرحيلي، عبد الله

- قواعد ومتطلبات في أصول الحوار ورد الشبهات - الرياض: دار المسلم ١٤١٤هـ

رستم، أسد.

- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط ١ - بيروت: دار الكشوف ١٩٥٦م.

الرشيد، عبد الله محمد.

- القيادة العسكرية في عهد الرسول، الرياض: دار المعارف ١٩٨٧م.

الرشيد، ناصر بن سعد.

- سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشأته وموقعه، ط ١ - القاهرة: دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

رضا، محمد رشيد.

- خلاصة السيرة المحمدية - القاهرة: دار النشر للجامعات ١٤٣٠هـ.

- السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة - بيروت: الكتاب الإسلامي ١٩٨١م.
- محمد رسول الله - بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.
- الوحي المحمدي - القاهرة: دار المنار ١٣٦٧هـ.
- الرفاعي، صالح بن حامد سعيد.
- الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ط١- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية - مجمع المصحف ١٤١٣هـ.
- الرفاعي، عبد العزيز.
- الرسول كأنك تراه، حديث أم معبد - دار الرفاعي ١٤٠٣هـ.
- رنسيمان، ستيفن.
- الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م.
- زايد، فهد خليل
- فن الحوار والإقناع، ط١- الأردن: دار النفائس ١٤٢٤هـ.
- الزركلي، خير بن محمود بن محمد.
- الأعلام، قاموس تراجم، ط٥ - بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م
- زغلول، محمد السعيد بسيوني.
- موسوعة أطراف الحديث، بيروت: عالم التراث ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

زمزمي، يحيى.

- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ط ٣ - الدمام: دار المعالي ١٤٢٨ هـ.

الزيد، زيد بن عبد الكريم.

- فقه السيرة، ط ٣- الرياض: دار التدمرية ١٤٢٨ هـ.

الزين، سميح عاطف.

- خاتم النبيين محمد، ط ٢ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ.

زينو، محمد بن جميل.

- قطوف من الشمائل المحمدية - الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية - إدارة الثقافة الإسلامية ٢٠٠٩ م.

سالم، السيد عبد العزيز.

- دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام - بيروت: دار النهضة ١٩٧٣ م.

سالم، عبد الله نجيب.

- ابتسامات نبوية، ط ١- الكويت: دار اقرأ ١٤٢٧ هـ.

سالم، عطية محمد.

- وصايا الرسول - الأردن: دار الجوهرة ١٤٢٦ هـ.

السامرائي، ثائر حامد محمد و خليل إبراهيم السامرائي.

- المظاهر الحضارية للمدينة النبوية في عصر النبوة (١ - ١١ هـ) - الموصل: مطبعة الزهراء الحديثة ١٤٠٥ هـ.

السباعي، مصطفى.

- السيرة النبوية دروس وعبر، ط٩- القاهرة: دار السلام ١٤٢٨هـ.

السحار، عبد الحميد جودة.

- السيرة النبوية محمد رسول الله والذين معه، وفاة الرسول - القاهرة ١٩٦٥م.

- مولد الرسول - القاهرة: ١٩٦٥م.

سرور، محمد جمال.

- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد - القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٣م.

سزكين، فؤاد.

- تاريخ التراث العربي، المجلد الأول الجزء الأول (علوم القرآن والحديث)، والمجلد الثاني الجزء الثاني (التدوين التاريخي)، ترجمة محمود فهمي حجازي - الرياض: جامعة الإمام ١٤٠٣هـ.

السعداوي، محمد حمزة.

- أولاد النبي - مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ١٩٨٧م.

السعدوني، مساعد بن فهد.

- وسوم الإبل في الجزيرة العربية - بادية وحاضرة، الرياض: مطابع الحميضي ٢٠٠٥م.

سعيد، همام وآخرون.

- موسوعة أحاديث الشمائل النبوية، مركز دراسات السنة النبوية، سلسلة التصنيف الموضوعي للسنة رقم (٣)، ط ١ - مجلة البيان ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

السقا، أحمد حجازي.

- غصن الرب في سفر أشعيا النبي.
- نبوة محمد في الكتاب المقدس، ط ١ - القاهرة: دار الفكر العربي ١٣٩٨هـ.

سكاكيني، وداد.

- أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ - القاهرة: ١٩٤٥م.

السلفي، محمد لقمان.

- الصادق الأمين ﷺ، ط ١ - الرياض: دار الداعي ١٤٢٧هـ.
سليمة، محمد موفق.

- بنات النبي - دمشق: دار الهدى للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ.

السندي، أكرم حسين.

- مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة، رسالة ماجستير، كلية الحديث - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٠هـ.

السندي، عبد القادر بن حبيب الله.

- الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك - الكويت: مكتبة المعلا ١٤٠٦هـ.

السنيدي، عبد الرحمن بن علي.

- التفقه في الدين والاندماج في أمة الإسلام عند القبائل المجاورة للمدينة في العهد النبوي - المدينة المنورة: بحث منشور في مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد (٤).

السويكت، سليمان بن عبد الله.

- محنة المسلمين في العهد المكي - الرياض: مكتبة التوبة ١٤١٢هـ.
- سيلامي، نوربير، وآخرون.
- المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة وجيه أسعد، سوريا، دمشق: وزارة الثقافة ٢٠٠١م.
- شاكر، محمود.

- التاريخ الإسلامي (قبل البعثة)، ط ٣ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

- السيرة النبوية، ط ٣ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

- مع الهجرة إلى الحبشة - بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٨٧م.

الشامي، صالح.

- أضواء على دراسة السيرة، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١١هـ.

- من معين السيرة، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

- من معين الشمائل، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١٨هـ.

- أهل الصفة بعيداً عن الوهم والخيال - دمشق: ١٤١٢هـ.

شجاع، عبد الرحمن عبد الواحد.

- اليمن في صدر الإسلام - دمشق: دار الفكر ١٤٠٨هـ.

شراب، محمد محمد حسن.

- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة - دمشق: الدار الشامية ١٩٩١م.

الشريف، أحمد إبراهيم.

- دولة الرسول في المدينة، ط١ - بيروت: دار الفكر العربي ١٩٩٨م.

- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول - القاهرة: دار الفكر العربي (د.ت).

الشريف، محمود.

- الرسول في القرآن - القاهرة: دار ومكتبة الهلال ١٩٨٦م.

الشعبي، أحمد قائد.

- وثيقة المدينة المضمون والدلالة، سلسلة كتاب الأمة ط١- الدوحة، قطر: وزارة الأوقاف ١٤٢٦هـ.

شقرة، محمد إبراهيم.

- السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، ط١- الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٨هـ.

شليبي، أحمد.

- الرسول في بيته صلوات الله وسلامه عليه - القاهرة: دار النهضة ١٩٩٠هـ.

شليبي، رؤوف.

- المجتمع العربي قبل الإسلام - القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٧م.

شما، سمير.

- النقود المتداولة في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين، بحث
مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية -
الرياض: جامعة الرياض ١٤٠٢هـ.

الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين.

- البعوث والغزوات النبوية - القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠٠٦م.

الشنقيطي، محمد الأمين عوض الله.

- السيرة النبوية عند ابن حجر في فتح الباري - الكويت: ١٤١٤هـ.

الشهري، عوض بن أحمد.

- مرويات غزوة خيبر، (جمع وتحقيق ودراسة)، رسالة ماجستير - المدينة
المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤١٠هـ.

الشيبياني، محمد شريف.

- الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة - بيروت: دار الحضارة
١٩٨٨م.

شيخو، لويس.

- منطقة الحيرة - بيروت: المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٤م.

- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية - بيروت: دار المشرق ١٩٦٧م.

الصابوني، محمد علي.

- شبّهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، (د.م) ١٩٨٠م.

الصالح، صبحي.

- مباحث في علوم القرآن، ط١٦- بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٥م.

- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط٥ - بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م.

صفوت، أحمد زكي

- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة - الجزء الأول: العصر الجاهلي وصدر الإسلام - بيروت: المكتبة العلمية (د.ت).

الصلابي، علي بن محمد بن محمد.

- أصح الكلام في سيرة خير الأنام (السيرة النبوية)، ط٣ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام - شخصيته وعصره، ط١ - القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه، - شخصيته وعصره، ط١ - القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

الصواف، محمد محمود.

- زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن - عمان: مطبعة الحرية ١٩٦٤م.

- الصوياني، محمد.
- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ط٣ - الرياض:
العبيكان ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- الظاهر، حامد أحمد.
- الحب في حياة الرسول ﷺ - مصر: دار الفجر للتراث.
طرهوني، محمد بن رزق.
- صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية، ط١ - الرياض: دار ابن
تيمية ١٤١٠هـ.
- طعيمة، صابر.
- الأدب النبوي في ضوء العلم الحديث - بيروت: دار الجيل.
الطهطاوي، رفاة رافع.
- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ط١- القاهرة: دار الذخائر
١٤١٩هـ.
- الطهطاوي، محمد عزت.
- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - القاهرة: مكتبة النور ١٤٠٦هـ.
- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام.
- بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ - الرياض: دار السلام ١٩٩٨م.
- وجاء النبي المنتظر، ط٢ - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

الظاهري، أبو تراب.

- أصحاب الصفة - جدة: دار القبلة للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ.

- ذهول العقول بوفاة الرسول - جدة: دار القبلة ١٤٠٤هـ.

عابد، سناء بنت محمود عبد العزيز.

- الحوار في القرآن الكريم معالمه وأهدافه، ط١- جدة: دار الأندلس
الخضراء ١٤٢٥هـ.

عاشور، عبد اللطيف.

- موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، القاهرة: ٢٠١٠م.

ابن عاشور، محمد الطاهر.

- التحرير والتنوير - تونس: دار سحنون.

عامري، سامي.

- محمد ﷺ في كتب اليهود والنصارى والبوذيين والمجوس والهندوس
والسيخ، ط١- القاهرة: مركز التنوير الإسلامي ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.

العبد، عبد المحسن بن حمد. وزقيل، عبد الله بن محمد.

- الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَضْلُهَا وَكَيْفِيَّتُهَا، مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة - العدد: ٢٥ - (ص ٤٧ - ٦١) - رجب ١٣٩٤هـ.

العبادي، عبد الله عبد الرحيم.

- خصائص لسيد المرسلين، ط١ - الدوحة، قطر: دار الثقافة ١٤٢٧هـ.

عبد الحميد، جابر وعلاء كفا في.

- معجم علم النفس والطب النفسي، القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٩١م،
ج ٤/٤٨٥هـ.

عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ).

- أم النبي - الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٩م.
- بنات النبي - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م.
- مع المصطفى - القاهرة: دار المعارف ١٩٩٢م.
- نساء النبي ﷺ - القاهرة: دار الريان ٤٠٧هـ.

عبد الرحمن، غسان أحمد

- محبة الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة، دار ابن حزم

عبد الرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني.

- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢ - بيروت: المكتب
الإسلامي ٤٠٣هـ.

عبد الغني، محمد إلياس.

- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط ٢ - المدينة: مركز طيبة
٤١٨هـ.

عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم.

- أمهات المؤمنين ﷺ، دراسة حديثة، رسالة دكتوراه - المدينة المنورة:
الجامعة الإسلامية ٤٠٥هـ.

عبد الوهاب، محمد فهمي.

- محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه -
القاهرة: دار الاعتصام ١٩٧٩م.

عتر، حسن ضياء الدين.

- نبوة محمد ﷺ في القرآن، ط ١ - بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤١٠هـ.
العتوم، علي.

- تجربة مؤتة - عمّان الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة ١٤٠٦هـ.

العتيبي، محمد بن عوض.

- نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة - رسالة ماجستير مقدمة لقسم
التاريخ والحضارة بجامعة الإمام - الرياض: ١٤٣٠هـ، (غير منشورة).

عثمان، محمد فتحي.

- من أصول الفكر السياسي الإسلامي، دراسة لحقوق الإنسان ولوضع
رئاسة الدولة في ضوء الشريعة الإسلامية وتراثها التاريخي والفقهية، ط ٢
- بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت، ١٤٢١هـ).

- صفة صلاة النبي ﷺ، ط ١ - الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع ١٤١٣هـ.

- كتاب العلم، إعداد فهد بن صالح السليمان، ط ١ - الرياض: دار الثريا
للنشر ١٤٢٠هـ

العربي، محمد ممدوح.

- دولة الرسول في المدينة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

عرجون، محمد الصادق إبراهيم.

- محمد رسول الله ﷺ - بيروت: دار العلم ١٤٠٥هـ.

عساف، أحمد محمد.

- قبسات من حياة الرسول - دار إحياء العلوم ١٤٠٥هـ.

عطية، عصام بن محمد.

- لماذا نحب محمداً - الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٢٨هـ.

العقاد، عباس محمود.

- عبقرية محمد - القاهرة: دار النهضة مصر ١٩٨٠م

عقيل، عقيل حسين.

- محمد ﷺ من وحي القرآن، ط١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٣٢هـ.

العلواني، رقية.

- فقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة، ط١ - جائزة الأمير

نايف بن عبد العزيز العالمية للسنة النبوية، والدراسات الإسلامية

المعاصرة ١٤٢٦هـ.

العلي، إبراهيم.

- صحيح السيرة النبوية، ط٢ - بيروت: دار النفائس ١٤١٦هـ.

علي، جواد.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٦م.

علي، خالد سيد.

- رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والقبائل - الكويت: دار التراث
١٤٠٧هـ.

علي، سر الختم عثمان.

- تدريس السيرة النبوية في مناهج التاريخ المدرسية - الرياض: دار العلوم
١٤٠٢هـ.

العلي، صالح أحمد.

- تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة المنورة - بغداد: ١٩٦٩م.

- الدولة في عهد الرسول - مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٩م.

- محاضرات في تاريخ العرب (الدولة العربية قبل الإسلام)، (د.م) ١٩٦٠م.

العُمري، أكرم ضياء.

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر النبوة، ط١- الرياض: دار
إشبيليا ١٤١٧هـ.

- الرسالة والرسول، ط١- (د.م) ١٤١٠هـ.

- السيرة النبوية الصحيحة، ط٣ - المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم
١٤٢٥هـ.

- المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين، ط١- المدينة المنورة:
الجامعة الإسلامية ١٤٠٤هـ.

- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، ط١- المدينة

المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- موقف الاستشراق من السيرة النبوية - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٦هـ.

العُمري، بريك بن محمد أبو مايلة.

- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ط١- الدمام: دار ابن

الجوزي ١٤١٧هـ.

- بدر الكبرى المدينة والغزوة، ط١- دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٤١٥هـ /

١٩٩٤م.

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.

- أبعاد إدارية واجتماعية واقتصادية وتقنية في السيرة النبوية، ط١ -

الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٦هـ.

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط٣ - الرياض: دار

إشبيليا ١٤٢٠هـ.

- رسول الله ﷺ وخاتم النبيين - دين ودولة، ط١ - بيروت: مكتبة بيسان

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

- الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط٢ - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩هـ.

- مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، ط١- الرياض: مطبعة سفير

١٤٢٨هـ.

- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط١ - الرياض: دار

إشبيليا ١٤٢٢هـ.

العمودي، محمد سمير.

- في ضوء السنة النبوية (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة غزة ١٤٣١هـ.

العواجي، محمد بن محمد.

- أهمية دراسة السيرة والعناية بها في حياة المسلمين، بحث ضمن أعمال ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ١٤٢٥هـ.

- مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط١- المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي للجامعة الإسلامية ١٤٢٥هـ.

العودة، سليمان بن حمد.

- السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ط١- الرياض: جامعة الإمام ١٤١٩هـ.

- قضايا ومباحث في السيرة النبوية، ط١- الرياض: دار المسلم ١٤١٦هـ.
عوض الله، السيد أحمد أبو الفضل.

- مكة في عصر ما قبل الإسلام، ط١- الرياض: دار الملك عبد العزيز ١٩٨١م.

العياري، شفيق إبراهيم.

- الدولة الإسلامية في المدينة في عصر الرسول ﷺ - القاهرة: كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤١٨هـ.



العياشي، إبراهيم بن علي.

- المدينة بين الماضي والحاضر - المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٣٩٢هـ.

غبان محمد بن عبد الله.

- مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ وإليه جمعاً ودراسة (رسالة دكتوراه) - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية (د.ت).

الغزالي، محمد.

- فقه السيرة، ط٧. القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٦هـ.

الغضبان، منير محمد.

- فقه السيرة النبوية، معهد البحوث - مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٩٨٩م.

- المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٢ - الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار ١٤٠٦هـ.

فرج، بسام عطية.

- نبينا رأي العين، ط٢. عمّان الأردن: دار الفاروق ١٤٣١هـ.

فرحان، جمال الريمي.

- أهل الصفة - دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة وادي النيل، كلية العلوم الإسلامية والعربية، أصول الدين، السودان - عطبرة: ٢٠٠٧م.

الفوزان، صالح بن فوزان.

- حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، ط١٠ - الرياض: دار البيان ١٤٢٦هـ.

فيود، بسيوني عبد الفتاح

- من البيان النبوي الشريف .. تأملات بلاغية في الهدى النبوي، ط١-
القاهرة: مؤسسة المختار ١٤٤٠هـ

الفيومي، محمد إبراهيم.

- تاريخ الفكر الديني الجاهلي - القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

قاسم، عون الشريف.

- نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، دراسة في وثائق العهد
النبوي، ط٢ - بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٤٠١هـ.

القرضاوي، يوسف.

- الرسول المعلم، ط٤- بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

قطب، محمد علي.

- قبسات من الرسول - بيروت: دار الشروق ١٩٨٤هـ.

قلعه جي، محمد رواس.

- دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة،
ط١- بيروت: دار النفائس ١٩٨٨هـ.

- قراءة جديدة للمسيرة النبوية - الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٨٤م.

- قراءة سياسية، للمسيرة النبوية، ط٢- بيروت: دار النفائس ١٤٢٠هـ.

- محمد في الكتب المقدسة - حلب: المكتبة العربية ١٣٩٢هـ.

القنوجي، محمد صديق حسن خان (ت، ١٣٠٧هـ).

- حسن الأسوة بما ثبت من اللّٰه ورسوله في النسوة، حققه وعلق عليه د. مصطفى سعيد الخن ومحبي الدين مستو، ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

القين غسان بن عبد العزيز.

- أدب الحوار في الإسلام للأستاذ، ط١ - بيروت: دار المعرفة ١٤٢٧هـ.
- القيسي، نوري حمودي.

- مواقف من السيرة النبوية - بيروت: عالم الكتب ١٩٨٥م.

كانتزر، كينث ومجموعة من العلماء.

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أعدته لجنة لاهوتية مكونة من ١٣ عنصر برئاسته - القاهرة: شركة ماسترميديا ١٩٩٧م.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير.

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

كحالة، عمر رضا.

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.

- معجم المؤلفين - دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

الكردي، راجح عبد الحميد.

- شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي - الأردن: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.

كريستنسن، آرثر.

- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبدالوهاب عزام - القاهرة: ١٩٥٧م.

كعكي، عبد العزيز عبد الرحمن إبراهيم.

- المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ط ١ - المدينة المنورة: ١٤٢٠هـ.

- معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ط ١ - المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ.
كلزية، عبد الوهاب.

- الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ - بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م.
الكليب، عبد الملك.

- علامات النبوة - دمشق: وحي القلم ٢٠٠٨م.
الكمداني، أديب.

- فن تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية - دمشق: دار البشائر الإسلامية
١٤٢٥هـ.

اللحام، حنان.

- هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، ط ٢ - بيروت: دار الفكر
١٤٢٣هـ.

لمعي، صالح.

- المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري - بيروت: دار النهضة
١٩٨١م.



اللميلم، عبد العزيز بن محمد.

- رسالة المسجد في الإسلام، ط ١ - الرياض: ١٤٠٧هـ.

لوبون، غوستاف.

- حضارة العرب، نقله إلي العربية عادل زعيتير، ط ٣- دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

لوقا، نظمي.

- محمد، الرسالة والرسول - القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٥٩م.

- محمد في حياته الخاصة - القاهرة: دار الهلال ١٩٦٩م.

الماضي، فوزان حمد.

- موسوعة الإبل - أسماؤها - أوصافها - طباعها، الرياض: دار الملك عبدالعزيز ١٤٣٨هـ.

ماهر، سعاد.

- مساجد في السيرة النبوية - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

مجلس الكنائس العالمي.

- الكتاب المقدس، ط ١ - بيروت: جمعية الكتاب المقدس ١٩٩٣م.

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (السيرة والمدائح النبوية) - مؤسسة آل البيت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

محمد، قطب إبراهيم.

- السياسة المالية للرسول - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

مرزوق، عبد الصبور.

- السيرة النبوية في القرآن الكريم - مكة المكرمة: رابطة العالم

الإسلامي (د. ت).

المرصفي، سعد.

- الهجرة النبوية ودورها في بناء المجتمع الإسلامي - الكويت: دار الفلاح

١٤٠٢هـ.

مستو، محيي الدين ديب.

- مناهج التأليف في السيرة النبوية خلال القرون الأربعة الأولى - الكويت:

جامعة الكويت ١٤٠٨هـ.

المسند، عبد العزيز بن عبد الرحمن.

- النهج المحمدي - الرياض: النادي الأدبي ١٤٠٠هـ.

المصري، جميل عبد الله.

- أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري -

المدينة المنورة: مكتبة الدار ١٤١٠هـ.

معدني، الحسيني الحسيني.

- الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، ط١- القاهرة: دار الكتاب العربي

٢٠٠٦م.

معلوف، أمين.

- معجم الحيوان، بيروت: دار الرائد العربي (د.ت).

المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد.

- الأطلس التاريخي لسيرة النبي ﷺ، ط ٢ - الرياض: مكتبة العبيكان ١٤٢٤هـ.

المليجي، عاطف قاسم أمين.

- أسماء النبي في القرآن والسنة - القاهرة: عالم الفكر ١٤١٩هـ.

المنجد، صلاح الدين.

- السيرة النبوية الشريفة وعبرتها الخالدة وموعظتها الحسنة.

- معجم ما أُلّف عن رسول الله - بيروت: دار الكتاب الجديد ١٩٨٢م.

مؤنس، حسين.

- التاريخ الصحي للرسول ﷺ - القاهرة: دار المعارف ٢٠٠٠م.

الناصر، محسن بن محمد

- حوار الرسول ﷺ مع اليهود، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٩هـ.

النجار، زغلول.

- خواطر في معية خاتم الأنبياء ﷺ، ط ٣ - القاهرة: نهضة مصر ٢٠٠٨م.

الموقد، ماجد بن صالح بن مشعان.

- وسائل معالجة الفقر في العهد النبوي - أهل الصفة أنموذجاً، الرياض: مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ.

موقع نبي الرحمة - رابطة العالم الإسلامي (بتاريخ: ١١/٢/١٤٤٢هـ).

- مقال: (بلاغة محمد ﷺ).

النجار، محمد بن محمود، (ت: ٦٤٣هـ)

- الدرّة الثمينة في أخبار المدينة، دراسة وتحقيق د. صلاح الدين عباس،

ط ١ - مركز بحوث المدينة ١٤٢٧هـ.

النحوي، عدنان علي رضا.

- النبي العظيم والرحمة المهداة - الرياض: دار النحوي ٢٠٠٦م.

- الشورى وممارستها الإيمانية، ط ٤ - الرياض: دار النحوي ٢٠٠٤م.

النخيلان، ندى.

- أمهات المؤمنين وأثرهن في مجتمع المدينة في عصر الخلفاء الراشدين،

رسالة ماجستير، جامعة الأميرة نورة - كلية الآداب، قسم التاريخ

١٤٣٠هـ، ط ١ - الرياض: دار كنوز أشبيليا ١٤٣٢هـ.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- في أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة

الدراسات والبحوث، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

الندوي، أبو الحسن علي الحسني.

- السيرة النبوية، تقديم د. يوسف القرضاوي، ط ٣ - دار القلم ١٤٢٧هـ.

النملة، علي إبراهيم حمد.

- المستشرقون والسنة والسيرة - بيروت: مكتبة بيسان ١٤٣١هـ.

- نوربير سيلامي وآخرون.
- المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة وجيه أسعد - سوريا، دمشق: وزارة الثقافة ٢٠٠١م.
- نيازي، عبد الكريم عبد الله.
- لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا - بيروت: مركز الصف الإلكتروني ١٤٠٧هـ.
- هارت، مايكل.
- أعظم مائة رجل في التاريخ، ترجمة أنيس منصور - ط٩ - القاهرة: المكتب المصري ١٩٩٧م.
- هارون، عبد الرزاق.
- حسن الصياغة في فنون البلاغة، ط١ - بولاق، مصر: المطابع الأميرية ١٨٩٨م.
- هارون، عبد السلام.
- تهذيب سيرة ابن هشام - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.
- الهاشمي، حسين بن حيدر محبوب.
- أبناء النبي ﷺ وأحفاده، ط١ - الكويت: مكتبة ابن كثير ١٤٢٩هـ.
- أزواج النبي ﷺ، ط١ - الكويت: مكتبة ابن كثير ١٤٢٥هـ.
- أصهار رسول الله - الرياض: دار الهجرة للطباعة والنشر ١٤٠٨هـ.

- جمهرة أنساب أمهات المؤمنين، ط ١ - بريدة، السعودية: دار البخاري ١٤١٨هـ.
- قادة النبي ﷺ - دمشق: دار ابن كثير ١٤١٤هـ.
- النبي ﷺ والنساء، ط ١ - الكويت: مكتبة المعارف المتحدة ١٤٢٩هـ.
الهاشمي، السيد أحمد.
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت: دار الفكر (د.ت).
الهاشمي، عبد المنعم.
- أزواج النبي ﷺ، ط ١ - الكويت: مكتبة ابن كثير ١٤٢٥هـ.
الهاشمي، محمد علي.
- شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم، ط ١ - بيروت: عالم الكتب ١٤٠٣هـ.
هلال، إبراهيم إبراهيم.
- حديث هرقل وكتاب الرسول إليه - القاهرة: دار الصحوة ١٩٩٨م.
هيكل، محمد حسين.
- حياة محمد - القاهرة: دار المعارف ١٩٨١م.
الواعي، توفيق يوسف.
- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية - المنصورة: دار الوفاء ١٤٠٣هـ.
وتر، محمد ظاهر.
- فن الحرب في عهد الرسول ﷺ - دمشق: دار الفكر ١٤٠٥هـ.

الوكيل، محمد السيد.

- الحركة العلمية في عصر الرسول ﷺ وحلفائه، ط١- جدة: دار المجتمع
١٤٠٦هـ.

ولد أباه، محمد أباه.

- موكب السيرة النبوية رسول الهجرة - الدوحة: دار الثقافة ١٩٨٥م.
ولفنسون، إسرائيل.

- تاريخ اليهود في بلاد العرب - القاهرة: ١٩٢٧م.

اليامي، زيدان بن عبد الرحمن.

- بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة (وثيقة المدينة)، ط١- الرياض:
مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ.

يماني، محمد عبده.

- علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ - جدة: دار القبلة ١٩٩٢م.

ثالثاً: المجالات:

مجلة البشارات.

- العدد الأول، نقلاً عن: <http://www.hurras.org>

رابعاً: مواقع إلكترونية:

- www.ahlalhdeeth.com بتاريخ ٢٧/١١/٢٠١٠
- www.ar.wikipedoa.com
- www.4shared.com.
- www.ar.wikipedoa.com
- www.hurras.org بتاريخ ٢٧/١١/٢٠١٠
- ww.islam-love.com
- <https://dorar.net/akhlaq>
- <https://www.alukah.net/sharia>
- <https://rasoulallah.net/ar/articles/article/>
- <https://www.islamstory.com/ar/>
- <https://nabulsi.com/web/article>
- <http://iswy.co/e> .

مراجع أجنبية:

- *Jewish Encyclopedia. Y. 11 P. 415.*

- *Gospel of Barnaba*
- (R. Goltheril, "Achri stristian Bahira legencl. " *Zcits Chrifst Fur Assyriologie*, 13 (1898) pp. 189-242; 14 (1898) pp. 203-268, 151900. pp. 56-102, 16 (1903) pp. 125-166).

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٧
تعريف العلم.....	٩
العلم في القرآن الكريم.....	١٦
علم الرسول ﷺ.....	٣٨
القراءة والكتابة في حياته ﷺ.....	٤٩
علمه ﷺ بالأديان والمذاهب.....	٥٥
وفد نصارى نجران.....	٦٠
علمه ﷺ بالأماكن والشعوب والقبائل.....	٦٦
علمه ﷺ بالكون والطبيعة.....	٧٤
علمه ﷺ بالزراعة والنبات.....	٨٢
علمه ﷺ بالأبدان وطبها.....	١٠٠
أساليبه ﷺ في التعليم.....	١١١
تعليمه ﷺ للنساء.....	١٢٦
الحكمة في حياته ﷺ.....	١٣٤
الحكمة في القرآن الكريم.....	١٣٧
حكمة النبي ﷺ في القرآن.....	١٤٤
الشورى في حياته ﷺ.....	١٧٣
دعوته ﷺ بالحكمة.....	١٧٦
اللغة.....	١٨٦
الفصاحة والبلاغة والبيان.....	١٩٦

الصفحة	الموضوع
١٩٦	الفصاحة.....
١٩٧	البلاغة.....
١٩٩	البيان.....
٢٠١	منطقه ﷺ.....
٢٢٦	الحوار في حياته ﷺ.....
٢٢٩	أدب الحوار.....
٢٦٧	حوراه ﷺ في داخل بيت النبوة.....
٢٨٨	الجدال.....
٣٠٠	المحاجة.....
٣١٠	الخاتمة.....
٣١٢	المصادر والمراجع.....

